

مَجَادِلُنَا لِبُوصَيْرِي

لَأَهْلِ الْكِتَابِ

أَوَّلُ مَجَادِلَةٍ بِالنَّظْمِ

دكتور محمد علي البار



مكتبة كنوز المعرفة

من ٧٤٦-٢٠١٤٨٧

هاتف: ٧٧٢-٦٥٧ - ٦٥١٤٢٢٢ فاكس: ٦٥١٦٥٩٢

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

لقد قام البوصيري - رحمه الله - بنقد أهل الكتاب في كثير من قصائده، بما فيها همزيتة الشهيرة التي مطلعها :

كيف ترقى رقبك الأنبياء يا سماء ما طاوتها سماء
كما انتقد أهل الكتاب في قصائد مخصوصة، لعل أهمها قصيدة «الخرج والمردود على النصارى واليهود». وقد علّق على أبياتها البوصيري وشرح نصوص التوراة والإنجيل التي أشار إليها في أبياته. وهي موجودة في الديوان المطبوع، ومنه طبعة دار الجيل بيروت بشرح وتعليق د. محمد التونجي (وعدد أبياتها فيه ٢٨٤ بيتاً).

وقد وجد الدكتور أحمد حجازي السقا هذه القصيدة مع شرحها الذي وضعه البوصيري نفسه، في نسخة خطية بدار الكتب المصرية برقم ١٢٤٤، علم الكلام، وعلى الصفحة الأولى من المخطوطة ختم بيضاوي كبير مكتوب فيه «الكتبخانة الخديوية بمصر» وختم آخر صغير مكتوب فيه دار الكتب السلطانية. ومطلع القصيدة :

جاء المسيح من الإله رسولا فابى أقلّ العالمين عقولا
وعدد أبياتها ٢٩٥ بيتاً. وفي نهاية القصيدة بهامش النسخة تعليقات من الناظم (البوصيري) أولها «لما رأيت كتب النصارى الآن مشحونة بما ينكرون من بعث النبي محمد ﷺ. وفيها من القول بخلاف ما يدعونه من إلهية المسيح، ومن صلبه، وإثبات رسالته التي نعتها اليهود والنصارى مما لا يخفى، تعرّضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سهل نظمه من ذلك. وأردت

أن أورد تحت كل أبيات ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطاع ذكرها بالنظم، لا بلفظها ولا بتوبيها فمن ذلك... إلخ».

وقال الناسخ: «انتهى بخط بعض الأفاضل عن الأصل» وفي النهاية كتب: «قد تمّ ما وجد بهامش النظم مكتوب من الإنجيل والتوراة والزبور والصحف. والله سبحانه وتعالى هو الهادي إلى الصواب». والمخطوطة تقع في ٤٠ صفحة في كل صفحة ٢٣ سطراً.

وقد نشرها الدكتور أحمد حجازي السقا بعد أن أضاف تعليقات مختصرة جدا.. ووضع القصيدة أولاً حتى أتمها، ثم بعد ذلك تعليقات البوصيري، ثم تعليقاته هو.. وأدى ذلك إلى صعوبة متابعة التعليقات. وانتهى من الكتاب في ٣ صفر ١٣٩٩ هـ / ٢ يناير ١٩٧٩ ونشرته مكتبة المدينة المنورة بالقاهرة عام ٢٠٠٠ م، ومع ذلك يعسر الحصول على نسخة من هذا الكتاب.

وبما أن ترجمات ما يسمى الكتاب المقدس «التوراة وكتب العهد القديم والعهد الجديد» باللغة العربية قد تجاوزت المائة، فإن الترجمات التي اعتمد عليها البوصيري، أو غيره من علماء الإسلام تختلف فيما بينها، كما أنها تختلف عن الترجمات الموجودة الحالية، فإن علينا أن نذكر النص الموجود في إحدى الترجمات الحالية والذي يشير إليه البوصيري رحمه الله، ونذكر ما فيه من اختلاف. وذلك لأن «الكتاب المقدس» يتم تغييره وتبديله بمضي الزمان، بل أحياناً يتم تغيير بعض مواقعها وكلماته كل عشر أو عشرين سنة، كما أن كل طبعة جديدة تدعي أنها أصح من الطبقات السابقة، وأنها قامت على أساس معلومات جديدة ومخطوطات تم اكتشافها، وبالتالي يتم حذف وإضافة ما يريدون. وهناك على سبيل المثال باللغة الإنجليزية «الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد» The New English Bible، وكلمة

Bible لا تعنى الإنجيل كما يترجمها بعض الكُتّاب، بل تعنى الكتاب المقدس الذي يضم أسفار العهد القديم وأسفار العهد الجديد جميعها) وهناك : «الكتاب المقدس الأمريكي الجديد» The New American Bible كما أن هناك «الكتاب المقدس العالمي أو الدولي الجديد» The New International Bible وكل واحدة من هاته الطبعات تختلف إلى حد ما عن الطبعة الأخرى، في الإضافة والحذف، واختيار بعض المعاني دون الأخرى .

لهذا كله قمت بشرح الآيات والتعليق على ما كتبه البوصيري في شرحه لبعض تلك الآيات، وأوردت النصوص التي أشار إليها أو ذكرها بنصها، واختلفت اختلافاً بيناً في الطبعات الحديثة مما يسمى «الكتاب المقدس». وقد تكون بعض تلك النقول قد اختلفت من الترجمات الحديثة. ومما يؤكد وجودها أن علماء الإسلام في مجادلتهم للنصارى واليهود قد ذكروها، ثم اختلفت تلك النصوص، وحذفت في الترجمات الأحدث، وهو أمر كثير الحدوث في هذه الكتب التي لم يتوقف تحريفها وتبديلها إلى اليوم .

ولست أنا الذي أقول هذا الكلام فقد جاء من أكبر مصدر مسيحي في العالم وهو الطبعة المسكونية العالمية للكتاب المقدس : العهد الجديد (إصدار الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي)^(١) وفيها عن نصوص العهد الجديد «وقد نسخت تلك النصوص مراراً واختلفت تلك النسخ اختلافاً شديداً. إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية، ولكن عددها كثير جداً على كل حال. إن نصّ العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة

(١) الكتاب المقدس : العهد الجديد، دار المشرق، بيروت، الطبعة ١٩ لسنة ٢٠٠٠ وأخذت المداخل (الشروح والمقدمات) من الترجمة الفرنسية المسكونية التي أصدرها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي. ترجمة الرهبانية اليسوعية، بيروت.

بيد نَسَاح صلاحهم للعمل متفاوت . وما من أحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أي نسخة مهما بذل فيها من الجهد بالموافقة التامة للمثال الذي أخذت عنه . يضاف إلى ذلك أن بعض النساخ حاولوا أن يصوّبوا ما جاء في مثالهم . «وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة ، أو قلة دقة في التعبير الإلهي . وهكذا أدخلوا إلى النصّ قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ . ومن الواضح أن ما أدخله النُّسَاح من التبديل والتغيير على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر ، فكان النصّ الذي وصل إلى عصر الطباعة (القرن الخامس عشر الميلادي) مثقلا بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت في عدد كبير من القراءات . . . ولا يرجح في أي حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه» .

وتقول في موضع آخر : «إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة واحدة (تُدعى العهد الجديد) أدّى إلى تطور طويل ومعقد . والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التي تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة كأداء يعسر فهمها» .

وتقول الطبعة المسكونية العالمية الكتاب المقدس : كتب الشريعة الخمسة (أي التوراة) التي أصدرها المجلس العالمي للكنائس مع الفاتيكان (أي أكبر تجمع مسيحي عالمي) :

«أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظلّ عدد كبير منهم مجهولا ، لكنهم على أي حال لم يكونوا منفردين ، لأن الشعب كان يساندهم ، ذلك الشعب الذي كانوا يقاسمونه الحياة والهموم والآمال حتى في الأيام التي كانوا يقاومونه فيها . معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة . وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية ، انتشرت زمنا طويلا بين الشعب وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات .

وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حدّ مهم أو قليل الأهمية .. وكل هذه الكتب عُدلت وُبدلت مرارًا، وأضيف إليها وأسقط منها.

وهو كلام في منتهى الأهمية، لأنه يصدر من أكبر تجمع كنسي كهنوتي في العالم (الفاتيكان + مجلس الكنائس العالمي) . وهم يذهبون في ذلك بأكثر مما كان يقوله علماء الإسلام من أن التوراة والإنجيل قد فُقدَا، وأن الأحبار من اليهود والقسس من النصارى أعادوا صياغتها . أي أنها محرّفة إلا بقايا من كلام الله الذي أنزل على موسى وعيسى والنبيين عليهم صلوات الله وسلامه، بينما هؤلاء القوم يقولون إنها (أي التوراة) لم يكتبها موسى ولا أنزلت عليه ، وأن الإنجيل لم يأت به عيسى من عند الله، بل كتبه أقوام بروايات شفوية غير معتمدة من أناس لم يروا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، بل ولم يروا حتى تلاميذه . وأن هذه الكتب عُدلت وُبدلت مرارًا وأضيف إليها وأسقط منها .

ويقول الأب سيداروس اليسوعي في كتابه «تكوين الأناجيل»، وهو أحد سلسلة دراسات رسمية في الكتاب المقدس تصدرها الرهبانية اليسوعية في بيروت عن طريق دار المشرق : «ليس الكتاب المسيحي (العهد الجديد) كتابًا منزلًا كتبه الله، بل هو كتاب بشر بإلهام الروح القدس . وسيجرنا الحديث إلى أن نقرّ بأن الكتاب كان في بداية أمره عبارة عن رواية شفوية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى ثم دوّنها الإنجيليون الأربعة، كلٌّ بأسلوبه الخاص وقصده اللاهوتي الخاص ... فكل ما قلناه يكفي ليقنع باحثًا سطحيًا أن الأناجيل قد حرّفها المسيحيون، إذا أن بين يسوع الناصري والروايات الشفهية، والتدوين الرباعي عن يسوع المجد فجوة وهاوية .

وتؤكد دائرة المعارف البريطانية^(١) المشهورة على حدوث التغييرات المستمرة في جميع أسفار ما يسمى الكتاب المقدس، بشقيه العهد القديم والعهد الجديد، قائلة ما نصّه : «إن مرور فترة طويلة من الزمان تمّ فيها انتقال التعاليم والكتب شفويا أذى إلى حذف واختصار وإضافة لتلك التعاليم والكتب عندما جاءت فترة الكتابة والتدوين . ولم تصل إلى فترة التدوين إلا بعد تحويرها وتغييرها تغييرا كبيرا جدا . ثم إن المعضلة ازدادت بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون . وكان كل كاتب يضيف ما يراه مناسباً . ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب أيضا واجهت عمليات متعددة من التغيير المتعمد وغير المتعمد... وإذا عرفنا أن عملية كتابة العهد القديم تمتد إلى مدى أكثر من ألف عام فإننا ندرك دون ريب مدى التغيير الذي سيلحق بهذه الكتب في هذه العقود والأزمان المتطاوله» .

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية عن الترجمة المشهورة بترجمة الملك جيمس والتي تعتبر موثقة ومعترفاً بها والتي ظهرت في عام ١٦١١ ثم تابعت التصويبات والتغييرات . وفي عام ١٨٧٠ قام مجمع كانتربري الكُنسي بدراسة طبعة الملك جيمس الموثقة والمعتمدة، فوجد فيها أخطاء كثيرة . وقامت لجان من بريطانيا والولايات المتحدة وعملت عملاً دؤوباً وصدرت طبعة جديدة من العهد الجديد سنة ١٨٨١ . وقد قامت هذه اللجان بإحداث ثلاثين ألف تغيير في ترجمة الملك جيمس المعتمدة الموثقة . وتقول دائرة المعارف البريطانية : إن خمسة آلاف من هذه التغييرات والتصويبات هامة جدا^(٢) .

واستمرت التغييرات في عام ١٨٨٥ . وفي عام ١٩٠٠ قام الأمريكيان

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ الميكروبيديا ج ٢/٨٨٤، ٨٨٥ .

(٢) دائرة المعارف البريطانية (المصدر السابق) ج ٢ / ٨٩١ .

بإصدار ترجمة جديدة للعهد الجديد ، وفي العام التالي نشروا ترجمة أخرى للعهد القديم ، واستمرت التغييرات والتي عرفت باسم الترجمة الأمريكية القياسية (المعيارية) المنقحة **The Revised standard version** وظهرت طبعة أخرى عام ١٩٢٨ تم تغييرها تغييراً رهيباً عام ١٩٣٧ ثم واجهت مزيداً من التغيير والتصويبات عام ١٩٤٦ ثم عام ١٩٥٢ ثم عام ١٩٥٧^(١) والأمور مستمرة في التغيير كل بضع سنوات فهناك الكتاب المقدس الإنجليزي الجديد **New English Bible** وهناك الكتاب المقدس الأمريكي الجديد **New American Bible** كما أن هناك الكتاب المقدس الدولي الجديد **New International Bible** .

وقس على ذلك الترجمات في كافة اللغات . ففي اللغة العربية كما تقول مقدمة «الإنجيل المقدس : العهد الجديد» إصدار دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ، بيروت عام ١٩٩٧ «وأما بالنسبة إلى العربية فهناك أكثر من مائة ترجمة للكتاب المقدس» ويقول مترجمو «الإنجيل كتاب حياة» : «إننا قد أخذنا بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية ، فضلاً عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة والتي تزيد على المئة» .

وكل ترجمة تختلف عن الأخرى اختلافات كثيرة ، فما نجده في كتب القرافي وابن تيمية والبوصيري وابن القيم وابن حزم ، والقاظمي أبو البقاء الجعفري من النصوص التي ينقلونها عن التوراة والإنجيل ، تختلف فيما بينها ، كما أن بعضها غير موجود على الإطلاق في التوراة والإنجيل التي بأيدينا اليوم ، أي أنها قد تم حذفها في الترجمات الأحدث ، لأنها كما تقول دائرة المعارف البريطانية يراها المترجم مخالفة لعقيدة من عقائده .

(١) المصدر السابق ج ٢ / ٨٩٢ .

وتقول دائرة المعارف الأمريكية^(١) : « لغة يسوع وقومه هي اللغة الآرامية، ولكن العهد الجديد بأكمله لم يكتب إلا باللغة اليونانية ولا تزال فيه بعض الكلمات الآرامية » وكتاب الأناجيل لم تعد تلك الشخصيات التي كان يظنها السابقون ، فإنجيل متى منسوب عند القدماء إلى متى العشار الذي صار من الحواريين وتتبع يسوع . وأما المحدثون فيقولون : إن كاتب إنجيل متى يوناني ولا علاقة له مباشرة بمتى الآرامي ، وربما استقى بعض الأقوال التي كان يرويها شخص مجهول يسمى متى الآرامي ، بالإضافة إلى اعتماده على إنجيل مرقس الأقدم منه وعلى مصدر آخر مجهول .

والشيء ذاته يقال عن مرقس : وإنه ليس الذي كان القدماء يقولون إنه تلميذ بطرس الحواري ، وأما يوحنا الذي كانوا يزعمون أنه يوحنا بن زبدي تلميذ المسيح فإنه قد أثبت الباحثون أنه لا علاقة له بمؤلف الإنجيل المعروف بيوحنا الإنجيلي ، اليوناني الثقافة ، والذي ظهر بعد أكثر من سبعين عاما على رفع يسوع في أقل تقدير ، بينما يقول بعضهم إنه ظهر في عام ١٢٥ بعد الميلاد أي ما يقرب من مائة عام بعد رفع يسوع .

والحال ذاته في لوقا ، فهؤلاء المؤلفون المنسوبة لهم الأربعة الأناجيل المعتمدة شخصيات ضبابية مجهولة لا يكاد أحد يعرف عنها شيئا موثقا . وبالتالي تعتبر هذه الشخصيات مجهولة .

بل إن المسيحيين الأوائل لم يكونوا يعتقدون أن كتبهم تكون عهدا جديدا يتميز عن العهد القديم^(٢) . وكانوا يعتمدون التوراة وكتب الأنبياء كتابا مقدسا . ثم دخلت في القرن الثاني بعض رسائل بولس ثم في نهاية

(١) دائرة المعارف الأمريكية لعام ١٩٥٩ ج ٣ / ٦٥٤ .

(٢) فردريك جرانت : الأناجيل أصلها ونموها . نقلًا عن أحمد عبد الوهاب المسيح في مصادر العقائد المسيحية ، مكتبة وهبه - القاهرة - الطبعة الثانية ١٩٨٨ .

القرن الثاني بدأ الاعتراف بالأناجيل، وإن ظل الخلاف فيها إلى قرون تالية، حيث بلغ عدد هذه الأناجيل المئات. ولم يتم الاتفاق على أربعة منها إلا بعد معارك طاحنة ومرور مئات السنين وبالذات سنة ٣٢٥ بعد الميلاد على يد الإمبراطور قسطنطين في مؤتمر نيقية.

وتقول دائرة المعارف الأمريكية^(١): «إن الاختلاف بين هذه الأناجيل الأربعة عظيم لدرجة أنه لو قُبلت الأناجيل المتشابهة (مرقس ومتى ولوقا) باعتبارها صحيحة وموثوقا بها، فإن ما يترتب على ذلك هو عدم صحة إنجيل يوحنا».

ويقول الباحث المسيحي المشهور فردريك جرانت في كتابه «الأناجيل أصولها ونموها»^(٢): «إن العهد الجديد كتاب غير متجانس، ذلك أنه شتات مُجمَع، فهو لا يمثل وجهة نظر واحدة تسوده من أوله إلى آخره، ولكنه في الواقع يمثل وجهات نظر مختلفة: وإن الإنسان ليستطيع أن يتتبع بدقة ملحوظة الاتجاهات التي سار فيها التفكير المسيحي، كما يتتبع إلى حد ما التوسع الجغرافي والعددي للكنيسة، وكذلك مراحل التطور لعقيدة الكنيسة وأخلاقياتها وعبادتها وتنظيمها».

وهذا كله يجعل الجدل القديم حول تحريف التوراة والإنجيل قد عفى عليه الزمن لأن المصادر الموثقة لدى اليهود والنصارى تقول بأكثر مما يقوله علماء الإسلام من تحريف هذه الكتب، لأنهم يزعمون أن التوراة لم تنزل على موسى عليه السلام ولا كتبها موسى، بل كتبت بعد عهد موسى بمئات السنين، وأما الإنجيل فهم مجمعون منذ أقدم الأزمنة على أنه لم يأت به

(١) دائرة المعارف الأمريكية لعام ١٩٥٩ ج ٧٢/١٢.

(٢) فردريك جرانت: الأناجيل أصولها ونموها نقلا عن أحمد عبد الوهاب: المسيح في مصادر العقائد المسيحية، مكتبة وهبة القاهرة ١٩٨٨.

عيسى من عند الله، بل هو مشاهدة وفهم الحواريين وتلاميذهم لما حصل لعيسى عليه السلام، وخاصة في فترة رسالته (أى ثلاث سنوات فقط، وهي ما بين إعلان دعوته وصلبه حسب زعمهم). وأثبتت الأبحاث الحديثة أن متى ويوحنا ليسا من الحواريين، بل هما شخصان جاءا بعد المسيح ولم يريا حتى تلاميذه. وكذلك الكلام عن لوقا ومرقص فإنه من المتفق عليه أنهما لم يكونا من الحواريين، بل من تلاميذ الحواريين أو تلاميذ تلاميذهم.

ورغم هذه الحقائق الناصعة التي ظهرت في العقود الأخيرة، إلا أن جماهير النصارى وخاصة في البلاد العربية، لا تزال تعتقد اعتقاداً جازماً بأن التوراة وأسفار العهد القديم قد جاء بها موسى والنبيون من بعده.. وأن الأناجيل قد سجلها الحواريون (متى ويوحنا) أو تلاميذهم (مرقص ولوقا)، وأنها شهادات موثقة لا ريب فيها، وأن روح القدس كان يوجههم في كل أعمالهم تلك. وبالتالي فإن هذه الكتب تكتسب لديهم القداسة.

وهذا أمر غريب كل الغرابة في زمن انتشار المعلومات ووجود الإنترنت، بل واعتراف المسكونية العالمية المسيحية المكونة من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي بهذا التحريف الرهيب فضلاً عن اعتراف دوائر المعارف مثل دائرة المعارف البريطانية ودائرة المعارف الأمريكية ومئات الكُتَّاب المختصين بدراسة الأديان من اليهود والنصارى أنفسهم.

لهذا كله زأيت أن أشرح وأعلق على قصيدة البوصيري في رده على اليهود والنصارى نظراً لما احتوته من معلومات عميقة موثقة في هذا الصدد، توافق إلى حد كبير ما يقوله أساطين رجال الكنيسة ودوائر المعارف في القرن العشرين وبداية القرن الواحد والعشرين بعد المسيح.

كما أنني وجدت ثروة ضخمة في مجادلة أهل الكتاب قام بها العديد من


علماء الإسلام على مر العصور. لهذا عمدت في الفصل الأول إلى ذكر هؤلاء العلماء الأفاضل وما قدموه من جهود في هذا الصدد. وقد حاولت أن أعثر على أكبر عددٍ من كتبهم ورسائلهم المطبوعة، ورغم ذلك فقد وجدت بعضها قد نفذ من الأسواق منذ سنوات طويلة ولم تتم إعادة طبعه، وبالتالي لم أستطع العثور عليه، وبعضها لا يزال مخطوطاً، وبعضها مفقود. وسأتناولها بإذن الله في كتاب خاص.

وفي الفصل الثاني تحدثت عن البوصيري شاعر المدائح النبوية ومرآة عصره وكيف تحول إلى باحث عميق الغور في دراسة أهل الكتاب والرد عليهم شعراً ونثراً.


وخصصت الفصل الثالث وهو صلب الكتاب لقصيدة البوصيري وتعليقاته وما وضعته من شروح.

والله أسأل أن ينفع بهذا الكتاب كاتبه وقارائه وناشره، نحمده سرا وجهراً ونصلي على خيرته من خلقه وآله ومن والاه.

د. محمد علي الباز



الفصل الأول
مُجَادَلَةُ أَهْلِ الْكِتَابِ
فِي التَّرَاثِ الْإِسْلَامِيِّ (العَرَبِيِّ)



مجادلة أهل الكتاب في التراث الإسلامي

مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم:

إن القرآن العظيم هو أول من جادل أهل الكتاب في عقائدهم وأباطيلهم. وهو الذي صحح كثيرا ما ذكرته التوراة والإنجيل من أخطاء فاحشة، فهو المهيمن على كل كتاب. قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة ٤٨].

وقد أمر الله سبحانه وتعالى بمجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا. قال تعالى: ﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأَنْزَلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [العنكبوت ٤٦].

والقرآن كله من أوله إلى آخره قد تعرض لأهل الكتاب وعقائدهم. وقد جادلهم رب العالمين وأوضح زيف عقائدهم. كما أوضح خبث أعمالهم، وخاصة أحبارهم ورهبانهم، وفضح كثيرا مما كانوا يقومون به تجاه الأنبياء والمرسلين. فهم على الحقيقة قد آذوا موسى ﷺ. قال تعالى عن اليهود: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى فَبَرَّاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾ [الأحزاب ٦٩] كما افتروا على هارون ﷺ، وقالوا في توراتهم المحرفة إنه هو الذي صنع لهم العجل وأمرهم بعبادته، وأقام لذلك عيدا تعرى فيه بنو إسرائيل وهم يرقصون حوله. وقد بين القرآن الكريم أن الذي صنع لهم العجل السامري الكافر، وأن هارون ﷺ نهاهم عن ذلك قدر استطاعته فاستضعفوه ولم يسمعوا له قولا. قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ أَلْمُ يَرَوْنَ أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا

اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَابَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنُ أُمِّ إِبْرَاهِيمَ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) ﴿ [الأعراف ١٤٨ - ١٥٠]

وأعاد المولى سبحانه وتعالى ذكر هذه القصة في سورة طه بتفاصيل جديدة عن السامري : ﴿ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ (٨٨) ﴿ [طه ٨٨] (أى نسى موسى إلهه) .

كما أنهم قد كذبوا على جميع الأنبياء والمرسلين عليهم السلام. واتهموا لوطا عليه السلام بأنه زنى بابنتيه. كما اتهموا إبراهيم عليه السلام بأنه تزوج أخته من أبيه سارة، واتهموا إبراهيم وإسحاق بأنهما (كل واحد على حدة) قد قدم زوجته لملك الفلسطينيين (يلقب بأبي مالك) ، وأن إبراهيم أيضاً قدّم سارة لفرعون ملك مصر خوفاً على نفسه، وليغنى منه الأموال والأغنام... إلخ. كما اتهموا يعقوب بأنه مخادع وأنه أخذ العهد والبركة من أبيه إسحاق بعد أن شاخ وعمي بحيلة قذرة بدلا من أخيه عيسو (العيص). كما اتهموا يعقوب بأنه دخل على لية ابنة خاله لابان بدون عقد، لأنه كان عُقد له على راحيل أختها، ولكنه أدخل عليه لية في الظلام فولدت له، وكانت معه بدون عقد زواج. ثم اتهموا يعقوب عليه السلام بالكذب وسرقة أموال خاله لابان ، وأنه أيضا حلف بالآلهة الوثنية. كما اتهموا أبناءه بكل الجرائم البشعة فراؤبين الابن الأكبر زنا بسرية أبيه، ويهوذا بعده زنى بكنته ثامار وزوجة ابنه. وقتل أبناءه الآخرين الأبرياء والنساء والأطفال من الفلسطينيين الذين أرادوا أن يصاهروهم ويتزوج ابن رئيسهم أختهم دينا.. واتهموا يوشع ابن نون

وموسى عليهما السلام بإقامة المجازر للفلسطينيين وأهل مديان وسكان الأرض. وأنهم قتلوا النساء والأطفال، وأن الله حسب زعمهم أمرهم بقتل هؤلاء الأعداء من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.. ثم اتهموا داود عليه السلام بأنه زنى بحليلة جاره، ثم دبر مؤامرة دنيئة لقتله وهو أوريا الحثي، قائد جيوشه. وأن سليمان قد كفر وعمل السحر، قال تعالى عنهم: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة: ١٠٢] وقال تعالى: ﴿لَعَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (٧٨) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُكْرَمِ فَعْلُوهُ لُبْسًا مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٧٩)﴾ [المائدة: ٧٨ - ٧٩] وشنع الله عليهم قتلهم الأنبياء وكفرهم وارتدادهم عن دين الله الحق وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى بن مريم رسول الله، قال تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُوا مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَكَفَرُوا وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨)﴾ [النساء: ١٥٥-١٥٨]

والقرآن الكريم قد قرعهم ووبخهم وأبان زيف عقائدهم، وأظهر جرائمهم، ووصفهم بأقذع الأوصاف ابتداءً من فاتحة الكتاب إلى سورة البيّنة. قال تعالى واصفا إياهم «بالمغضوب عليهم» وهم اليهود و«الضالين» وهم النصارى. قال تعالى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧)﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] ووصفهم في سورة الأعراف بأنهم قردة خاسئين قال تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَرَا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ [الأعراف: ١٦٦].

وقال عن هؤلاء اليهود ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ (٨٩)﴾ بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ (٩٠) وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ آمَنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تُوْمِنُ بِمَا أَنزَلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ (٩١)﴾ [البقرة : ٨٩ - ٩١] وقال عنهم رب العالمين : ﴿سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ [المائدة : ٤٢] . وقال عنهم : ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقْمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ (٥٩)﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرِّ مِّنْ ذَلِكَ مَثُوبَةً عِنْدَ اللَّهِ مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ (٦٠)﴾ وقد وصفهم الله بأقذع الصفات فهم كذبة، فجرة، قتلة، سماعون للكذب، أكالون للسُّحت، وهم القرده والخنازير وعبد الطاغوت. ومع هذا يتحدث بعض من ينتسبون إلى الإسلام عن إخوتهم اليهود والنصارى ويحتجّون على من يدعو عليهم بعد أن ذبحوا المسلمين في العراق وفلسطين وأفغانستان والشيشان والبوسنة وفي كل مكان .. فالله يحشرهم معهم ويجمعهم بهم في جهنم حيث ناصرهم وأيدوهم ودافعوا عن باطلهم وأكاديبهم فكان حقا أن يحشروا معهم ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (٥١)﴾ فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين (٥٢)﴾ [المائدة ٥١ - ٥٢] . وقال تعالى : ﴿وَلَا

تَرَكُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴿ هود : ١١٣ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ [النساء : ١٤٤] .

وهؤلاء الذين يقضون مع أعداء الإسلام والمسلمين ويظاهرونهم قد أُنذِرهم الله تعالى بأنه سيخزيهم في الدنيا والآخرة.. وموالات اليهود والنصارى الذين يحاربون الإسلام والمسلمين ليس أمراً جديداً، بل قد كان ذلك في عهد رسول الله ﷺ حيث وقف معهم المنافقون . وكان اليهود أشدَّ الناس عداوة للذين آمنوا ، وقد حاربوا الرسول محمداً صلى الله عليه وآله وسلم بكل وسيلة ممكنة من الدسِّ والكيد والسحر والسِّمِّ ومحاولة الاغتيال، وتآليب العرب المشركين على المسلمين ومحاربتهم للإسلام والمسلمين يريدون استئصاله، فكان عاقبتهم القتل والخسران والذلة والمهانة .

وفي أثناء قيام الدولة الإسلامية نعموا بالأمن والأمان، طالما كانوا أهل عهد وذمة، ولم يحاربوا الله ورسوله، حتى وصلوا إلى أعلى مناصب الدولة، فكان منهم ما يعادل وزير المالية لفترة طويلة من الزمن، وكان منهم أطباء البلاط خاصة منذ عهد معاوية إلى عهد محمد رشاد آخر خلفاء الدولة العثمانية . بل كان منهم ما يعادل رئيس الوزراء . ومنهم ابن النغريلة اليهودي في الأندلس، فلما تولى منصب الوزارة اغتربَّ وذهب يعارض القرآن ، ويهاجم الإسلام ، ويكذبُ النبي محمداً ﷺ في كتاباته، فردَّ عليه ابن حزم - رحمه الله - ردّاً مفحماً، ثم دعا على من مكَّنه من رقاب المسلمين . فقال : « اللهم إنا نشكو إليك تشاغل أهل الممالك من أهل ملتنا بدنياهم عن إقامة دينهم، ويعمارة قصور يتركونها عما قريب عن عمارة شريعتهم اللازمة لمعادهم ودار قرارهم، ويجمع أموال ربما كانت سبباً إلى انقراض أعمارهم، وعوناً

لأعدائهم عليهم، عن حيابة ملتهم التي بها عزّوا في عاجلتهم ، وبها يرجون الفوز في آجلتهم، حتى استشرّف لذلك أهل القلّة والذلة (وهم اليهود)، وانطلقت السنة أهل الكفر والشرك بما لو حقّق أهل النظر، أرباب الدنيا، لاهتموا بذلك ضعف همّنا لأنهم مشاركون لنا فيما يلزم الجميع من الامتعاض للديانة الزهراء، والحميّة للملّة الفراء. ثم هم بعد متردّون بما يؤول إليه إهمال هذه الحال من فساد سياستهم والقبح في رئاستهم، فلأسباب أسباب، وللمداخل إلى البلاء أبواب والله أعلم بالصواب».. ثم أنهى رسالته بقوله : «إن أملي لقوي، وإن رجائي مستحکم في أن يكون الله تعالى يسلّط على من قرّب هؤلاء وأدناهم، وجعلهم بطانة وخاصة ، ما سلّط على اليهود، وهو يسمع كلام الله تعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴾ [المائدة ٥١] . ثم استعرض كثيرا من الآيات في الباب ثم قال : «فمن سمع هذا كله ثم أدناهم وخالطهم بنفسه من ملوك الإسلام فإنه إن شاء الله قمين على أن يحيق الله عزّ وجلّ ما أحاق بهم من الذلة والمسكنة والهوان والصفار والخزى في الدنيا ، سوى العذاب المؤلم في الآخرة».

وللأسف قد كان ذلك كله كما قال ابن حزم فذهبت «دولة المسلمين في الأندلس لأنهم استعانوا على حرب إخوتهم بهؤلاء اليهود والنصارى فأدّى ذلك إلى ذهاب ريحهم واستيلاء الفرنجة على ممالكهم.. حتى لم يبق منهم أحد على دينه إلا من هرب من تلك البلاد ولجأ إلى بلاد المسلمين في العدو الأخرى (بلاد المغرب الكبير بما في ذلك تونس والجزائر والمغرب الحالية) وأراضي الدولة العثمانية. وهو أمر محزن

ومشير للكآبة فقد تكررت مذابح المسلمين وهوانهم على مدى قرون من هؤلاء النصارى واليهود. ولا مخرج للمسلمين ولا منجى من هذه المذابح المتكررة إلا أن يراجعوا دينهم ويتمسكوا بحبل الله جميعا . ولا حول ولا قوة إلا بالله به نعتصم وعليه نتوكل وإليه ننيب .

تحريف التوراة :

وقد أوضح القرآن الكريم أن التوراة التي أنزلها الله سبحانه وتعالى على موسى ﷺ هدى ونورا قد حرّفها بنو إسرائيل. قال تعالى : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَنْ يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾ (٧٥) ﴿ [البقرة ٧٥] . وقال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيٍّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴾ (٧٨) ﴿ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴾ (٧٩) ﴿ [البقرة ٧٨ - ٧٩] . وقال عز من قائل : ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة ١٣] . وقال تعالى : ﴿ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخِرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تَأْتِكُمْ فَاحْذَرُوا وَمَن يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يُرِدِ اللَّهُ أَن يَطَهِّرْ قُلُوبَهُمْ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾ (٤١) ﴿ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ ﴾ [المائدة : ٤١ - ٤٢]

وقد أخذ التحريف أشكالا عدة . قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٧١) ﴿ [آل عمران : ٧١] وفيه تلبيس الحق بالباطل، والباطل بالحق حتى تتم المغالطة والمخادعة

بالإضافة إلى كتمان الحق . وهو ما جاءهم من صدق نبوة محمد ﷺ والبشارات التي جاءت فيه في كتبهم فطمسوها وأخفوها وحرّفوها . قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْبِسُوا الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٤٧) [البقرة ٤٢] . وقد روت صفية بنت حيي بن أخطب زعيم اليهود في المدينة بعد أن أسلمت وتزوجها النبي محمد ﷺ بعد فتح خيبر أنها سمعت عمها يسأل أباهما عند مقدم النبي محمد ﷺ المدينة : «أهو هو النبي الذي نتظر» فقال حيي : «والله إنه لهو هو النبي.. ولكننا لا نؤمن به . وعزم على معاداته أبد الدهر» .

وقال عنهم: إنهم لم يكتفوا بذلك كله بل حرّفوا الكلم عن مواضعه قال تعالى : ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ ﴾ [المائدة: ١٣] . وغيروا معانيه.. ولم يكتفوا بذلك بل كتبوا أشياء كثيرة في التوراة ونسبوها زورا وبهتانا إلى الله سبحانه وتعالى كما تقدم معنا من الآيات الكريمة .

ولا يستغرب ذلك فقد عبدوا الأوثان وموسى بين ظهرانيتهم، واتهموا هارون ﷺ بأنه هو الذي صنع لهم العجل.. وثاروا على موسى ﷺ مرات ، وكفروا به ، ولهذا جعل موسى ﷺ التوراة عند الكهنة من سبطه وهو سبط اللاوي. ثم إن الكاهن يضع التوراة في التابوت في المكان المقدس ولا يمكن أن يطلع عليها أحد قط سواه. وأعطاهم سورة واحدة يتلوننها وهذه أيضاً حرّفت تحريفا شديدا. وبما أن بني إسرائيل ارتدوا وعبدوا الأوثان في عهد القضاة الذي امتد على الأقل ١٤٠ عاما فإن التوراة لم يكن يعرفها إلا الكاهن الأكبر، وكان عليه أن يقرأ عليهم منها في عيد المظال مرة كل عام، ثم يعيدها إلى التابوت، ولا يطلع عليها أحد سواه. فلما ارتدوا وعبدوا الأوثان بطل عيد المظال..

ثم في عهد الملكية ارتدوا وعبدوا الأوثان وخاصة في مملكة إسرائيل (مملكة الشمال وهي مملكة الأسباط العشرة). وقد ارتدت أيضا مملكة الجنوب (مملكة أورشليم) وعبدت الأوثان، ولكن وجد منها على الأقل خمسة ملوك مؤمنين من بين عشرين ملكا. أما مملكة الشمال فكانت طوال عهدها حتى نهايتها سنة ٧٢١ قبل الميلاد مملكة وثنية، وقتلوا في أثناء حكمهم مئات الأنبياء الذين أرسلوا إليهم. وكذلك فعلت مملكة أورشليم (مملكة الجنوب) ما عدا فترات قليلة ظهر فيها خمسة ملوك مؤمنين. واستمرت حتى قضى عليها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ ق.م وهي تعبد الأوثان. وإذا كانوا قد اتهموا سليمان ﷺ بأنه عبد الأوثان وأقام لها المعابد وأتبع زوجاته الأجنبية الألف، فإن من جاء بعده صدقوا هذه الأكاذيب، وقاموا هم بعبادة الأوثان والذبح لها، بل ذبحوا أبناءهم من أجل التقرب لها .

وبهذا ضاعت التوراة ضياعا تاما بين الحروب الكثيرة التي لا تنتهي وبين الرذلة العامة وعبادة الأوثان، والتوراة من الأصل كانت مخفية لدى الكاهن الأكبر، وكان من المفروض أن يتلوها عليهم في عيد المظال فقط. وهذا العيد قد بطل منذ أزمان طويلة فانتهدت بذلك التوراة ثم قام النبي أرميا بن حلقيا الكاهن بإظهار نسخة من سفر تشية الاشرع وكان حلقيا الكاهن قد استطاع أن يقنع الملك جوشيا بأن يترك عبادة الأوثان وذلك سنة ٦٢٠ قبل الميلاد (وذلك في مملكة الجنوب أورشليم). ثم ارتدت أورشليم وعبدت الأوثان. وتم تدمير مملكة إسرائيل على يد الآشوريين سنة ٧٢١ ق.م. وتدمير أورشليم على يد نبوخذ نصر البابلي سنة ٥٨٦ ق.م وتم النفي إلى بابل ثم قام الكاهن عزرا بوضع توراة جديدة لهم بعد العودة من المنفى أي بعد سنة ٥٢٨ قبل الميلاد وشدد عليهم في العزلة وتحريم الزواج من الأجانب غير اليهود .

ولكن هذه التوراة أيضا ضاعت أجزاء كثيرة منها على ما فيها من تحريف. وتم كتابة التوراة اليونانية على عهد بطليموس الثاني كما يزعمون على يد ٧٢ حبرا في ٧٢ يوما (عهد بطليموس الثاني من ٢٨٥-٢٤٦ قبل الميلاد في الإسكندرية). وتقول الدراسة القيمه للرهبانية اليسوعية بأن ما اشتهر باسم الترجمة السبعينية والتي هي أصل المدونات الرسمية للكتاب المقدس هي أمر أسطوري، ولكنها توضح أهمية التوراة اليونانية، وأن من حق المترجمين أن يضيفوا إليها ويحذفوا منها ما يرونه مناسبا. ويقولون : إن هذه التوراة لم تكتب في ٧٢ يوما بل على عدة قرون .

ومن هذا كله نخلص إلى أن التوراة الحققة قد ضاعت ، ولم يبق منها إلا شذرات وآيات تلمع مثل الجواهر والألماس هنا وهناك ضمن مزبلة من القاذورات وركام من الأوساخ والحقارات.

وقد ذكرنا في المقدمة نص ما قالته الرهبانية اليسوعية في شرحها لكتب الشريعة الخمسة أي التوراة. «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولا لكنهم على أي حال لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم.. معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمنا طويلا بين الشعب وهي تحمل ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية ..» وتقول : «لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحيا من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة» .

وقد توصل علماء الأديان من اليهود والنصارى في العصر الحديث بما في ذلك الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي أن التوراة لم يكتبها

موسى ﷺ، بل كتبت بعد زمنه بما يقرب من ألف عام. وأنها أخذت زمنا طويلا حتى تجمعت وأضيف إليها وأسقط منها، وأن هذه التوراة لم تنزل من السماء ولا أتى بها موسى، ولا حتى كتبها هو وألفها هو، بل إن موسى لم يعلم بها قط، هذا إن كان لموسى وجود تاريخي حقيقي، وليس مجرد أسطورة، وأن هذه الكتب المعروفة باسم التوراة وكتب الأنبياء.. إلخ كتبت على أيدي آلاف الكتاب المجهولين على مدى أكثر من ألف عام ولا علاقة لها بموسى أبداً .

أما نحن المسلمين فنقول : إن الله سبحانه وتعالى أنزل على موسى التوراة هدى ونور وأن بنى إسرائيل قد أضاعوها في فترة ردّتهم وحرورهم وعبادتهم للأوثان. وأنهم كتبوها من عند أنفسهم وبقيت مع ذلك منها آيات معدودات مثل الوصايا العشر، وإخلاص العبادة لله، وعمل الخير والإحسان إلى الجار والمسكين والأرملة، كما بقيت فيها بعض الإشارات بمقدم النبي محمد ﷺ . وهي في الأصل كتاب نوراني، ولكن الأكاذيب والتحريفات قد رانت على هذا النور وغطت عليه بظلمات بعضها فوق بعض حتى لا يُرى فيها بصيص من نور (عدا هذه الآيات المعدودات) .

والخلاصة.. أنه لا علاقة لهؤلاء اليهود بالتوراة الحقّة ولا علاقة لهم ، لا بموسى ولا بهارون، ولا بالأنبياء الكرام، وأنهم جميعا قد لعنوهم بما فيهم داود وعيسى ابن مريم عليهم السلام جميعا .

ونحن أحق بموسى وهارون وداود وسليمان منهم. والقرآن الكريم هو الذي برأهم مما قالوه وافتروه بحقهم وحقّ جميع الأنبياء. وإذا كانوا قد شتموا رب العالمين وقالوا ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ و ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ فلا غرابة أن يقولوا في كتبهم المحرّفة أن الله قد خلق

آدم على صورته . على صورة الله خلقه «كشبهنا» . وأن الله لا يعلم الغيب ، وأنه يغار من بني آدم ولا يريدهم أن يعرفوا ، بل يريدهم جهلة ، ولا يريدهم أن يتحدوا بل يريدهم مفرقين مشتتين حتى لا يتحدوا ضده ، وأن الله هو رب إسرائيل فقط . ولا يهتم بسواهم مهما فعلوا به .. وأن الرب ينام حتى يقول له داود : «استيقظ من نومك» ، وأنه يندم ويبيكي على ما فعله بابنه البكر إسرائيل ، وأنه كان يكلمهم ويعيش معهم في خيمة الاجتماع ، وأن الفلسطينيين قاموا بأسره بعد أن قاتل مع اليهود وانهزم ولم يستطع أن ينقذهم ولا أن ينقذ نفسه ، ومكث مأسورا لدى الفلسطينيين سبع سنين ، ثم ضربهم بالبواسير والفئران ، فأطلقوا سراحه . وأنه عندما ارتد بنو إسرائيل وعبدوا الأوثان أرسل النبي هوشع وقال له : (اذهب أيضا أحب امرأة ، حبيبة صاحب ، وزانية ، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى) (سفر هوشع ٢) وأمره بالزواج من جומר بنت دوبلايم الزانية ، وأن يخالل امرأة رجل آخر لأن هكذا فعلت إسرائيل بالرب فهو يُحبها ، وهي تخونه مع رجال آخرين !!

والخلاصة أن هذه التوراة ، وما يسمى العهد القديم كله ، ملء بالافتراءات والأكاذيب على الله وعلى رسله وأنبيائه . وفيه من الحقارات والبشاعات ما لا يستطيع الإنسان أن يذكره . فما أوقحهم وشدة كفرهم وتطاولهم على رب العالمين وعلى أنبيائه ! وهم مع ذلك يعتقدون اعتقادا جازما أنهم أبناء الله وأحباؤه على الحقيقة وعلى المجاز . وأنه كما يفضب الأب من ابنه العاق إلا أنه لا يرميه للكلاب (وهم الأمم الأخرى) ، وخاصة إذا عاد هذا الابن العاق لأبيه ، مهما كانت جرائمه وحتى لو تكررت مئات المرات ، فإن هذا الأب يقف مع

ابنه ضد جميع الأمم (الجويم) الذين لم يخلقهم إلا لخدمة اليهود، فكما خلق الحمير والبغال لخدمة الإنسان ، خلق بقية البشر لخدمة أبنائه اليهود ..

ولا توجد عقيدة عنصرية وصادية ونازية وفاشستية أشد من هذه العقيدة .

والتوراة المحرّفة من أولها إلى آخرها ليس فيها ذكر لليوم الآخر. وجميع الأنبياء المذكورين لم يدعوا الناس إلى عبادة الله وحده، بل كان همّ نوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب أن يقدموا القرابين واللحم المشوى الذي يحبّه الربُّ جداً في مقابل أن يعطيهم أراضى الغير، أرضاً تفيض لبناً وعسلاً، وأن ينصرهم عليهم، ويبيدهم من أجلهم، من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني.

وليس في هذه التوراة المحرّفة أي ذكر للجزاء يوم القيامة، بل الجزاء في الدنيا : أموال وصحة وتجبر وطاقوت ، وحكم على الآخرين والاستبداد بهم وقتلهم وتشريدهم. وهذا كله لصالح ابنه البكر إسرائيل. فإذا رفض ابنه البكر أن ينصاع له وذهب يعبد آلهة أخرى، ويقدم لها القرابين، فإن الرب يغضب على بنيه ويبيعهم لأمم أخرى، يذلّونهم حتى يرجعوا إليه، فإذا رجعوا وهبهم النصر والقوة والبطش، وجعلهم يذبحون الأمم من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني، ويعطيهم أرضهم وديارهم وأموالهم غنيمة لهم. ويجعلهم كلهم عبيداً لهم .

فأي دين هذا الذي يتحدثون عنه أنه دين سماوي؟؟ فأين هم من السماء! وأين هم من الدين الحق؟ إنهم قوم يعمهون وفي ضلالهم وأكاذيبهم يؤفكون .

الرد على النصارى:

وإذا كان القرآن الكريم قد اعتبر اليهود هم «المغضوب عليهم» فإنه قد اعتبر النصارى هم «الضالين» وقد أمر الله سبحانه وتعالى المسلمين أن يتلوا سورة الفاتحة فى كل صلاة. وأقل ما يتلوه المسلم سبع عشرة مرة يوميا قائلًا: ﴿ اِهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (٦) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ (٧) ﴾ [الفاتحة: ٦ - ٧] .

وقد جادلهم القرآن الكريم وصنّفهم إلى مجموعات مختلفة، فمنهم من آمن ومنهم من كفر. وقد أتى الله على الذين آمنوا من النصارى كما أتى على الذين آمنوا من اليهود من أمثال عبد الله بن سلام رضي الله عنه، ومخيريق خير يهود كما وصفه الرسول صلى الله عليه وسلم. وقد أسلمت صفية بنت حبي بن أخطب زعيم يهود، وتزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم، وكانت إحدى زوجاته وإحدى أمهات المؤمنين رضى الله عنهن وأرضاهن، وجعل الجنة مثواهن. وكما أسلمت صفية اليهودية أسلمت أيضا أم إبراهيم مارية القبطية التي أرسلها المقوقس حاكم مصر هدية للرسول صلى الله عليه وسلم، فأسلمت، وتوفى ابنه إبراهيم صغيرا رضيعا. وقد حزن عليه الرسول صلى الله عليه وسلم حزنا شديدا وبكى عليه وقال: «وانا لضراقتك يا إبراهيم لمحزونون. ولكننا لا نقول إلا ما يرضى الرب» .

وقد مدح الله سبحانه وتعالى وفد النجاشي الذين أسلموا وآمنوا قال تعالى: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ (٨٢) وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ

(٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ [المائدة : ٨٢ - ٨٥] .

وكما مدح هؤلاء القوم الأبرار الذين أسلموا وصدقوا، ومنهم النجاشي رضي الله عنه وبعض أحباره، فإن الله سبحانه وتعالى وصم النصراري الذين جعلوا الله ثالث ثلاثة والذين قالوا : إن الله هو المسيح ابن مريم، وعبدوا عيسى عليه السلام وبعضهم أيضا عبد أمه - وصم الله سبحانه وتعالى هؤلاء جميعا بفرقهم المختلفة بالكفر. قال تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صَدِيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئْنَا لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة : ٧٣ - ٧٧]

وهؤلاء هم غالبية النصراري اليوم، ومنهم الكاثوليك والبروتستانت. وكان يقال لهم الملكانية، لأن هذه هي عقيدة الملك أو الإمبراطور الروماني قسطنطين، ثم من جاء بعده من أباطرة روما أو القسطنطينية، والتي تجسدت في عقيدة مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد ويسمونها الأمانة وهي كالتالي : «نؤمن بإله واحد : الله الأب الكلي القدرة، خالق كل شيء ما يرى وما لا يرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح، ابن الله ، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق. من ذات الجوهر مثل الأب. به

خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسّد وعاش بين الناس، الذي تألم، وفي اليوم الثالث قام وصعد إلى السموات ويأتي ليدين الأحياء والأموات «ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محبته، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية (كاثوليكية) وبقيامة أبداننا وبالحياة الدائمة أبد الأبدين» .

وقانون الأمانة هذا وضع على مراحل ففى مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ وضع الجزء الأول «نؤمن بإله واحد ... إلخ .

وفى مؤتمر القسطنطينية عام ٣٨١ أضيف إليه «ونؤمن بروح القدس...» .

وفى مجمع أفسس عام ٤٣١ وضعت الخاتمة وهى «نعظّمك يا أمّ النور الحقيقي ونمجّدك أيّها العذراء المقدّسة، والدّة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم أتى وخلص نفوسنا. المجد لك يا سيّدنا وملكننا المسيح فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا، نبشّر بالثالوث المقدّس ، لاهوت واحد، نسجد له ونمجّده، يا رب ارحم، يا رب بارك. آمين» .

ثم اختلفوا بعد ذلك هل للمسيح عيسى ابن مريم طبيعة واحدة أو طبيعتان. وقال الملكانية (وهم فيما بعد الكاثوليك والبروتستانت وجميع نصارى أوروبا وما تفرع عنها) بأن المسيح له طبيعتان : إلهية وإنسية، وهو ما يعبر عنه باللاهوت والانسوت. وإن مريم العذراء «ولدت إلهنا» كما يقول ابن البطريرق «ربنا يسوع المسيح الذي هو مع أبيه فى

الطبيعة الإلهية، ومع الناس في الطبيعة الإنسانية». وشهدوا أن المسيح له طبيعتان وأقنوم واحد. وأن الذي صلب ومات على الصليب هو الإنسان ومعه الله. وأن الله - رغم ذلك - لم يمته ولم يصب. وأن الذي كان يجوع ويألم ويقول عن نفسه إنه لا يعلم الغيب ولا يعلم متى الساعة؟ هو الإنسان وليس الله. ومع ذلك فإن المسيح عيسى ابن مريم هو الله وهو ابن الله من جوهر الأب، وقد اتحدت الطبيعتان اتحاداً تاماً. وهو أمر أدى إلى مزيد من الانشقاق، ولذا جاء المونوفست القائلون بالطبيعة الواحدة. وهو قول بطريك الإسكندرية ديسقورس ومن شايعه، وعُرفت فيما بعد باسم اليعقوبية نسبة إلى يعقوب البراذعي (السروجي) أسقف أديسا (Jacob Baradous) (٥٤٢ - ٥٧٨ ميلادية) الذي دافع عن هذا المذهب ونشره، فعُرف المذهب باسمه. وعرفوا لذلك باسم اليعقوبية (Jacobites) كما عرفوا باسم الديانة المستقيمة الأرثوذكس (Orthodox) وسمّوا أنفسهم الموحدين أو أصحاب الطبيعة الواحدة (Monophysites) المونوفست. وهذه العقيدة هي عقيدة الكنيسة المرقسية القبطية أي عقيدة أقباط مصر ومن تبعهم من السودان والحبشة وإرتيريا.. إلخ ويقولون: إن المسيح ليس له إلا طبيعة واحدة. وأن الذي حملت به مريم هو الله. وأن الله في تلك الفترة كان في رحمها، ثم خرج طفلاً رضيعاً ثم يافعاً، ومرّ بمراحل الطفولة والشباب.. إلخ وكان يتعلم لدى الأقباط ويتعب وينسى، ويجوع ويتألم، وكل ما فعله من أفعال البشر إنما هو في الظاهر.. وأن الذي صلب ومات ودفن هو الله، وبقي الكون ثلاثة أيام بدون إله!! ثم قام من قبره.. وهي عقيدة أشد سَخفاً.. وبلاهة من سابقتها.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ

الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ [المائدة : ٧٢] .

ثم جاء نسطورس وجاء بعقيدة جديدة وهو أن مريم حملت بالناسوت، وأن الذي صلب ومات على الصليب ودفن هو الناسوت.. وأن الذي كان ينسى ويألم ويبكي ويصرخ، ويجوع ولا يعلم الغيب هو الناسوت وليس اللاهوت. ومع ذلك فعيسى ابن مريم مكون من الاثنين: الناسوت واللاهوت .

وظهرت جماعة أخرى عبدت مريم مع المسيح وظهرت هذه الفرقة في أفسس (في تركيا الآن) وكانت هذه المدينة مركز عبادة الآلهة ديانا. وقد أدى ذلك إلى ظهور عبادة مريم العذراء، عند الكولديين، وفي بعض مناطق تراقيا وسيثيا (في اليونان) وكان معظم أتباع هذه النحلة من النساء. وكانت هناك معابد خاصة لمريم، كما كان لها كاهنات يحتفلن في أيام معلومة بها، ويقدمن اللحم المشوي لمريم ثم يأكلنه معها. وهي احتفالات تشبه القربان المقدس حيث يُقدّم فيها اللحم والخبز والنبيد. وقد اندثرت هذه الفرقة التي تعبد المسيح ومريم، وأقرت الفرق الأخرى بمكانة مريم، وخاصة الكاثوليك، ووضعوا لها التماثيل، وأنها في السماء تشفع لهم. وقدموا لها أيضا القرايين، ولكنهم لم يدخلوها في المثلث الإلهي : الأب، الابن، الروح القدس. وهي أم الله عندهم، وبالتالي دخلت في النورانية الإلهية ولكنها ليست من الأقانيم الثلاثة .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى هذه الفرقة التي عبدت مريم مع يسوع قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِهْنِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ

قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ
 (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا
 مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
 شَهِيدٌ (١١٧) ﴿ [المائدة : ١١٦ - ١١٧] .

الإنجيل وخریفه :

قال تعالى : ﴿ وَقَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ
 التَّوْرَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى
 وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ (٤٦) ﴿ [المائدة : ٤٦] . وقال تعالى : ﴿ وَلِيَحْكُمَ أَهْلُ
 الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ
 (٤٧) ﴿ [المائدة : ٤٧] . وقال تعالى : ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ (٢)
 نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ (٣) مِنْ قَبْلِ
 هُدًى لِّلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ ﴿ [آل عمران : ٢-٤] .

والغريب حقاً أن جميع فرق النصارى القديمة والحديثة تتكر إنكارا
 تاما بأن الله أنزل على عيسى ﷺ كتابا اسمه الإنجيل . وكلها تقول :
 إن هناك عشرات الأناجيل التي كتبت بعد رفع عيسى إلى السماء، وأن
 الذين كتبوها اختلفوا اختلافات شديدة، ولم يقل أحد منهم أن
 الإنجيل كتاب أنزله الله من السماء على عيسى، ثم إنهم بعد ذلك
 اجتمعوا في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٧ ميلادية وقرروا قبول أربعة أناجيل
 فقط من بين عشرات الأناجيل . وكان الذين قرروا ذلك هم ٣١٨ أسقفا
 من بين ٢٠٤٨ أسقفا جمعهم الإمبراطور قسطنطين . وبما أن
 الإمبراطور قد وافق هؤلاء الثلاثمائة والثمانية عشر فإن رأيهم في
 المسيح وتحويله إلى الأقبوس الثاني، في التشكيبة الإلهية هو الذي قبل،
 كما أن رأيهم في قبول أربعة أناجيل فقط هو الذي اعتمد .

وهذه الأناجيل هي إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا. ويتكون العهد الجديد المعتمد لدى النصارى من هذه الأناجيل الأربعة وسفر أعمال الرسل الذي وضعه لوقا، ومجموعة رسائل بولس، ورسالة يعقوب، ورسالتى بطرس، وثلاث رسائل ليوحنا وسفر الرؤيا ليوحنا أيضا ورسالة يهوذا. ومجموعة هذه الأسفار ٢٧ سفرا .

وهم ينكرون إنجيل عيسى ﷺ ، ومع أن إنجيل مرقس ١٥/١ يقول: «جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول : «قد كمل الزمان، واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل»، وفى رسالة بولس إلى أهل رومية (١/١) : «بولس عبد يسوع المسيح المدعو رسولا المفضز لإنجيل الله الذى سبق بوعد به لأنبيائه فى الكتب المقدسة» .

ويقول بولس فى رسالته إلى أهل غلاطيه (٦/١، ٧) : «إنى أتعجب أنكم تنتقلون هكذا سريعا عن الذى دعاكم بنعمة المسيح إلى إنجيل آخر. ليس هو آخر غير أنه يوجد قوم يزعمونكم ويريدون إنجيل المسيح» .

ويقول أيضا فى رسالته إلى أهل تسالونيكى الأولى (٨/٢، ٩) : «هكذا إذا كنا حائنين إليكم، كما نرضى أن نعطيكم لا إنجيل الله فقط بل أنفسنا أيضا لأنكم صرتم محبوبين، فإنكم تذكرون أيها الإخوة تعبنا وكنا إذ نكرز (اي نبشر) بإنجيل الله» .

وقد ثبت أن بولس سابق على كتاب الأناجيل، وأن لوقا أحد تلاميذه هو كاتب إنجيل لوقا .

وإنجيل عيسى ﷺ كان بالأرامية لأن لغة يسوع وقومه كانت الأرامية آنذاك. ولكن لا يوجد إنجيل بالأرامية، وكل الأناجيل كتبت باللغة اليونانية، وهى لغة لا يعرفها يسوع ولا قومه، وكتبت بعد رفعه

إلى السماء بفترة زمنية تصل إلى أكثر من مائة عام.. ثم ترجمت تلك الأنجيل إلى لغات عدة ، ومنها اللغة الآرامية .

ويجمع النصارى بأنه لا يوجد أصلا إنجيل لعيسى ويفسّرون ما ورد في إنجيل مرقس ورسائل بولس تفسيرات تبعتها كل البعد عن مفهوم إنجيل عيسى ﷺ .

تقول الدراسة القيمة فى مقدمة الكتاب المقدس (العهد الجديد) التى أصدرها الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمى وقامت بترجمتها الرهبانية اليسوعية فى بيروت (الطبعة ١٩ لسنة ٢٠٠٠ دار المشرق) «إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمّها فى مجموعة واحدة أدّى إلى تطوّر طويل ومعقّد، والفجوة التاريخية والجغرافية والثقافية التى تفصلنا عن عالم العهد الجديد هي عقبة كأداء. وقد رأى اللاهوتيون المسيحيون فيما بعد أن مجموعة رسائل بولس والأنجيل تحتوي على تعاليم للخلاص.. ونتيجة للرغبة فى التحيّز عن اليهود أسموا تلك الأسفار العهد الجديد، واعتمدها للطقوس الليتورجية فى الكنائس .

«وقد نسخت تلك النصوص مرارا، واختلفت تلك النسخ اختلافا شديدا. إن نسخ العهد الجديد التى وصلت إلينا ليست كلها واحدة، بل يمكن للمرء أن يرى فيها فوارق مختلفة الأهمية ولكن عددها كثير جدا .

وتقول : «إن نص العهد الجديد قد نسخ ثم نسخ طوال قرون كثيرة بيد نساخ صلاحهم للعمل متفاوت. وما من واحد منهم معصوم من مختلف الأخطاء التى تحول دون أن تتصف أي نسخة - مهما بذل فيها من جهد - بالموافقة التامة للمثال الذى أخذت عنه. يضاف إلى ذلك

أن بعض النُّسَخ حاولوا أن يَصوَّبوا ما جاء في مقالهم وبدا لهم أنه يحتوي على أخطاء واضحة، أو قلة دقة في التعبير الإلهي، وهكذا أدخلوا إلى النص قراءات جديدة تكاد تكون كلها خطأ... ومن الواضح أن ما أدخله النُّسَخ من التبدل والتغيير على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر فكان النص الذي وصل إلى عهد الطباعة (في القرن الخامس عشر الميلادي) مثقلا بمختلف ألوان التبدل التي ظهرت في عدد كبير من القراءات».

وتقول : و «هدف أصحاب النقد (أى نقد نصوص العهد الجديد) أن يوضِّحوا بجلاء نوع التَّدخُل الذي قام به الناسخ والأسباب التي دعت له لذلك. وقد حصل علماء نقد النصوص خلال المائة وخمسين عاما الماضية على معلومات جديرة بالإعجاب. إن هذه النتائج مكَّنت من التقدّم الكبير الذي يراه المرء إذا قارن بين طبعات العهد الجديد الحديثة والطبعات التي ظهرت منذ عام ١٥٢٠ إلى نحو سنة ١٨٥٠ قبل ظهور قواعد علم نقد النصوص.. ولا تزال التحسينات والتصويبات مستمرة في كل طبعة من طبعات الكتاب المقدس، وخاصة بعد ظهور انتشار مخطوطات قمران» .

وهكذا تتغير الطبعات بحيث لا يمكن أن تتطابق أي طبعتين للكتاب المقدس. وهو كتاب يتم تغييره كل ربع قرن تقريبا .

ويقول الباحث المسيحي القسيس تـكـر T.G. Tucker : «أُلِّفَت الأناجيل لكي تعكس بصورة واضحة أفكار المجتمعات والحاجيات الفعلية لها.. ولم يتورَّعوا عن تعديلها وتغييرها أو الإضافة إليها أو الحذف منها بما يتفق مع هدف الكاتب»^(١) .

(١) انظر تفاصيل أقوال المصادر المسيحية في العهد الجديد في كتابي دراسات معاصرة في العهد الجديد والمعائد النصرانية دار القلم دمشق ٢٠٠٦ ص ٦٠ - ٨٠ .

ويكفيها ها هنا أن ننقل ما جاء في كتاب الأب سیداروس اليسوعي في كتابه «تكوين الأناجيل» الذي أصدرته الرهبانية اليسوعية في بيروت وهو أحد سلسلة دراسات رسمية موثقة لديهم .

يقول : «ليس الكتاب المسيحي (يقصد العهد الجديد) كتاباً منزلاً كتبه الله، بل هو كتاب بشر بإلهام الروح القدس، وسيجرتنا الحديث إلى أن نقرّ بأن الكتاب كان في بداية أمره عبارة عن رواية شفوية تداولتها الجمعيات المسيحية الأولى، ثم دوّنها الإنجيليون الأربعة، كلٌّ بأسلوبه الخاص، وقصده اللاهوتي الخاص .

«وستقودنا دراستنا إلى الإقرار بأن هذه الأناجيل الأربعة ليست بمثابة تحقيق صحفي أو كتاب تاريخ يراد به تدوين وقائع حديث لرجل اسمه يسوع الناصري. فالأناجيل هي شهادة وإعلان ليسوع المجد في سرّ موته على الصليب وقيامته من بين الأموات. ومن منطلق سرّ حدث موته / قيامته كمحور وهدف، ذهبت الأناجيل إلى سرد أحداث حياة يسوع الناصري من ميلاد ومعجزات وأقوال.. فكل ما قلناه يكفي ليقنع باحثاً سطحياً أن الأناجيل قد حرّفها المسيحيون، إذ بين يسوع الناصري والروايات الشفهية والتدوين الرباعي عن يسوع المجد فجوة وهاوية. والحقيقة كما تبينناها هي أن الأناجيل والعهد الجديد بمجمله كتاب إيمان لا كتاب تاريخ» .

وتقول دائرة المعارف البريطانية^(١): «إن مرور فترة طويلة من الزمان تم فيها التعاليم والكتب شفويا أدى إلى حذف ، واختصار، وإضافة لتلك التعاليم والكتب، وتغييرها تغييرا كبيرا جدا.. ثم إن المعضلة زادت بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون. وكان كل كاتب يضيف ما

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ الميكروبيديا ج ٢/٨٨٤، ٨٨٥، ٨٩١ .

يراه مناسباً. ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب أيضاً واجهت عمليات متعدّدة من التغيير المتعمد وغير المتعمد» وتقول: إن طبعة الملك جيمس الموثقة والمعترف بها والتي ظهرت عام ١٦١١ تم تغييرها بواسطة مجمع كانتري بري الكنسي والذي صدر عام ١٨٧٠ حيث وجدوا ثلاثين ألف خطأ، منها خمسة آلاف خطأ فاحشاً. وهكذا تستمر التصويبات إلى اليوم في كتاب يقرُّ أهله وعلماءه بأنه لا أصل له ولا علاقة له بـعيسى عليه السلام ولا بالحواريين .

مجادلة أهل الكتاب عند المسلمين :

بعد أن استعرضنا بعض ما جاء في القرآن الكريم من مجادلة أهل الكتاب، ووصف عقائدهم الباطلة وزيفها وتحريف كتبهم (التوراة والإنجيل)، وكيف أن علماء اليهود والنصارى اليوم بما في ذلك الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي، يقرّون بأن كتابهم المقدس (العهد القديم بما فيه التوراة والعهد الجديد بما يحويه من الأناجيل) كتبه بشر على مدى أكثر من ألف عام أو يزيد بالنسبة للعهد القديم ومئات السنين بالنسبة للعهد الجديد. وأن هذه الكتب حُرِّفت وبُدِّلَت مئات المرات، ولا تزال التعديلات والتصويبات والتصحيحات مستمرة إلى اليوم .

بعد أن استعرضنا ذلك كله فإنني بإذن الله تعالى وحوله وقوته سأحاول باختصار شديد استعراض بعض ما كتبه المسلمون من العرب وغيرهم، وممن دخل في الإسلام من هؤلاء اليهود والنصارى، وإذا مدَّ الله في العمر جعلت ذلك كتاباً مستقلاً .

وقد عُنِيَ المسلمون أشد العناية بالقرآن العظيم ودراسته وتفسيره وتطبيقه. وبما أن القرآن العظيم قد جادل اليهود والنصارى وردَّ عليهم

وفضح زيف أعمالهم وعقائدهم كما مدح من آمن منهم فإن المفسرين ابتداء من ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس قد شرحوا هذه الآيات الكريمت، وحفظها لنا أهل التفسير. وهي تشكل مادة ضخمة جداً جديرة بالدراسة المستقلة ووضع رسائل دراسية عليها فيها. كما أن كثيرا من الكتاب المحدثين قد وضعوا كتباً مستقلة عن اليهود في القرآن الكريم ومنهم الشيخ محمد طنطاوي شيخ الأزهر الحالي، وكانت تلك رسالته في الدكتوراه .

اطلاع بعض الصحابة على ترجمات التوراة :

وقد كان بعض الصحابة يطلعون على ما جاء من ذكر الرسول محمد ﷺ في التوراة والإنجيل، وخاصة بعد أن تكررت الإشارة إلى ذلك في القرآن العظيم. قال تعالى : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سَوَاقٍ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح : ٢٩]

وقد أخرج البخاري في صحيحه في كتاب البيوع (باب كراهية السخب في الأسواق) وكتاب التفسير (سورة الفتح) عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنه عندما سئل عن وصف النبي محمد ﷺ في التوراة (وكان عبد الله يقرأ التوراة والكتب القديمة) قال : أجل والله إنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ [الأحزاب : ٤٥] وحرزا للأمة فأنت عبدي ، ورسولي، سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة، ولكن يعفو ويغفر، ولن

يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح بها أعينا عميا، وآذانا صمًا وقلوبًا غلفاً .

وهذا يدل على أن التوراة وغيرها من كتب العهد القديم قد تمت ترجمتها إلى اللغة العربية في تلك الفترة المتقدمة. فقد وردت هذه البشارة في سفر أشعيا ، وذكرها متى في إنجيله على اعتبار أنها بشارة بيسوع المسيح، ففي إنجيل متى (١٢/١٤-٢٢) : «فلما خرج الفريسيون تشاوروا عليه لكي يهلكوه، وانصرف من هناك وتبعته جموع كثيرة فشافهم جميعا وأوصاهم أن لا يظهروا ، لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل : هو ذا فتاي الذي اخترته. حبيبي الذي سُرَّتْ به نفسي. أضع روحي عليه فيخبر بين الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته. قسبة مرضوضة وفتيلة مُدخنة لا يطفئ ، حتى يخرج الحق على النصره، وعلى اسمه رجاء الأمم» .

وما جاء عن عبد الله بن عمرو بن العاص يدل على أن التوراة وكتب العهد القديم كانت مترجمة باللغة العربية. ومما يؤيد ذلك أن النبي محمداً ﷺ غضب عندما وجد عمر بن الخطاب يقرأ في صحيفة من التوراة . وقال له : «أفي شك يا بن الخطاب. والله لو كان موسى حيا ما وسعه إلا أن يتبعني»، وفي مسند أحمد (الحديث رقم ١٤٦٢٣) أن عمر ابن الخطاب أتى النبي ﷺ بكتاب أصابه من بعض أهل الكتب، فقرأه النبي ﷺ ، فغضب، فقال : «أو متهوكون (أي شاكون) فيها يا بن الخطاب. والذي نفسي بيده لقد جئتكم بها بيضاء نقية ، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذبوا به أو بباطل فتصدقوا به. والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حيا، ما وسعه إلا أن يتبعني» .

ويقول بعض الباحثين : إن اليهود والنصارى كانوا يترجمون مقاطع للمسلمين منها. ثم إن من المسلمين من كان يعرف العبرية والسريانية وقرأ بها .

وتقول دائرة المعارف البريطانية^(١): «لا توجد أدلة على وجود ترجمات عربية قبل الإسلام، ولكن ظهرت في العصور الإسلامية عدة ترجمات أهمها ترجمة سعديا بن يوسف (٨٩٢ - ٩٤٢م / ٢٧٨ - ٣٣٠هـ). ويقول مترجمو الإنجيل كتاب الحياة (وهي ترجمة حديثة للعهد الجديد): «إننا قد أخذنا بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية فضلا عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة والتي يزيد عددها على المئة».

ورقة بن نوفل أول من أسلم بعد خديجة رضى الله عنها:

ولا شك أن من آمن من أهل الكتاب مثل الحبر عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان مُطَّلِعاً على البشارات الواردة عن النبي الأمي في آخر الزمان، وكان يجادل اليهود بذلك ويقرّعهم عليه وكذلك فعل غيره من أبحار اليهود الذين أسلموا وعلماء النصارى. وأولهم وأعظمهم ورقة بن نوفل رضي الله عنه فقد كان أول من أسلم وآمن وصدّق. وكان يقرأ الكتاب (أى التوراة والإنجيل) فلما جاء الوحي ونزل على محمد صلى الله عليه وسلم في غار حراء اضطرب لذلك الرسول العظيم لهول المفاجأة. وذهب إلى زوجته خديجة رضى الله عنها وأرضاها قائلاً: «زملوني زملوني» ثم قصّ عليها ما رآه وما قاله جبريل عليه السلام. وكان يخشى على نفسه، فقالت: «لا، والله لا يخزيك الله أبدا» وعددت أخلاقه الجميلة وكرمه وفضله على المعدم والفقير واليتيم ثم ذهبت به إلى ابن عمها ورقة بن نوفل وكان امرأً قد تنصّر وقرأ الكتاب فلما سمع من النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن هذا لهُو الناموس الذي أنزل على موسى» فأمن به وصدّقَه وأخبره أن قومه

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ ج ٢/٨٨٩. وقد جاء في الفهرست لابن النديم ص ٣٢٥ أن أحمد بن عبد الله بن سلام ترجم للخليفة هارون الرشيد (١٤٩ - ١٩٣ هـ / ٧٦٦ - ٨٠٩م) التوراة والإنجيل وأنه تحرّى الدقة في الترجمة، وهو قبل سعديا بن يوسف الفيومي بما يقرب من قرن ونصف من الزمان.

(أى قريش) سيخرجونه من مكة وسيعادونه.. وتمنى لو كان حياً لينصره. فما لبث ورقة أن مات قبل أن يصدع النبي محمد ﷺ بالدعوة. فقد قيل : إن فترة النبوة قبل الرسالة كانت ثلاث سنوات، ثم أمر بأن ينذر قومه بعدها وبدأ عهد الرسالة .

أمثلة من أهل الكتاب :

إسلام النجاشي وعبد الله بن سلام وسليمان الفارسي وتميم الداري وعدي بن حاتم ووفد نجران الأول.

وقد أسلم النجاشي ملك الحبشة ﷺ ، وكان يعرف العربية (لأنه فرّ من الملك الذى قبله والذى اضطهده وأخذ ملكه وذهب إلى جزيرة العرب، ثم عاد إلى بلده ونصره الله وأثبت ملكه). وقد أسلم على يد جعفر بن أبى طالب رئيس الوفد الذى هرب إلى الحبشة من المسلمين بعد اضطهادهم فى مكة. وكذلك أسلم عدد من أساقفته كما سبق أن ذكرتُ فيما نزل من سورة المائدة فى مدحهم (المائدة : ٨٢-٨٥) .

وكان تميم الداري وسليمان الفارسي وعدي بن حاتم الطائي أيضا من النصارى الذين قرأوا التوراة والإنجيل وقد آمنوا فيمن آمن من أهل الكتاب بعد أن تحقّقوا من صفات النبي محمد ﷺ التى جاءت فى تلك الكتب .

ومن هؤلاء أيضا نصارى نجران فإن منهم من أسلم فى زمن النبي محمد ﷺ ، ومنهم من أسلم فى زمن الراشدين .

عبد الملك بن أبجر الكناني أول من ألف كتابا فى الرد على أهل الكتاب :

ومن طبقة التابعين أسلم كعب الأحبار وكان من يهود اليمن.. ووهب ابن منبه وهو من علماء أهل الكتاب. وفى طبقة تابعي التابعين نجد

عبد الملك بن أبجر الكناني^(١) طبيب عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه (٦١ - ١٠١هـ / ٦٨١ - ٧٢٠م). وكان صديقا لعمر بن عبد العزيز عندما كان والده واليا على مصر. وكان عبد الملك بن أبجر من أطباء الإسكندرية المشهورين والذين يقومون بتدريس الطب فيها. فعرض عليه عمر بن عبد العزيز الإسلام فأسلم. فلما تولى عمر بن عبد العزيز الخلافة سنة ٩٩ هـ استدعاه إلى سوريا وولاه تدريس الطب في أنطاكية (مدينة قديمة ومشهورة وكانت مركزا هاما للنصارى وللطب في سوريا. وهي الآن في لواء الإسكندرون تابعة لتركيا) وفي حران (مدينة في سوريا ومنها ظهر الإمام ابن تيمية). وقام عبد الملك بن أبجر الكناني بوضع رسائل في الرد على اليهود والنصارى، ودعوتهم للإسلام بعد أن أوضح البشارات التي جاءت في محمد صلى الله عليه وسلم. وحسب علمي يعتبر عبد الملك ابن أبجر أول من ألف كتابا في الرد على اليهود والنصارى. ولا أعلم إن كان أى من كتبه موجودا في المكتبات الكبرى في العالم .

ومن طبقة تابعي التابعين هؤلاء مالك بن دينار (وفاته سنة ١٣١ هـ) الذي كان يقول: «قرأت في الزبور، مكتوب في التوراة ثم يسوق ما ينقله عنها» كما جاء في حلية الأولياء^(٢).
واصل بن عطاء يرد على النصارى :

وكان واصل بن عطاء (٨٠ - ١٣١ هـ / ٦٩٩ - ٧٤٨) رأس المعتزلة وهو الذي اعتزل مجلس الحسن البصرى فسموا المعتزلة .. وكان من أبلغ الخطباء والكتاب وكانت به حبسة في لسانه ينطق الراء (غاء)

(١) انظر سيرته في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة الخزرجي ص ٧١ (منشورات دار الحياة بيروت، تعليقات د. نزار رضا) والمنهج السوي والمنهل الروي في الطب النبوي للسيوطي تحقيق د. حسن مقبول الأهدل حيث ذكر أحاديث عن سفيان بن عبد الملك بن أبجر في الطب .
 (٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصفهاني (ج٢/٢٧٦، ٢٧٧).

فكان يتجنّب كل كلمة فيها راء حتى فى القرآن أثناء خطابه، ويأتى بما يقصده بآيات أخرى. وله كتب كثيرة ومنها «رسالة فى الرد على النصارى». ذكر ذلك إمام حنفي فى تقديمه رسالة «القاسم بن إبراهيم الرسى» «الرد على النصارى»^(١).

الإمام الشافعى يرد على أهل الأهواء والبراهمة :

ثم جاء الإمام محمد بن إدريس الشافعى (مولده ١٥٠ هـ وفاته سنة ٢٠٤) صاحب كتاب الأم، وكتاب الرسالة، وإمام المذهب، وله كتب فى مقارنة الأديان والفرق، منها كتاب «تصحيح النبوة والرد على البراهمة» وكتاب «الرد على أهل الأهواء»^(٢) ومن أهل الأهواء اليهود والنصارى وبعض الفرق من المسلمين .

القاسم بن إبراهيم الرسى يرد على النصارى والملاحدة :

وفى القرن الثالث الهجرى ازدادت الكتب والرسائل فى الرد على على اليهود والنصارى وممن كتب فى هذا الباب القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل الحسنى العلوي المشهور باسم القاسم الرسى (١٦٩ - ٢٤٦ هـ). وقد نسب إلى مدينة الرّسّ وهي فى منطقة القصيم من نجد ذكرها الله سبحانه وتعالى فى القرآن الكريم حيث قال : ﴿ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴾ (١٢) [ق : ١٢] وقوله تعالى : ﴿ وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا ﴾ (٣٨) [الفرقان : ٣٨] .

(١) الرد على النصارى للقاسم بن إبراهيم الرسى تحقيق إمام حنفي. ولم يذكر مصدره، إصدار دار الآفاق العربية، القاهرة .

(٢) ذكر ذلك الدكتور محمود عبد الرحمن قدح فى مقدمته لكتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» للقاضي أبى البقاء صالح بن الحسين الجعفري، إصدار مكتبة المبيكان، الرياض ١٩٩٨ وأرجعه إلى عبد القاهر البغدادي فى أصول الدين ص ٣٠٨ .

والإمام القاسم الرسي أحد مؤسسي المذهب الزيدي، وله كتب كثيرة في الرد على الملاحدة والعقائد .

ومن كتبه «الرد على النصارى» وهي رسالة نشرها وحققها إمام حنفي كما نشر له «الرد على الملاحدة» و «الرد على الرافضة» .

وله أيضا كتاب «ما حدّدت النصارى من قولها» ولم أقف عليه . أما رسالته في الرد على النصارى فقد أظهرت قدرته على مجادلة النصارى واستخدم في ذلك علوم المنطق والفلسفة والعلوم الإسلامية (وهو معتزلي الاعتقاد) ، وبدأ بنفي الوالدية عن الله سبحانه وتعالى والأدلة على ذلك . ووجود الولد دليل على عدم الأزلية وإبطال للألوهية والربوبية . «وإذا كان الابن في الذات هو مثله (أى مثل الأب)، كما تزعم النصارى، فكلاهما من الربوبية والإلهية مبتعد . فالولد له صفات والده» . وما داموا قد عبدوا المسيح عيسى ابن مريم وأباه، فقد كان من تمام دينهم أن يعبدوا أمه أيضا لأنها سبب وجود هذا الابن الإله . ولكنهم لا يفعلون . (ما عدا فرقة قد اندثرت كانت تعبد مريم أيضا) . وبما أن عيسى ﷺ له صفات الإنسان كاملة، والإنجيل يؤكد ذلك في كل عباراته فقد كان يطعم كما يطعمون ويجمع ويبعث عن الطعام، ويألم كما يألمون ويعرض له الحزن والهموم والغموم، وينام كما ينامون، وينسى كما ينسون . ولا يعلم الغيب وخاصة الساعة التي لا يعلم موعدها إلا الله . فإن عليهم أن يعترفوا بأن عيسى ﷺ بشر وليس إله . بل إن الأناجيل تقول عن عيسى : إنه ابن الإنسان وإنه لم يسم نفسه إلا بذلك . ويقول الإمام القاسم الرسي : إن شرك النصارى هو مماثل للأمم السابقة، وأن التثليث قد سبقتهم إليه أمم أخرى . قال تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴾ (٧٧) [المائدة : ٧٧] وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ

قَوْلُهُمْ بِأَفْرَاهِهِمْ يُضَاهُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿[التوبة : ٢٠] وقارنهم القاسم الرسي بهذه الأمم السابقة وبالذين عبدوا النجوم وجعلوها آلهة مع الله. ويسخر منهم الرسي عندما يقولون : إن الولد (عيسى) لم يزل قديما موجودا، لم يُفقد قط ولم يزل ولم يتغير حاله ولم يتبدل. مع أن يسوع قد تغير وكان في رحم مريم، ثم ولد رضيعا، ثم طفلا ثم يافعا ثم شابا وكهلا. ثم أتاه الشيطان وامتحنه حسب زعمهم، وكيف يمتحن الشيطان ربه وخالقه؟

وهذا الابن (الإله عندهم) قد صلب ومات ودفن وبقي في القبر ثلاثة أيام فكيف يموت الإله؟ وكيف يدفن ويموت؟ ومن يدبر الكون في هذه الأيام؟ وهل بقي الكون بدون إله في تلك الفترة؟ وردَّ على فرقهم المختلفة مما يدل على سعة اطلاعه، ومقدرته على المحاوره واستخدام علم الكلام والمنطق في الردِّ على أقاويلهم مع اعتماده على القرآن الكريم في الردِّ على تخرصاتهم وأكاذيبهم .

الجاحظ يردُّ على النصارى :

ومن المعتزلة الذين ردوا على اليهود والنصارى والملاحدة بالإضافة إلى واصل بن عطاء والقاسم الرسي (أحد مؤسسي المذهب الزيدي)، الكاتب الأديب المعتزلي أبو عثمان عمرو بن بحر الكناني المشهور بالجاحظ (لجحوظ في عينيه) (١٦٣ - ٢٥٥ هـ) .

ومن أشهر كتب الجاحظ كتاب «الحيوان» وهو كتاب ضخيم في سبعة مجلدات، وكتاب «البيان والتبيين» في اللغة والأدب، وكتاب «البخلاء» في ذم البخل وأهله. وله عشرات المصنفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط، ومنها ما هو مفقود .

ومن رسائله رسالة هامة وهي «المختار في الرد على النصارى» وقد نشرت ضمن رسائل للجاحظ نشرها المستشرق فنكل (Finkel) عام

١٩٢٢ ثم المستشرق رتشر Recher عام ١٩٣١ وطبعت هذه الرسالة على هامش كتاب الكامل للمبرد سنة ١٩٠١م (١٣٢٣ هـ) .. ونشرها الدكتور عبد السلام هارون في مجموعة رسائل الجاحظ سنة ١٩٧٩ (١٣٩٩هـ). ثم نشرها منفصلة مع دراسة جيدة، ومقدمة ضافية الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي، دار الصحوة، القاهرة سنة ١٩٨٤ (١٤٠٥ هـ) وذكر أن النصارى الذين مدحهم الله سبحانه وتعالى في سورة المائدة ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى﴾ [المائدة : ٨٢] . إنما نزلت في وفد النجاشي الذين أسلموا وآمنوا وصدقوا بالرسول محمد ﷺ . وأما هؤلاء النصارى الذين يحاربون الإسلام والمسلمين بالبدس والكيد حيناً، وبالسيف والسنان حيناً آخر ليسوا إلا أعداء للإسلام. ثم أخذ في الرد على عقائدهم وفرقهم المختلفة مستخدماً علوم المنطق والفلسفة وعلم الكلام مع آيات القرآن الحكيم .

وجاءت رسالة الجاحظ رداً على مسائل كان النصارى يثيرونها ضد المسلمين، فكتبوا للجاحظ فرداً عليهم وفنّد مسألتهم، وأبان زيف عقائدهم . وانتقد نصارى زمنه في قلة رحمتهم وفساد قلوبهم وأنهم أصحاب الخصاء (أي يخلصون الأطفال بدون ذنب لهم ولا جريرة) ، وذكر أنهم قلف غلف لا يختنون ولا يفتسلون من حيض أو جنابة.. ولا يزيلون نجاسة البول والغائط. «وهم مع شرار طبائعهم، وغلبه شهواتهم ليس في دينهم مزاجر كنار الآخرة، وكالحدود والقود والقصاص في الدنيا.. ولو جهدت بكل جهدك، وجمعت كل عقلك أن تفهم قولهم في المسيح لما قدرت عليه حتى تعرف به حدّ النصرانية، وخاصة قولهم في الإلهية... وأنت لو خلوت ونصراني نسطوري فسألته عن قولهم في المسيح لقال قولاً، ثم إن خلوت بأخيه لأمه وأبيه، وهو نسطوري مثله،

فسألته عن قولهم في المسيح لأتاك بخلاف قول أخيه وضده. وكذلك جميع الملكانية واليعقوبية (أرثوذكس مصر والحبشة) : لذلك صرنا لا نعقل حقيقة النصرانية كما نعرف جميع الأديان» .

ويقول : إن النصارى هم أعداء العقل والمنطق والقياس ويقولون لا يأتي الإيمان إلا بالقلب، واترك عقلك واتبعني.. ثم بدأ في الرد على النصارى حيث قالوا: إن القرآن ذكر أن عيسى تكلم في المهد. وفرق النصارى واليهود لا تعرف ذلك. والكلام في المهد من أكبر المعجزات ولو حصل ذلك لعرفه اليهود والنصارى ولذكرته الأناجيل والهند والخزر. وسخر منهم الجاحظ لأن اليهود ينكرون كل معجزات عيسى ويعتبرونه ساحرا مشعوذا كذابا جاءت به أمه من الزنا (أعوذ بالله من الإفك على مريم الطاهرة) ولا يعقل أن يتكلم اليهود أعداء المسيح عن هذه المعجزة فكما أنكروا غيرها أنكروا هذه. وأما الهند والخزر وغيرهما من الأمم فأغلبها لم يسمع عن عيسى أصلا ولا عرفوا أخباره فأى سفه أن يستشهد بهم. وأما النصارى فيقول لهم : إنكم قبلتم دينكم عن أربعة أشخاص (أصحاب الأناجيل وهم متى ومرقس، ولوقا ويوحنا) وهؤلاء لا يؤمن عليهم الكذب والخطأ والنسيان . (وقد أثبتت الأبحاث الحديثة وجود عشرات الأناجيل التي لم يُعترف بها ومنها إنجيل الطفولة. وفيه معجزات عيسى في المهد والطفولة) .

الطبيب علي بن رين الطبري يرد على النصارى :

أبو الحسن علي بن رين الطبري (١٦٤-٢٤٧ هـ) وكتاب «الدين والدولة».

هو أحد الثلاثة المتعاصرين الذين ردّوا على النصارى وهم: القاسم الرّسى وعمرو بن بحر الجاحظ وثالثهم علي بن رين الطبري. وهو نصراني (أخطأ بعضهم فظنوه يهوديا ظنا منهم أن رين هو الرابي أو

الريبي وهو من ألقاب أحبار يهود). وقد اشتهر بالطب وله كتاب «فردوس الحكمة» في الطب، نشره د. محمد زبير الصديقي عام ١٩٢٨، وطبع في برلين وهو رسالته للدكتوراه من جامعة لندن. وعمل طبيباً في طبرستان وكان يخدم ولائها، ثم تتلمذ على يديه أشهر أطباء المسلمين أبو بكر الرازي. وانتقل إلى سامرا التي بناها المعتصم وصار طبيبه وأسلم على يديه. ثم لما تولى المتوكل على الله توثقت صلة علي ابن ربن الطبري به وسمى نفسه مولى أمير المؤمنين جعفر المتوكل على الله، وكتب كتابه «الدين والدولة» بتوجيه من المتوكل وقد أكثر من الثناء على الخليفة فيه. وله أيضاً كتاب «الرد على النصارى»^(١) وقد ذكره في كتابه «الدين والدولة» في إثبات نبوة النبي محمد ﷺ. وقد نشر كتاب الدين والدولة المستشرق منجانا، ونشرته المكتبة العتيقة بتونس طبعة مصورة عن طبعة المستشرق منجانا. ثم حققه الأستاذ عادل نويهض وطبع في بيروت.

وقد تميز كتاب ابن ربن بأنه :

- ١- أول كتاب كتبه نصراني في الرد على النصارى واليهود، وصل إلينا، لأن كتاب عبد الملك بن أبجر في الرد على النصارى يبدو أنه مفقود .
- ٢- استخدم الحوار الهادئ مع النصارى محاولاً تبين ما غمض عليهم والرد على إشكالاتهم .
- ٣- استخدم معلوماته الواسعة في العهد القديم والعهد الجديد في الرد على هذه التساؤلات .

(١) نشره الأبوان خليفة وكوتشك في بيروت سنة ١٩٥٩ بدون تحقيق .

٤- استخدم الشرح والأسلوب البسيط لإفهام جماهير النصارى ولم يعتمد على علم الكلام والمنطق والفلسفة كما اعتمد عليها معاصروه (القاسم الرسي والجاحظ) .

يقول على بن رين الطبري : «وقرّيت المعاني ليفهمها القارئ ولا يمتري. ولم أدع لأهل الذمة حُجّة ولا مسألة صعبة ، ولا علاقة إلا حكيتُ ثم حلتُ بتوفيق الله وعونه، وبركة خليفته جعفر الإمام المتوكل على الله أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، وبما اهتديت به واستفدت عنه وسمعت من أفاضه» .

٥- أوضح الأسباب والعلل التي كانت تمنع أهل الذمة من أهل الكتاب، وخاصة النصارى منهم، في اتباع النبي محمد ﷺ وهي الشك في صدق رسالته، والأنفة والعزة بالباطل والتقليد والألف ، والبلادة والغباوة. وردّ على كل إشكالاتهم ردًا هادئًا مؤيدًا بالأدلة .

أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٢٦٠-٣٢٤ هـ/ ٨٧٤-٩٣٦م)

أبو الحسن الأشعري من نسل أبي بردة بن موسى الأشعري. مؤسس مذهب الأشاعرة كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة وانضم إلى المعتزلة تلميذاً للجبائي الفقيه المعتزلي. ثم انفصل عن أستاذه وخالف المعتزلة واستخدم علومهم في الرد عليهم، وخاصة علم الكلام وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ بعد أن بلغت مؤلفاته الآفاق، وهي في حدود ثلاثمائة كتاب، ذكر ابن عساكر في كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري» كثيرا منها .

وقد نشر مذهب الأشعري عدد من العلماء الشافعية الذين أيدهم واتخذوا مذهبه في العقائد منهم الباقلاني وابن فورك والإسفراييني

والقشيري والجويني (إمام الحرمين) والغزالي واعتمدوا أقواله في العقائد.. بينما رفض الحنابلة وأهل الحديث هذه الأقوال وحاربها بعضهم حرباً شديدة .

وقد وضع ابن عساكر كتابه «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري»^(١) للرد على من اتهم الأشعري بأقوال لم يقلها.. وقد أورد ابن عساكر أسماء كثيرة من كتبه وأغلبها في الردُّ على الفرق ومنها كتابه المشهور «مقالات الإسلاميين» و «الردُّ على المجسمة» و «الردُّ على ابن الراوندي» وهو أحد المتهمين بالمروق من الدين الملحدين، وله كتاب «مقالات الملحدين» و «الإبانة عن أصول الديانة» و «رسالة في الإيمان» . وله «كتاب في مذاهب النصارى» وآخر في «الكلام على النصارى» . وقد ردَّ عليهم ردوداً مطولة، وفنَّد ادعاءاتهم وأقوالهم وفرقهم. كما أن كتبه عن الفرق تعرضت لليهود وفرقهم، وللنصارى وفرقهم. وهو على أية حال أمر متوقع وطبيعي في تلك الأجواء المشحونة بالخلافات بين مختلف الفرق الإسلامية وغير الإسلامية. وخاصة في كتابه «مقالات الإسلاميين» .

المسعودي، وفاته سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣ م :

أبو الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي من ذرية الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود. مؤرخ ورحالة من أهل بغداد ثم أقام بمصر وبها توفى . قال الذهبي : «عداده في أهل بغداد، نزل مصر مدة وكان معتزلياً .

له تصانيف كثيرة منها «مروج الذهب» مطبوع في ٤ أجزاء و «أخبار

(١) تبیین کذب المفتري لابن عساكر إصدار دار الكتاب العربي بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

الزمان ومَنْ أباده الحدثان» وله «تاريخ» في نحو ثلاثين مجلدا وله «المقالات في أصول الديانات» وغيرها من الكتب. وتعرض للأديان ومنها النصرانية واليهودية في كتابه هذا. وذكر في مروج الذهب (ج ١/١٧) وقال : إنه تعرض لليهودية والنصرانية .

أبو الريحان البيروني (٣٦٢ - ٤٤٠ هـ / ٩٧٢ - ١٠٤٨ م)

أعجوبة الزمان أبو الريحان محمد بن أحمد البيروني الخوارزمي (وهي الآن في قازاقستان في آسيا الوسطى) ضليع باللغات وشاعر باللغة العربية مجيد الكتابة بها. ويجيد التركية والفارسية والسنسكريتية ولغة الصين واليونانية. له مئات المؤلفات الهامة جدا في الفلك والجغرافيا وله قياسات لم يسبق إليها. وله كتب عديدة في التاريخ والصيدلة وكافة العلوم. وفي كتابه «الآثار الباقية عن القرون الخالية» تحدث عن الأمم المختلفة وأديانها وتحدث عن اليهود والنصارى وفرقهم وأقوالهم .

وقد عقد البارون كاردي فو موازنة بين ما كتبه البيروني والمسعودي عن النصارى فقال : أما البيروني فكان أكثر معرفة من المسعودي بالمسيحية . وقد أخذ من النساطرة عندما صنّف كتاب الآثار الباقية عن القرون الخالية . وكان يعرف كثيرا من نصوص الأناجيل»^(١) .

المهتدي الحسن بن أيوب (كان حيا قبل ٣٨٠ هـ) :

للأسف الشديد لا توجد ترجمة للحسن بن أيوب، ولكن الإمام ابن تيمية في كتابه الموسوعى «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» ذكره

(١) مقدمة كتاب الرد الجميل للغزالي التي وضعها الأستاذ عبد العزيز عبد الحق، إصدار مجمع البحوث الإسلامية القاهرة ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م .

ونقل عنه رسالته المطولة إلى أخيه علي بن أيوب يذكر له فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على صحة دين الإسلام .

وقد ذكر الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي في تحقيقه وتقديمه لكتاب نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب : «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» أن الحسن بن أيوب كان حيا قبل ٢٨٠ هـ . ولم يذكر أى مصدر له سوى ما ذكره ابن تيمية في «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» وابن تيمية لم يترجم له، بل نقل رسالته بصورة شبه كاملة . وأخذت من صفحة ٢١٢ الجزء الثاني إلى نهاية الجزء الثاني ص ٣٦٠ ثم بداية الجزء الثالث الصفحة الثالثة والرابعة . وقد ذكره ابن النديم في الفهرست في المقالة الخامسة عن المتكلمين والمعتزلة . قال : «الحسن بن أيوب من المتكلمين وله من الكتب كتاب إلى أخيه علي بن أيوب في الرد على النصارى وتبيين فساد مقالاتهم وتثبيت النبوة»^(١) .

قال ابن تيمية : «ومن أعلم الناس بمقالاتهم (أي النصارى) من كان من علمائهم، وأسلم على بصيرة بعد الخبرة بكتبهم ومقالاتهم، كالحسن بن أيوب، الذي كتب رسالته إلى أخيه علي بن أيوب^(٢) يذكر فيها سبب إسلامه، ويذكر الأدلة على بطلان دين النصارى، وصحة دين الإسلام» .

وقد ذكر الشرقاوي أن القاضي عبد الجبار الهمداني نقل عنه في «تثبيت النبوة» وقد ذكره بالاسم، كما أن المهدي نصر بن يحيى بن

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست في المقالة الخامسة عن المتكلمين (ص ٢١٤) .

(٢) لاحظ أن اليهود والنصارى كانوا يتسمون بالأسماء الإسلامية العربية وكانت أسماء علي وعمر والحسن والحسين من أكثرها انتشارا، ولكنهم في الأغلب الأعم لا يتسمون باسم محمد وأحمد وإذا كتبوا حمدوا الله وأشوا عليه وصلوا على الأنبياء والمرسلين ، ولم يذكروا محمدا ﷺ إلا من أسلم منهم، فإنه يكتب كبقية المسلمين في زمنه .

عيسى المتطبب، نقل عنه في كتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» دون أن يذكر اسمه. وهو أمر صحيح وجدته عند مراجعة النصوص .

ولم يذكر الشرقاوي أي ترجمة لحسن بن أيوب هذا. ولم أجد له ترجمة في الأعلام للزركلي ولا في معجم المؤلفين لكحالة ولم تذكره «دائرة المعارف الإسلامية» كذلك لم يذكره حاجي خليفة في «كشف الظنون» ولم يذكره أيضاً في ذيله ولا في هدية العارفين للبغدادى .

ومصدرنا الذي بين أيدينا هو كلام الإمام ابن تيمية ونقله الطويل لرسالته . قال ابن تيمية نقلاً عن الحسن بن أيوب في رسالته لأخيه بعد الخطبة (حمد الله والصلاة على النبي إلخ) .

«ثم أعلمك أن ابتداء أمري في الشك الذي دخلني فيما كنت عليه، والاستبشاع للقول به من أكثر من عشرين عاماً لما كنت أقف عليه في المقالة من فساد التوحيد لله عز وجل، بما أدخل فيه من القول بالثلاثة الأقانيم، وغيرها ما تضمنته شريعة النصارى، ووضع الاحتجاجات التي لا تزكو ولا تثبت في تووير ذلك. وكنت إذا تبجرت وأجلت الفكرة فيه بان لي عواره، ونفرت نفسي من قبوله. وإذا فكّرت في دين الإسلام الذي من الله عليّ به، وجدت أصوله ثابتة، وفروعه مستقيمة، وشرائعه جميلة» .

ثم ذكر صفات الله سبحانه وتعالى الحي القيوم السميع البصير الواحد الفرد الصمد الذي لا ابتداء له ولا انتهاء ولا ضد ولا ند والذي لم يتخذ صاحبة ولا ولداً. ثم ذكر الإيمان بمحمد ﷺ ورسوله والإيمان بجميع الرسل وبالقرآن وبسائر الكتب المنزلة على الأنبياء ومنها التوراة والزيور والإنجيل. والإيمان بيوم القيامة والبعث وأن الله يبعث من في القبور. ولا يظلم ربك أحداً .

ثم قال : «ولما نظرت في مقالات النصارى وجدت صنفا منهم يعرفون بالأريوسية (نسبة إلى أريوس الليبي الإسكندراني) يجردون توحيد الله ، ويعترفون بعبودية المسيح ﷺ ولا يقولون فيه شيئا مما يقوله النصارى من ربوبية ولا نبوة خاصة، ولا غيرها. وهم متمسكون بإنجيل المسيح مقرّون بما جاء به تلاميذه والحاملون عنه. فكانت هذه الطبقة قريبة من الحق، مخالفة لبعضه في جحود نبوة محمد ﷺ ودفع ما جاء في الكتاب والسنة^(١) .

ثم ذكر بعد ذلك الفرق المعروفة من النصارى في زمنه والذين ذكرهم كل من كتب في هذا الموضوع وهم الملكانية واليعقوبية والنسطورية . وقد سبق ذكرهم .

القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني^(٢) وفاته ٤١٥ هـ / ١٠٢٥ م

أبو الحسين عبد الجبار بن أحمد الهمداني الأسد أبادي، قاضي القضاة، فقيه أصولي من شيوخ المعتزلة وكبارهم. انتقد النظام المعتزلي في كثير من أقواله. وانتقد الفلاسفة من المسلمين واليونان انتقادا لاذعا. له تصانيف كثيرة، منها «تنزيه القرآن» مطبوع و

(١) ظهر أريوس في القرن الرابع وكان ممن عارض عقيدة مؤتمر نيقية وتاليه المسيح. وهذه كانت سنة ٣٢٥ على يد الإمبراطور قسطنطين وأسقف الإسكندرية. وقد اعتبر آنذاك خارجا من الملة. وكان له أنصار في مصر وغيرها. ولكن دعوته اختفت بعد ذلك بسبب الاضطهاد. ولست أدري إن كانت طائفته قد بقت إلى ما بعد ظهور الإسلام . لأن اضطهادها كان شديدا .
(٢) الهمداني بالذال المعجمة نسبة إلى إقليم همدان وهو في إيران اليوم. وأما قبيلة همدان فهي قبيلة يمنية مشهورة، أسلمت بكاملها في يوم واحد على يد الإمام علي بن أبي طالب عندما أرسله الرسول محمد ﷺ لدعوتها فقال شعرا :

لو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان ادخلي بسلام

وفي رواية رضوان بدلا من بواب. وعندما بلغ المصطفى إسلامهم سرّ بذلك وقال : «سلام على همدان إسلام على همدان!» وسجد لله شكرا .

«الأمالي» و «المجموع في المحيط بالتكليف» ط . وله كتاب «شرح الأصول الخمسة» حققه الدكتور عبد الكريم عثمان .

وله الكتاب الضخم «المغني في أبواب العدل والتوحيد» مطبوع أيضا في أحد عشر مجلدا نشرته الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر بإشراف د . طه حسين، وفيه ردود على اليهود والنصارى، وعلى الفرق الأخرى إسلامية وغير إسلامية. وله كتاب «تثبيت دلائل النبوة» حققه أيضا الدكتور عبد الكريم عثمان، وفيه ردود على اليهود والنصارى والملاحدة والفلاسفة الذين ينكرون النبوة. وقد عُرف هذا الكتاب باسم «تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد» وهو بالفعل موضوع الكتاب. وقد ترجم للقاضي عبد الجبار الهمذاني الدكتور عبد الكريم بكتاب «قاضي القضاة عبد الجبار بن أحمد» مطبوع . كما أن له أيضا «القاضي عبد الجبار وآراؤه الكلامية» وكان رسالته في الدكتوراه .

وفي كتابه «تثبيت دلائل نبوة سيدنا محمد» انتقد أرسطو وخاصة نظريته في الكون والكواكب وأن الله خلق الأكوان من مادة موجودة أزليه كما يصنع الفخار من الطين جميع الأواني الفخارية . وأن الله لا يدبر هذا الكون، بل إن تديره موكول إلى الكواكب التي يرى أنها فاعلة تدبر الأكوان. كما انتقد بشدة الفلاسفة الإسلاميين ابتداء من الكندي إلى أبي بكر الرازي الطبيب الفيلسوف وجابر بن حيان، وأما الفارابي فقد ظهر بعد وفاة القاضي وكذلك ابن سينا . وهاجم الشيعة وخاصة الباطنية منهم واعتبرهم من الملاحدة والزنادقة .

وناقش الأديان السابقة على الإسلام مثل الهندوكية والفارسية والبرهمية والبوذية كما ردَّ على اليهود والنصارى .

ورغم أن القاضي عبد الجبار يعتبر شيخ المعتزلة في عصره إلا أن

آراءه جعلت كثيرا من أهل السنة يثنون على كتبه مثل ابن العماد وابن تيمية وابن شهبه. وكتب عنه الشيخ الكوثري في مقدمة كتاب «تبيين كذب المفتري» قال: «ولم نر ما يقارب كتاب تثبيت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار في قوة الحجج وحسن الصياغة في دفع شكوك المتشككين» .

وقد جادل القاضي عبد الجبار أيضا اليهود والنصارى في كتابه الموسوعي: «المغني في أصول الدين» .

وسنكتفي ها هنا بلمحات مما جاء في كتابه تثبيت دلائل النبوة :

ما جاء في القرآن الكريم عن النصرانية ومذاهبها :

قال : «من آياته وأعلامه، وهو إخباره عن النصرانية ومذاهب النصارى من هذه الطوائف الثلاث منهم، وهي الباقية القائمة الراهنة في قولهم أن المسيح عيسى ابن مريم هو الله، وأن الله ثالث ثلاثة، فإن هذه الطوائف الثلاث من الملكية واليعقوبية والنسطورية، لا يختلفون في أن المسيح عيسى ابن مريم ليس بعبد صالح ولا بنبي ولا برسول، وأنه إله في الحقيقة، والله في الحقيقة، وأنه خلق السموات والأرض والملائكة والنبين، وأنه هو الذي أرسل الرسل وأظهر على أيديهم المعجزات. وأن للعالم إلها هو أب والد لم يزل، غير مولود، وأنه قديم خالق رازق. وإله (ورب) (هو عيسى) هو ابن مولود، وأنه ليس بآب ولا والد. وأنه قديم حي خالق رازق. وإله هو روح قدس ليس بآب والد ولا ابن مولود. وأنه قديم حي خالق رازق. وأن الذي هو ابن نزل من السماء، وتجسّم من روح القدس ومن مريم البتول، وصار هو ابنها إلها واحداً، ومسمّى واحداً، وخالقا واحداً ورازقا واحداً. وحبلت به مريم

وولדתه، وأخذ وصلب وألم، ومات ودفن. وقام بعد ثلاثة أيام وصعد إلى السماء وجلس عن يمين أبيه، فحكى (الله في القرآن الكريم) قولهم في أن المسيح هو الله، وأن الله ثالث ثلاثة»^(١) انتهى .

وهو بذلك قد استعرض ما يسمى الأمانة وعقيدة مؤتمر نيقية (التي سبق ذكرها وشرحها) التي تمت سنة ٣٢٥ بعد الميلاد. وقد تنبه القاضي عبد الجبار لذلك فقال : «وهذا كان بعد المسيح بنحو ثلاثمائة سنة ، حين جمعهم قسطنطا نوس ابن فيلاطس^(٢)» وذكر أنه جمع نحو ألفين من قساوستهم وأن ٣١٨ شخصا منهم هم الذين وافقوا على هذه العقيدة. ويسمون مؤتمرهم ذلك «سنودس» ثم ذكر نص عقيدة مؤتمر نيقية وما تبعها من مؤتمرات مثل مؤتمر القسطنطينية ومؤتمر أفسس وناقشهم في التثليث وفي الوجدانية التي يدعونها. وهم بذلك متناقضون، بل مكذبون لكلام المسيح في الإنجيل الذي أقر بعبوديته لله، وأنه مرسل من عند الله، وأنه لا يقول الكلام من نفسه، بل من الذي أرسله، وأنه لا يعلم الغيب ولا يعلم متى الساعة! وأن الذي يعلمها هو الله وحده .

ثم ذكر فرقهم وأن الملكانية تقول عن يسوع إنه إله حق من إله حق من جوهر أبيه، وأن القتل والصلب وقع عليه بكماله (أي بطبيعته الناسوتية والإلهية) ، أما اليعقوبية (الأرثوذكس أقباط مصر والحبشة) فيقولون بطبيعة واحدة هي الطبيعة الإلهية فقط للمسيح وأن الذي حبلت به مريم وولדתه هو الإله. وأن الذي تألم ومات على الصليب هو

(١) تثبتت دلائل النبوة للقاضي عبد الجبار تحقيق د. عبد الكريم عثمان (أعيد طبعه، دار المصطفى - القاهرة ٢٠٠٦) ص ١٩ وما بعدها .

(٢) هو الإمبراطور قسطنطين الكبير أول من دخل المسيحية من أباطرة الرومان ومؤسس مدينة القسطنطينية. بل والمؤسس الأول لهذه العقائد .

الإله . وهو قول أشدُّ نُكرا من سابقه . وأما النسطورية فقَالوا بالطبيعتين أي الناسوت واللاهوت للمسيح عيسى ابن مريم . وأن مريم إنما حملت وولدت الإنسان وليس الإله وأن الذي تألم وصلب هو الناسوت وليس اللاهوت .

فها هنا ثلاثة آراء :

١- الملكانية ويرون الطبيعتين (الإله والإنسان أو اللاهوت والناسوت) وأنهما متحدتان تماما في عيسى . وأن الذي حملت به مريم وولد وتعذب وتألم وصلب هو يسوع المكون من اللاهوت والناسوت معا .

٢- اليعقوبية : ويرون الطبيعة الواحدة وهي الطبيعة الإلهية . وأن الذي حملت به مريم وولد وتعذب ومات على الصليب هو الله . ويسمون المنوفست .

٣- النساطرة وهم يقولون بالطبيعتين لعيسى ﷺ . ولكن الذي حملت به مريم وولده هو الإنسان ثم تمت عليه النعمة واتحد باللاهوت . وأن الذي تألم وصلب هو الإنسان ، وليس الإله . وهو الذي مات وقام من قبره بعد ثلاثة أيام . واتحد باللاهوت مرة أخرى .

وهي كلها أقوال باطلة ومتناقضة فيما بينها وتصادم العقل والفكر . وقد أطال القاضي عبد الجبار في نقاشهم ومساءلتهم . وليس ها هنا مجال ذكر التفاصيل وموعدها إن شاء الله كتاب مستقل عن مجادلة المسلمين لأهل الكتاب .

ابن النديم . وفاته ٤٣٨ هـ / ١٠٤٧ م :

هو أبو الفرج محمد بن إسحاق (أبو يعقوب الوراق) بغدادي صاحب كتاب الفهرست وهو أول معجم للمؤلفات والمصنفين حتى عصره . كتب

الفهرست على مراحل وانتهى من مرحلته الأولى سنة ٣٧٧ ثم أكمله بعد ذلك عدة مرات وآخرها سنة ٤١٢ قال أبو طاهر الكرخي : إنه أَلَفَ الفهرست في شبابه وعاود النظر فيه في كهولته وعاش قرابة تسعين سنة . وله كتاب آخر سمّاه التشبيّهات. وكان صاحب الفهرست معتزليا ميّالا إلى المذهب الشيعي .

وقد تكلم في الفهرس (في الفن الثاني من المقالة الأولى) عن التوراة التي في يد اليهود وأسماء كتبهم وأخبارهم ومصنفيهم (ذكر ذلك باختصار في صفحة) ثم تكلم عن إنجيل النصارى وأسماء كتبهم وعلمائهم ومصنفيهم (في صفحتين) وفي الجزء التاسع تكلم عن المذاهب والاعتقادات ومنها الثوية (الذين يقولون بإلهين إله النور وإله الظلام) ومنهم المنانية (مذهب ماني) وهم في الأصل مجوس لكنهم تنصّروا ولكنهم استمروا في القول بإله الخير (النور) وإله الشر (الظلام) وفصل في ذلك تفصيلا (من ص ٣٩٨ إلى ٤١٠) ثم ذكر الديسانية وهي أيضا فرقة نصرانية اندثرت وكانت موجودة في فارس والشرق. والمرقيونية (نسبة إلى مرقيون الذي ظهر في القرن الثاني وانفصل تماما عن اليهود وكتابهم المقدس واتخذ الغنوصية أو العرفانية سبيلا وتأثر بالمانوية والمشوية الفارسية.. ولهذا طرده الكنيسة فيما بعد وكان يطلق عليه مرقيون المرتد). وقد أدى ظهور الغنوصية المسيحية إلى الرد عليها وإيجاد تنظيم للإيمان مما أدى إلى إيجاد سلطة مركزية تحدد للناس قوانين هذا الإيمان وحدوده، كما تحمي هذا الإيمان من البدع المختلفة التي تهجم عليه وتؤثر فيه .

والديسانية نسبة إلى ديسان ولد قبل ماني، وديسان اسم نهر ولد عليه. والمذهبان (الديسانية والمانوية) قريب بعضهما من بعض. وإنما بينهما اختلاف في كيفية اختلاط النور بالظلمة (إله النور وإله

الظلام) ولابن ديسان كتاب النور والظلام وكتاب روحانية الحق، وهو من الفرق النصرانية الغنوصية القديمة التي اندثرت .

وقد تحدث ابن النديم عن مرقيون وفرقته وأنه ظهر قبل الديصانية . قال: وهم طائفة من النصارى، أقرب إلى المانوية (المانوية) والديصانية. وزعموا أن الأصلين القديمين النور والظلمة خالطهما كون ثالث هو عيسى وهو الحياة وأن عيسى رسول ذلك الكون الثالث. وهو الصانع للأشياء بأمره وقدرته، إلا أنهم أجمعوا على أن العالم محدث . وللمرقيون كتاب إنجيل خاص يختلف عن الأناجيل الأربعة الموجودة الآن. وهم بخراسان كثير، وأمرهم ظاهر كظهور أمر المانوية (المانوية) . الماهانية وهي طائفة من المرقيونية. يخالفونهم في شيء ويختلفون معهم في النكاح والذبائح ويزعمون أن المعدل بين النور والظلمة هو المسيح. ولا يُعرف من أمرهم غير هذا .

فرقة المهاجرين وهؤلاء يقولون بالعمودية والقرايين والهدايا مثل النصارى ولهم أعياد ويذبحون في بيعهم البقر والغنم والخنازير. ولا يمنعون نساءهم من أئمتهم ورؤساء دينهم، ولكنهم ما عدا ذلك يقبّحون الزنا .

وتحدث عن أنواع الصابئة وفرقهم باقتدار، مما يدل على سعة علمه بالفرق وفرق النصارى المندثرة، مما يدل على علم غزير، ثم ذكر الفرق التي كانت بين عيسى عليه السلام ومحمد النبي صلى الله عليه وسلم .

قال : «ذكر القحطبي في الرد على النصارى هذه الفرق : الملكية والنسطورية واليعقوبية (وهذه الثلاث مشهورات ورد عليهم كل من كتب عن النصرانية وفرقها)، ثم ذكر الصامية والكثائية والبهانية والإليانية

والمارونية (وهذه معروفة الآن وهم نصارى لبنان أو فرقة من نصارى لبنان انفصلوا عن الكاثوليكية ثم عادوا إليها) والسالية واليماسية والغولية والنولية والإريانموسية، والهيلانية، والباكولية، والبولقانية (وهم الذين عبدوا مريم)، والمحرائية والسوروانية والسارومية والعلانشية والأفخارية، واليونانية والحاوحسية، والإنسية، والكواركية، والبقالية والأريوسية (وهي مذهب آريوس المصرى الليبي الذي قال بأن الله واحد وأن عيسى ليس بإله ولا ابن الله ولكن له المكانة العظمى وكذلك روح القدس. وقد طردته الكنيسة وحاربتة حربا شعواء وكان له أنصار كثيرون اختفوا مع الزمن) .

وذكر فرقا كثيرة أخرى لم أعرف منها ولا واحدة. وهذا يدل على سعة علمه في فرق النصارى، ولكنه للأسف لم يشرح هذه الفرق كما فعل مع الصابئة والمثوية والمناوية بأنواعها التي شرحها شرحا جيدا .

ابن حزم (٣٨٤ - ٤٥٦هـ / ٩٩٤ - ١٠٦٤م) :

هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم . ولد بقرطبة سنة ٣٨٤ هـ / ٩٩٤ م . وقيل : إن نسبه يتصل بمولى فارسي أعتقه يزيد بن أبي سفيان . ولكن كثيرًا من الباحثين ينكرون ذلك . ويقولون : إن أجداده من أهل أسبانيا كانوا نصارى ثم أسلموا . وكانت لهم المكانة فيما بعد . وقد وزر والده للحاجب المنصور محمد بن أبي عامر وابنه المظفر .

وتولى بعده ابنه الوزارة . وناصر ابن حزم هشام الثاني في الوصول إلى العرش، ولكن هشام انهزم أمام البربر وغادر ابن حزم قرطبة سنة ٤٠٤ هـ إلى المرية، وابتعد عن السياسة فترة، واشتغل بالعلم، ثم عاد

ليناصر عبد الرحمن الخامس الأموي كما ناصر قبله عبد الرحمن الرابع، فلما قتل عبد الرحمن الخامس سنة ٤١٤ هـ هجر السياسة وانتقل إلى شاطبة وتفرغ للعلم تفرغاً تاماً .

وكما كانت حياته السياسية صاخبة، فإن حياته العلمية كذلك كانت أشد صخباً وأكثر عمقاً ونفعاً.. وخرج عن المذهب المالكي وصار شافعيًا، ثم اقتنع اقتناعاً تاماً بالمذهب الظاهري وصار إماماً فيه دون منازع. وكان شديد الوطء على مخالفيه حتى قيل: «إن قلم ابن حزم في مضاء سيف الحجاج». وقال عنه ابن حيان: «يصك معارضه صكاً الجنديل». ولكنه رغم حدته التي اعترف بها، وأنها كانت نتيجة مرض يعتريه، إلا أنه كان ينصف خصومه ولم يكن قط يفتري عليهم، أو يخلق لهم التهم اختلاقاً .

وقد بلغت مصنفات ابن حزم حوالي الأربعمائة في ثمانين ألف صفحة ، كما قال عنه أبو رافع ابنه (اشترك مع يوسف بن تاشفين أمير الموحيدين، في معركة الزلاقة التي تحقق فيها النصر للمسلمين ضد الأسبان واستشهد فيها أبو رافع سنة ٤٧٩). ويمكن تقسيم كتبه إلى ثلاث مجموعات أساسية بالإضافة إلى كتب الأدب والشعر «وطوق الحمامة». وهذه المجموعات كالتالي :

١- مجموعة متعلقة بالفقه وأصول الفقه : وأهم كتبه فيها «المحلى» وهو كتاب موسوعي في ١١ مجلداً وله «مسائل في أصول الفقه» و «إبطال القياس والرأى والاستحسان» ... إلخ .

٢- مجموعة متعلقة بالتاريخ والأنساب : ومنها «نقط العروس في تواريخ الخلفاء» و«أنساب العرب» وكان أحد مراجع ابن خلدون في كتابه المقدمة «وقضل الأندلس» .

٣- مجموعة في مقارنة الأديان وأهمها دون ريب كتابه الموسوعي «الفصل في الملل والأهواء والنحل» وكتاب «إظهار تبديل اليهود والنصارى للتوراة والإنجيل، وبيان تناقض ما بأيديهم منها مما لا يحتمل التأويل» و «رسالة في الرد على اليهودي ابن النغيلة». وقصيدة رد فيها على نقفور فوقاس إمبراطور بيزنطة الذي هاجم الإسلام . وقد هجاه فيها فأقذع .

إمام الحرمين عبد الملك الجويني (٤١٩-٤٧٨هـ/١٠٢٨-١٠٨٥م)

ورسائلته «شفا الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل» .

هو أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف . وقد نُسب إلى جوين، وهي ناحية من نواحي نيسابور على طريق القوافل من بسطام وهي بين جاجرم وبيهق^(١) . وهي الآن في إيران . وكان أبوه عبد الله وهو من العلماء، قد ولد في جوين فنسب إليها . وأما عبد الملك فقد ولد في قرية من قرى نيسابور . وكان شديد الذكاء حتى أنه كان يلاحظ على والده في مسائل في الفقه ويرد عليه، وتولى مشيخة نيسابور بعد وفاة أبيه وهو في سن العشرين . وكان شافعي المذهب، أشعري الاعتقاد فلما قام عميد الملك الكندري وزير الملك السلجوقي طغرل بيك بمناهضة الأشاعرة، غادر الجويني مسقط رأسه (نيسابور) هو وأبو القاسم القشيري، وذهب إلى بغداد ومنها إلى الحجاز عام ٤٥٠هـ (١٠٥٨م) وجاور بمكة وعلاصيته ودرّس في مكة والمدينة، حتى لُقّبَ بإمام الحرمين . ثم تولى نظام الملك الوزارة في عهد الملك ألب أرسلان السلجوقي ، وكان مثقفاً واسع الاطلاع، أشعري الاعتقاد

(١) دائرة المعارف الإسلامية ج ٧ / ١٧٨ .

فانتصر للأشاعرة وأعادهم إلى مناصبهم، وجعل مذهب الدولة المذهب الشافعي . ثم أقام المدارس النظامية (وهي جامعات عظيمة) وولي هذه المدارس أئمة الشافعية في عصره، وجعل المدرسة النظامية في نيسابور للإمام الجويني، وبغداد للإمام الشيرازي. كما جعل علماء الشافعية الأشاعرة في مدرسة أصبهان، ومدرسة البصرة، ومدرسة مرو، ومدرسة آمل بطبرستان ومدرسة هراة (في شمال غرب أفغانستان اليوم)، ثم تولى الإمام الغزالي مدرسة بغداد واشتهر بها شهرة كبيرة .

وكان الجويني يتميز بسعة الاطلاع وعدم الركون إلى التقليد، بل كان يحب الاطلاع على مختلف العلوم بما في ذلك الفلسفة ومختلف أصحاب الفرق. وقد تشبّع الغزالي تلميذ إمام الحرمين بهذه الصفة واشتهر بها شهرة كبيرة .

وقد وضع الجويني عددًا كبيراً من الكتب والمصنفات مع اشتغاله الدائم بالتدريس والخطابة والإفتاء منذ زهرة شبابه إلى وفاته وهو في التاسعة والخمسين، حتى أن السبكي قال في طبقاته (ج٢/٧٧) بأن هذه الكثرة لا تمل إلا ببركة الوقت والكرامة. ومن كتبه «البرهان في أصول الفقه»، و «الإرشاد إلى قواطع الأدلة» في أصول الاعتقاد (وحقق هذا الكتاب الدكتور محمد يوسف، وعلي عبد المنعم عبد الحميد، والمستشرق لوسيانى، والدكتور أحمد حجازي السقا، كلُّ علي حدة) ومن أشهر كتبه «الورقات» في أصول الفقه وقد شرحها كثيرون. وله «الشامل» في أصول الدين، وله «العقيدة النظامية» في الأركان الإسلامية. وقد طبع ثلاث مرات وكل مرة بتحقيق، فمرة حققه المستشرق كاوبفر ومرة الشيخ محمد زاهد الكوثري ومرة أحمد

حجازى السقا، وله أيضا «لمع الأدلة» في قواعد عقائد أهل السنة والجماعة تحقيق الدكتورة فوقية حسين محمود .

ومعظم كتبه في العقائد وأصول الفقه ومنها رسالة صغيرة سماها «شفاء الغليل في بيان ما وقع في التوراة والإنجيل من التبديل» . وقد قام بنشرها ووضع مقدمة لها الدكتور أحمد حجازى السقا، مكتبة الكليات الأزهرية بالقاهرة (الطبعة الثالثة عام ١٩٨٩) .

وقد أوضح المصنّف أن التوراة قد ضاعت من اليهود بسبب ارتداد اليهود في زمن الملكية وعبادتهم للأوثان، ثم بسبب الحروب الطويلة التي عانوا منها، ثم بسبب تدمير دولتهم على يد الآشوريين حيث قام الملك سرجون الثاني سنة ٧٢١ قبل الميلاد بالقضاء على مملكة الشمال المسماة إسرائيل وكانت عاصمتها نابلس (شكيم) وتحكم منطقة الضفة الغربية اليوم. وأما مملكة الجنوب فكانت عاصمتها أورشليم (القدس) وقد دمرها نبوخذ نصر سنة ٥٨٦ قبل الميلاد. ونفى اليهود إلى بابل. وقد أعادهم الملك الفارسي قورش سنة ٥٣٨ قبل الميلاد إلى فلسطين وبنى لهم أورشليم من جديد كما بنى الهيكل. وفي تلك الفترة ظهر الكاهن عزرا ووضع لهم التوراة من جديد بعد أن فقدت فقداناً تاماً .

وقد ذكر الإمام الجويني أن عزرا كتب لهم التوراة قبل بعثة المسيح بخمسة وأربعين سنة (٥٤٥ قبل الميلاد). وهو أمر يؤكد علماء الأديان في دراساتهم الحديثة من أن عزرا كتب التوراة من جديد ووضعها لهم في بابل بالعراق قبل العودة إلى فلسطين. وهذا يدلُّ على سعة اطلاع الإمام الجويني. وقد ناقشهم الجويني تفصيلاً ثم ناقش النصراني في أناجيلهم واضطرابها وتناقضاتها .

الإمام الغزالي (٤٥٠-٥٠٥هـ/١٠٥٨-١١١١م) وكتابه "الرد الجميل للإلهية عيسى بصريح الإنجيل":

ترجمة الغزالي باختصار: هو الإمام العلم حجة الإسلام الفقيه الأصولي المتكلم الشافعي مذهباً، الأشعري معتقداً، الطوسي مولداً ووفاءً، الصوفي سلوكاً، ذو التصانيف الكثيرة البديعة والأسلوب المشرق جزل العبارة، سهل الفهم حسن الإشارة .

ولد أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي (بالتشديد نسبة إلى صنعة الغزل التي كان يمارسها والده، أو بدون تشديد نسبة إلى قرية غزالة إحدى قرب طوس التي ولد بها). وكان أبوه يحب العلم والعلماء ويرغب في أن يتعلم ولداه (محمد وأحمد) العلم، فلماً وافته المنية، وهما طفلان صغيران، أوصى صديقاً له، بأن ينفق عليهما ما ترك في العلم وطلبه. فلما نفذ المال قال لهم الوصي: إنني امرؤ فقير ولا مال لي، ومالكما قد نفذ، وأصلح ما أرى لكما أن تلجئا إلى مدرسة، فإنكما من طلبية العلم فيحصل لكما قوت يعينكما على وقتكما، ففعلا وكانت المدارس الدينية ولا تزال تنفق على منتسبيها، نفقة الكفاف من الأوقاف المرصودة لها .

وهذا من محاسن الأوقاف الإسلامية التي وفرت العلم لمن يريده، والدواء لمن يطلبه مجاناً، لوجه الله تعالى مع إعطائهم ما يحتاجونه من النفقة اللازمة .

وطوس في خراسان، وهي الآن في شرق إيران بالقرب من حدودها في تركمنستان التي بها مدينة مرو (الشاهجان) العظيمة ذات التاريخ الباذخ، والتي أنجبت مئات العلماء والأفذاذ. وطوس الآن هي مدينة

مشهد لأن بها مشهد الإمام علي الرضا بن موسى الكاظم بن محمد الباقر بن علي زين العابدين ابن الإمام الحسين شهيد كربلاء وسبط رسول الله ﷺ وابن علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء عليهم السلام جميعا . وفي طوس أيضا قبر هارون الرشيد .

ورحل الغزالي إلى نيسابور ولازم إمام الحرمين أبا المعالي عبد الملك الجويني، حتى صار من أخص طلبته، وكان ينيبه في الدرس، ثم صار الجويني يفتخر بتلميذه. ثم ذهب إلى العراق واتصل بالوزير نظام الملك، وزير الملك السلجوقي ألب أرسلان. وكان واسع الاطلاع مثقفا، شافعي المذهب، أشعري المعتقد فأعجب بالغزالي أشد الإعجاب بعد أن رأى علمه وسمع كلامه ومناظرته للعلماء وولاه المدرسة النظامية في بغداد. وهي جامعة دينية لا يدرّس فيها إلا أفاض العلماء. وقد تولاها قبله الإمام الشيرازي . وأنشأ نظام الملك مجموعة كبيرة من هذه المدارس في العواصم الإسلامية امتدت من هراة في غرب أفغانستان حتى بغداد والبصرة والموصل .

فلما بلغ أوج مجده، وانتشرت كتبه في الأصول والفقّه في الآفاق، أصابه قلق شديد في أنه يريد الدنيا والمجد، ولا يريد بذلك الآخرة، ثم اشتد ذلك عليه فتركه كله، وهرب متخفياً إلى دمشق وذلك سنة ٤٨٥ معلنا أنه يريد الحجّ، ووزع أمواله كلها على الفقراء والمساكين ما عدا ما جعله لنفقة أهله وقد وصف بنفسه هذه الحالة التي مرّ بها في كتابه العظيم «المنقذ من الضلال» وهو أول كتاب بالعربية يوضّح السيرة الذاتية لكاتبها، وما مرّ به من شك واضطراب ومعاناة نفسه. ويقول : «لم أزل أتفكّر فيه مدة (أي علم الكلام) ، وأنا بعد على مقام الاختيار، وأصمم عزمي على الخروج من بغداد ومفارقة تلك الأحوال

يوما، وأحلّ العزم يوما. وأقدم فيه رجلا وأؤخر أخرى» حتى تنفصت حياته، ولم يستطع إلقاء دروسه، وأصابته لسانه حبسة، «وأورثت هذه العقلة في اللسان حزنا في القلب، بطلت معه قوة الهضم، ومرى الطعام والشراب، وكان لا تتساق لي شربة ولا تهضم لي لقمة، وتعدى ذلك إلى ضعف القوى حتى قطع الأطباء طمعهم في العلاج وقالوا: هذا أمر نزل بالقلب ومنه سرى إلى المزاج فلا سبيل إليه بالعلاج إلا أن يتروّح السرُّ عن الهم المهم»^٩. وأدى به ذلك إلى الخروج من بغداد والإعراض عن المال والجاه والأهل والأولاد، وادّعى أنه ذاهب للحج وهو ينوى الشام. ومن ثمّ أقام في دمشق مشغلا بالمجاهدة والخلوة والرياضة وتهذيب النفس معتكفا في مسجد دمشق، ومكث سنتين على ذلك ثم ذهب للحج وزيارة مسجد النبي ﷺ بعد الحج، وزار سيدنا إبراهيم في مدينة الخليل في فلسطين وذهب إلى بيت المقدس ثم إلى دمشق.. واستمر على ذلك عشر سنين ثم عاد إلى نيسابور مارا ببغداد وألقى دروسا في كتابه الفذ «إحياء علوم الدين» ثم عاد إلى مسقط رأسه طوس وبها كانت وفاته سنة ٥٠٥ هـ بعد أن زهد في الدنيا زهدا تاما رحمه الله رحمة الأبرار .

كتبه : للغزالي أكثر من مائتي مصنف في الفقه والأصول والتفسير والرد على الطوائف المختلفة من الزنادقة والباطنية والفلاسفة والنصارى والمعتزلة. وله كتاب في التفسير سماه «ياقوت التأويل في تفسير التنزيل» في نحو أربعين مجلدا .

وأشهر كتبه في الفقه : البسيط (أى المبسوط والموسع) والوسيط (وهو متوسط) والوجيز (وهو مختصر) . وله في أصول الفقه «المستصفي من علم الأصول» و «المنخول من تعليق الأصول» وغيرها .

وله كتاب إحياء علوم الدين وهو موسوعة عظيمة جمعت الفقه والعقائد والتصوف والسلوك والآداب وأشاد به العلماء على مدى القرون، وشرحه الزبيدي في كتابه «إتحاف السادة المتقين» .

ووضع العلامة عبد القادر بن شيخ بن عبد الله العيدروس كتاباً سمّاه «التعريف بفضائل الإحياء» مطبوع في الجزء الخامس من الإحياء. ووضع الزين العراقي تخريج أحاديث الإحياء، وأشاد بالكتاب وأوضح الأحاديث الضعيفة والصحيحة. وكان الغزالي يشير إليها بالتمريض «ورؤوي» . ثم وضع الغزالي نفسه كتاباً ردّ فيه على معترضيه وسمّاه الإملاء عن إشكالات الإحياء» مطبوع مع الإحياء (الجزء الخامس) .

وللغزالي كتب كثيرة في تهذيب النفوس والسلوك، وتربية الأبناء عرف باسم «أيها الولد»، ونصيحة للملوك كتبه بالفارسية (لأن السلاجقة ملوك زمنه كانوا يجيدونها ولا يجيدون العربية) ثم تُرجم إلى العربية باسم «التبر المسبوك في نصيحة الملوك» .

وله كتاب «الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل» . وقد ذكره الزبيدي في «إتحاف السادة المتقين شرح أسرار إحياء علوم الدين» ضمن مؤلفات الغزالي. وذكره حاجي خليفة في كشف الظنون (ج ٣ / ٣٥٢ و ج ٤ / ٥٨٤) والبغدادي في هدية العارفين (ج ٦ / ٨٠) ولكنه ذكره باسم «الرد الجميل على من غير التوراة والإنجيل». وقد طبع الكتاب عدة طبعات ومنها :

- ١- إصدار دار أمية بالرياض بالمملكة العربية السعودية ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي .
- ٢- إصدار مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ بمقدمة إضافية وتحقيق الأستاذ عبد العزيز عبد الحق .

٣- مكتبة زهران بالقاهرة وتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا وتقديم الدكتور عوض الله جاد حجازي والدكتور علي جمعة محمد . ويبدو أن مكتبة زهران أعادت طبع الكتاب ولم تذكر تاريخ الطبع، ولا الطبعات السابقة من الكتاب .

٤- المكتبة العصرية صيدا وبيروت (لبنان) بتحقيق وتعليق أبو عبد الله السلفي الداني بن منير آل زهوي سنة ١٤٢٠ هـ / ١٩٩٩ م. وقد بدأ الغزالي كتابه هذا بانتقاد النصارى لأنهم يجنحون إلى التقليد الأعمى في أمورهم وعقائدهم وقال: إنهم طائفتان : (الأولى) : «وهم الأكثر لم يمارسوا من العلوم شيئاً، ولم يعرفوا المنطق ولم يميّزوا بين الممكن والمستحيل. واستمرت بهم الغباوة إلى أن صار ذلك فيهم ملكة» .

(والثانية) : طائفة لهم أدنى معقول . وقد ألمّوا بيسير من العلوم ولكنهم أيضاً يعتمدون التقليد المحض لرؤسائهم.

«ولو راجع هؤلاء المساكين عقولهم، وتركوا الهوى والتعصب لعلموا أنهم قد نكبوا عن محجة الصواب وأخطأوا سبيل الحق» وهم لا يعرفون القياس ولا ضوابطه.. ويعتبرون ظهور الخوارق لعيسى عليه السلام دليلاً على ألوهيته. فميلاده من غير أب ليس بأعجب من ميلاد آدم عليه السلام من غير أب ولا أم ولا ميلاد حواء من ضلع آدم كما يقرّون بذلك.

وإحياء الميت قد حدث لعيسى كما حدث من قبله لإلياس (إليا) واليشع (اليسع) وكما حدث بعده لتلاميذه كما يزعمون. وقلب العصا حية أصعب من إحياء ميت وأدلى على المعجزة وهو ما حدث لموسى، وهم مقرّون بذلك كله، ويرفضون استخدام عقولهم. كما أنهم مقرّون بأن الشمس قد وقفت ليوشع بن نون تلميذ موسى يوم الجمعة حتى

يكمل الفتح قبل دخوله ليلة السبت. وذلك أكبر من إحياء ميت لأنه تصرف في الكون والشمس أعظم من الأرض. وهم مقرّون بذلك لأنه في سفر يشوع وهم مقرّون ومؤمنون به .

ثم إن الغزالي كان يذكر نصوصا بالعبرية ثم يترجمها إلى العربية ويبدو من كثرة هذه النصوص أنه كان يجيد العبرية .

ورد عليهم اعتمادهم على الفلاسفة وخاصة أرسطو طاليس (أرسطو) . وهو يقول : إن النباتات مكتسبة، وأن العالم قديم، وأن الباري لا يعلم الجزئيات، وأن الواحد لا يصدر عنه إلا واحد، وأن الله لم يقم بذاته علم ولا حياة ولا قدرة (تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا) . وأن الولد إنما يتكون من دم الحيض وأن لا دور للرجل في تكوينه إلا في عقده كما تعقد الإنفحة اللبن فتحوله إلى جبن (وهو أمر مناقض للعلم والطب).

ولست أدري إن كان النصارى يقولون بأقوال أرسطو فإنهم كانوا ضده. وإنما قرّبه إليهم ابن رشد وهو بعد الغزالي بأكثر من قرن من الزمان.. ويعد أن ترجمت كتب ابن رشد إلى اللاتينية تعرّفوا على أرسطو. ولعل نصارى الشرق والبلاد العربية كانوا على اطلاع عليها بينما نصارى أوروبا لا يعرفونها .

ثم ذكر الغزالي نصوصا كثيرة من الإنجيل تنفي ادّعاءهم أنه الله أو ابن الله. وأن ما ورد منها من نصوص توهم النبوة أو الاتحاد بالله فإنما هي مؤولة . لأنه قال : «أبي وأبيكم واحد» وكقوله : «فمن اعتصم بريننا فإنه يكون معه روحا واحدا» (رسالة بولس إلى أهل كورنثوس) وفي إنجيل يوحنا : «قدّسهم بحقك ، فإن كلمتك خاصة هي الحق. كما

أرسلتني إلى العالم أرسلتهم أيضا إلى العالم، ولأجلهم أقدس ذاتي،
ليكونوا هم مقدسين بالحق» .

الشهرستاني (٤٧٩ - ٥٤٨ هـ / ١٠٨٦ - ١١٥٣) وكتابه الملل والنحل :

ترجمته (١) :

أبو الفتح محمد بن الكريم بن أحمد الشهرستاني نسبة إلى
شهرستان بين نيسابور (في إيران اليوم) وخوارزم (في جمهورية
قازاقستان في آسيا الوسطى)؛ وشهرستان من إيران. ولد سنة ٤٧٩ هـ
ودرس بها ثم انتقل إلى بغداد سنة ٥١٠ هـ وأقام بها ثلاث سنوات ثم
عاد إلى بلده وبها كانت وفاته سنة ٥٤٨ هـ .

قال ياقوت الحموي عنه في معجم البلدان مادة شهرستان:
«الفيلسوف المتكلم، صاحب التصانيف، كان وافر الفضل، كامل
العقل».. من كتبه «نهاية الإقدام في علم الكلام» (خ) ، و «الإرشاد إلى
عقائد العباد»، و «تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام» و «مصارعات
الفلاسفة» و «تاريخ الحكماء» و «المبدأ والمعاد» وتفسير سورة يوسف
بأسلوب فلسفي، و «مفاتيح الأسرار ومصايح الأبرار» في التفسير «خ»
منه نسخة كتبت سنة ٦٦٧ في خزانة مجلس الشورى بطهران .

وأشهر كتبه كتاب «الملل والنحل» وقد طبعته مكتبة الأنجلو بالقاهرة
بتحقيق ثم طبعته مكتبة صبيح بالقاهرة أيضا سنة ١٣٨٤ هـ / ١٩٦٤
على هامش كتاب الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم بدون
تحقيق (٢) .

(١) ترجمة الشهرستاني من الأعلام للزركلي ومن طبعة محمد على صبيح الملل والنحل بهامش
الفصل في الملل والنحل لابن حزم .

(٢) طبعته دار الكتب العلمية بيروت سنة ١٩٩٢ ودار المعرفة بيروت بتعليقات محمد عبدالقادر
الفاضلي سنة ٢٠٠١ وهناك طبعات أخرى متفرقة للكتاب .

وقد رتب كتابه على خمس مقدمات :

١- في بيان أقسام أهل العالم جملة مرسلة .

٢- في تعيين قانون بيتنى عليه تعديل الفرق الإسلامية .

٣- في أول شبهة وقعت في الخليقة من مصدرها ومن مظهرها وهي الشبه التي جاء بها إبليس اللعين (ونسبها إلى الأناجيل الأربعة وأنها مذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرة بين إبليس والملائكة بعد الأمر بالسجود. وهذا كله الذي ذكره في موجود في المطبوع من التوراة والإنجيل.. وهل كان ذلك موجودا فيهما ثم أزيل أو أن الشهرستاني قد نقل ذلك عن غيره ولم يقف على هذه الكتب أصلا؟ الله أعلم بذلك. ولكن الموجود من الكتاب المقدس بشقيه العهد الجديد والعهد القديم لا يوجد فيهما أى ذكر لهذه المحاورة، وأما امتحان الشيطان لعيسى أو امتحانه لأيوب فأمر آخر غير مندرج فيما ذكره) .

٤- في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية .

٥- في السبب الذي أوجب ترتيب هذا الكتاب على طريق الحساب .

وقسم الناس إلى فريقين : (أهل الديانات) وهم المجوس واليهود والنصارى والمسلمون (وأهل الأهواء) والآراء مثل الفلاسفة والدهرية والصابئة وعبدة الكواكب والأوثان والبراهمة .

ويفترق كل منهم فرقا. وافترقت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة، والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاثة وسبعين فرقة. والناجية أبدا من الفرق واحدة، إذ الحق في القضيتين المتقابلتين واحد. وقد أخبر النبي ﷺ فقال : «ستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة : الناجية منها واحدة والباقون

هلكي»^(١). قيل ومن الناجية؟ قال : أهل السنة والجماعة، قيل: ومن أهل السنة والجماعة؟ قال : ما أنا عليه وأصحابي. وقال ﷺ : «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق إلى يوم القيامة»^(٢) وقال ﷺ : «لا تجتمع أمتي على الضلالة»^(٣) وهذا الكلام يرد على ياقوت الذي قال عنه: «ولولا تخطبه في الاعتقاد، ومبالغته في نصرته مذاهب الفلاسفة والذنب عنهم لكان هو الإمام»^(٤).

قال : «وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم من غير تعصب لهم ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام الزكية في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحق ونفحات الباطل».

وقد وفي الشهرستاني بشرطه فكان أمينا في نقله عن هذه الفرق أقوالها. ولم يبين صدقها من كذبها ولا حقاها من باطلها كما ذكر ذلك بنفسه.

السموأل بن يحيى المغربي (وفاته ٥٧٠ هـ) وكتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» وغاية «المقصود في الرد على النصارى واليهود» :

السموأل بن يحيى المغربي (أبو نصر)، عالم من علماء اليهود

(١) عن أبي هريرة بلفظ «افتترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة» وليس فيه ذكر المجوس وأخرجه أبو داود والترمذي والحاكم وابن حبان وصححه. وعن أنس بلفظ تفترق أمتي على بضع وسبعين فرقة كلها في الجنة إلا واحدة وهي الزنادقة. ذكره ابن حجر في تخريج أحاديث مسند الفردوس وأخرجه أيضا أبو يعلى من وجه آخر. انظر كشف الخفاء للمجلوني (ج ١ / ١٦٨ - ١٧٠).

(٢) رواه الشيخان البخاري وأحمد (كشف الخفاء للمجلوني ج ١ / ٥١١ الحديث رقم ٣١٦٢).

(٣) رواه أحمد والطبراني في الكبير ولفظ مقارب عند الترمذي والحاكم وأبي نعيم (كشف الخفاء للمجلوني ج ١ / ٤٧٠ الحديث رقم ٢٩٩٩).

(٤) معجم البلدان مادة شهرستان.

المشهورين، طبيب وفيلسوف ورياضي ومهندس. أصله من المغرب، وانتقل إلى المشرق، وسكن بغداد، ثم انتقل إلى مراغة (في أذربيجان اليوم) وعمل بها طبيباً وحكيماً، وبها أسلم سنة ٥٥٨ هـ في ليلة التاسع من ذي الحجة. وارتفعت مكانته بعد إسلامه لدى حاكمها وأهلها، وبها كانت وفاته سنة ٥٧٠ هـ .

وقال المصنف عن نفسه : «إن أبي كان يقال له الرأب، لقب تفسيره الحَبْر، وكان أعلم أهل زمانه بعلوم التوراة» .. وكان اسمه أبا البقاء بن يحيى بن عباس المغربي (وكان له كبقية اليهود اسمان : واحد للعرب والناس، وواحد لليهود خاصة) . ويقول: إن أمه كانت من يهود البصرة، ولها علم بالتوراة ونذرت إن رزقت ولداً أن تسميه شمواثيل ، وهو إذا عرب السمؤال (وترجمتها سمع الله لي) وهو نبي الله صموئيل وكانت كنيته أبا نصر. وعلمه والده علوم التوراة أولاً، ثم تعلم علوم الحساب والزيجات (التقويم الفلكي) وتعلم الطب على يد الفيلسوف الطبيب أبي البركات هبة بن علي، وخاله أبي الفتح الطبيب. وتعلم بعد ذلك الهندسة وعلوم الجبر والمقابلة.. وكان مكسبه من عمل الطب. ثم قرأ الفلسفة والتاريخ، ومنها كتاب تجارب الأمم لابن مسكويه وتاريخ الطبري. وأعجبه سيرة النبي محمد ﷺ والصحابة رضوان الله عليهم. وقرأ القرآن وانبهر بفصاحته وعلومه. ونبذ التقليد، قال : «فلما علمت أن ليس لليهود حجة صحيحة بنبوته موسى ﷺ إلا شهادة التواتر. وهذا التواتر موجود لعيسى ومحمد ، عليهما الصلاة والسلام، كوجوده لموسى ﷺ، فإن كان التواتر يفيد تصديقا فالثلاثة صادقون، ونبوتهم معاً صحيحة ثم يقول «فليس من العقل ولا من الحكمة أن يصدق أحدهم ويُكذَّب الباقيون، بل الواجب عقلاً أن يصدق الكل. فأما

تكذيب الكل فإن العقل لا يوجبه أيضاً، لأننا إنما نجدهم أتوا بمكارم الأخلاق، وندبوا إلى الفضائل، ونهوا عن الرذائل، ولأننا نجدهم قد ساسوا العالم سياسة بها صلاح حاله» .

قال: «فصحّ عندي بالدليل القاطع نبوة المسيح والمصطفى عليهما الصلاة والسلام وآمنت بهما. فمكثت برهة أعتقد ذلك من غير أن ألتزم الفرائض مراقبة لأبي. وذلك أنه شديد الحب لي، قليل الصبر عني.. فمكثت مدة طويلة لا يُفتح عليّ وجه الهداية، ولا تحلّ عني هذه الشبهة، وهي مراقبة أبي، إلى أن حالت الأسفار بيني وبينه... وحن وقت الهداية وجاءتني الموعظة الإلهية برؤيتي للنبي شموائل ﷺ في المنام في ليلة الجمعة تاسع ذي الحجة سنة ثمان وخمسين وخمسائة. وكان ذلك بالمرآة من أذربيجان». وقال : إنه رأى النبي شموائل جالساً تحت شجرة، فجلس بين يديه، ودفع إليه بكتاب بين يديه، وقال له : اقرأ فقراً كلاماً بالعبرية ترجمته «نبيا أقيم لهم من وسط أخيهم مثلك، فليؤمنوا» وهذه مناجاة من الله عز وجل لموسى. وكان اليهود يقولون : «إن المقصود بذلك شموائل فقلت له : «هنيئاً لك يا نبي الله ما خصك الله بهذه المنزلة». فنظر إليّ مفضبا وقال : أو إياي أراد الله بهذا يا ذكيّ، ما أفادتك إذا البراهين الهندسية؟ فقلت : يا نبي الله، فمن أراد الله بهذا؟

قال : الذي أراد بقوله «هو قيع ميها فاران» أي ظهور النبوة من جبال فاران، وهي جبال مكة. ثم قال : أما علمت أن الله لم يبعثني بنسخ شيء من التوراة، وإنما بعثني لأذكرهم بها.. فأني حاجة بهم إلى أن يوصيهم ربهم باتباع من لم ينسخ شريعتهم.. ثم أخذ المصحف من يدي وانصرف مفضباً. واستيقظ السموأل ثم نام فرأى من يقول له:

أجب رسول الله فسار حتى لقي النبي ﷺ فسلم عليه، ثم «قلت أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله»... فرأيته قد ملئ ابتهاجا». وأمره للذهاب معهم إلى غزوة بالبحر، وهو يخاف من ركوب البحر، ولكنه قال: سمعاً وطاعة. ثم استيقظ وتوضأ وصلى الفجر. وكان في ضيافة أمير مراغة فخر الدين عبد العزيز محمد بن محمود المصري. وكان قد أبلى من المرض (في فترة النقاهة) فدخلت عليه وأخبرته بإسلامي ومنامي ففرح فرحا شديدا. وأمر بخياطة جُبَّة جديدة لي.. وسار إلى الجامع يوم الجمعة التاسع من ذي الحجة والناس يكبرون. وبعد الصلاة وعظ الخطيب القاضي صدر الدين أبو بكر محمد بن عبد الله ابن عبد الرحيم وبشَّرههم بإسلامه ومدحه كثيرا. فسرَّ الناس بذلك سرورا بالغا .

وألف السموأل كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» ولم يورد فيه الرؤيا حتى لا يقول اليهود إنه أسلم بسبب الأحلام، مع أنه كان معتقداً صحة نبوة محمد ﷺ قبل ذلك بسنين. ثم بعد أربع سنوات أضاف إليه الرؤيا وسماه «غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود» .

كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» :

لقد انتشر كتاب بذل المجهود في إفحام اليهود في زمن المؤلف نفسه. وذكر هو ذلك بعد أن أضاف إلى كتابه الرؤيا التي سبق ذكرها وسماه غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود .

وقد طبع كتاب «بذل المجهود في إفحام اليهود» وقدم له الأستاذ محمد أحمد الشامي، ونشر مع الرسالة السبعية بإبطال الديانة اليهودية للحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي، لأنهما كانا

في مجموع واحد في المخطوط، وموضوعهما واحد. وقد تم طبع الكتاب في الستينيات كما يقول الدكتور إمام حنفي إمام في مقدمته لكتاب «غاية المقصود» .

ثم نشره الأستاذ عبد الوهاب طويلة بتعليقات وهوامش كثيرة، إصدار دار القلم دمشق ١٩٨٩ ثم قام الدكتور إمام حنفي بنشره باسم «غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود» عن مخطوط بمكتبة رئيس الكتاب مصطفى رقم ٥٤٥ بتركيا، ومنها نسخة مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ف ١٦٦ (ضمن مجموع)، وهي بخط نسخ جميل، خط برهان الدين البقاعي في أواخر القرن السابع (أى بعد وفاة المصنف بقرن من الزمان تقريبا) .

والكتاب موثق نسبته إلى السموأل بن يحيى المغربي، ذكره ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء وهدية العارفين. وترجم له الزركلي في الاعلام وكحالة في معجم المؤلفين.

وقد جاءت فصول الرسالة على النحو التالي :

١- مقدمة ذكر فيها السموأل الغرض من تأليفه الكتاب وهو الرد على اليهود وإثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ ، ونبوة عيسى ابن مريم صلوات الله عليه .

٢- ذكر الأدلة والبراهين على وجود النسخ في شريعة اليهود الذين يشغبون على المسلمين، ويقولون : إن النسخ دليل على تغيير الرأي والأمر. والله لا يغيّر أوامره وقد أثبت لهم وجود النسخ لأن شريعتهم نسخت بعض ما جاء عند نوح وعند إبراهيم عليهم السلام. ثم إن التوراة مليئة بالنسخ وأورد شواهد على ذلك كثيرة . بل كثيرا ما تزعم التوراة أن الرب ندم على فعله الشر في شعبه إسرائيل ١١.

٣- فصل فيه من البراهين والحجج العقلية ما يلزم اليهود بوجوب دخولهم في الإسلام .

٤- تفاصيل أخرى في وجود النسخ لدى اليهود بسبب استطراده في الرد عليهم .

٥ ، ٦- فصل بإلزام اليهود بنبوة عيسى ابن مريم عليه السلام والرد على افتراءات اليهود عليه .

٧- فصل في العلامات والآيات المذكورة في التوراة وأسفار الأنبياء (العهد القديم) الدالة على نبوة سيدنا محمد ﷺ والبشارات بمقدمه .

٨- فصل في بيان الأمكنة التي وردت فيها الإشارة بالنبي محمد ﷺ وفي التوراة .

٩- فصل فيه ذكر الموضع الذي أشير فيه إلى نبوة الكليم موسى والمسيح والمصطفى صلى الله عليهم أجمعين .

١٠- فصل في إبطال ما يدعونونه من محبة الله لهم وتفضيلهم على العالمين .

١١- فصل في ذكر طرف من كفرهم وتبديلهم في التوراة .

١٢- فصل في ذكر السبب في تبديل اليهود التوراة .

١٣- فصل معرب عن بعض فضائحهم في التوراة .

١٤- فصل فيما يعتقدوه اليهود في دين الإسلام .

١٥- فصل فيه ذكر السبب في تشديد اليهود والإصر على أنفسهم.

١٦- فصل فيه ذكر سبب إسلامه هو .

١٧- فصل المنام الأول والثاني وإعلان إسلامه .

١٨- قيام السمؤال بتأليف «إفحام اليهود» ثم «غاية المقصود» وهي

فصول قصيرة ولكنها وافية بالفرض .

الحبر الأعظم إسرائيل بن شموئيل الأورشليمي وكتابه «الرسالة

السبعية بإبطال الديانة اليهودية» :

لقد قام الأستاذ عبد الوهاب طويلة بإصدار هذه الرسالة الهامة ونشرتها دار القلم بدمشق وعلّق عليها . ولكنه للأسف لم يترجم للمصنف، وتركنا في جهل تام عن هذا الحبر الذي قال عنه: «الحبر الأعظم» ونسبه إلى أورشليم (بيت المقدس) فأغلب الظن أن يكون من أهلها . ولكننا لا نعرف شيئاً ألبتة عن المؤلف ولا زمنه ولا تاريخ ميلاده، أو وفاته، وما هي مناصبه الدينية عند اليهود؟ وكيف تلقّب بلقب «الحبر الأعظم».. إلخ إلخ .

والأستاذ عبد الوهاب الطويلة ملوم في ذلك، فكان ينبغي عليه أن يترجم لهذا المؤلف وخاصة أنه دعاه بالحبر الأعظم. ولم يخبرنا أبداً من أين أتى بهذه الرسالة. وهل هي مطبوعة (وهذا ما أظنه ويبدو أنه أخذها مطبوعة وعلّق عليها). فليس هناك أيّ ذكر لا عن الرسالة ولا أين توجد؟ ولا عن مؤلفها. وهي رسالة مهمة وكان الواجب المحتم على من كتب مثل هذا الكتاب وأخرجه أن يعطينا ولو معلومات قليلة عن المصنف رحمه الله .

وقد بدأ المصنف رسالته الموجهة إلى اليهود قومه. ويبدو أنها رد على تساؤلات منهم، لماذا ترك دين آبائه وأجداده، وتوراتهم وشريعتهم وانتقل إلى دين الجوييم (أي غير اليهود الذين لا قيمة لهم عند اليهود

وإنما خلقهم الله ليكونوا في خدمة أسيادهم اليهود الذين هم أبناء الله على الحقيقة والمجان) فأجاب :

«ألا يا بني إسرائيل ، يا أقبائلي وبنو جنسي. إني أعلمكم بأن الذي الجأني إلى أن أترك ما عندكم وأدخل في دين الإسلام هو مركب من سبع قضايا». ثم ذكر هذه القضايا، ونوجزها فيما يلي :

(١) أن البشارات التي جاءت في أسفار التوراة والزبور وكتب الأنبياء كلها تنطبق على محمد ﷺ . وابتدأها بأن التوراة سفر التكوين ذكرت أن لسيدنا إسحاق (والد يعقوب وبنو إسرائيل) بركة واحدة. وأن لإسماعيل جملة بركات. وإسماعيل هو جد النبي محمد ﷺ .

(٢) أنه وجد ذكر النبي محمد وصفاته في التوراة وكتب الأنبياء بعد أن مضت عليه السنون وهو لا يدري عنها شيئاً، ويؤولها كما يفعل الأخبار حتى لا تتصرف إلى النبي الأمي الذي يجدونه مكتوباً عندهم في التوراة وكتب الأنبياء .

(٣) أن جماعة اليهود عن بكرة أبيهم يعيشون بغير التوراة ولا يطبقون أحكامها باعتبارهم مشردين في الأرض. وهناك أحكام القرين الذي يقدم في الهيكل، وقد بطل منذ أن تهدم الهيكل (آخر مرة في زمن هدرين الروماني في القرن الثاني للميلاد). كما أن أحكام الكهنوت المرتبطة بالهيكل كلها لا تطبق. وقد ربطت أحكام الهيكل والكهنوت والذبائح بالصلوات وحتى الأحكام المدنية. فإذا عدت هذه الأركان انهدم البناء وبطلت الديانة اليهودية بأكملها. وقد كان آخر أنبياء بني إسرائيل عيسى ابن مريم، ولكن اليهود كفروا به وقذفوه وأمه مريم بأشنع التهم. ثم زعموا أنهم قتلوه وصلبوه مع لص

وقاطع طريق. وقد انهدم هيكل سليمان كما أخبرهم بذلك عيسى عليه السلام فبطلت عبادتهم وقرابينهم وأحكامهم العديدة .

(٤) أن الله حينما وضع شريعة التوراة وفرضها قد جعل على الأمة اليهودية ٦١٣ وصية. وحكم على من لم يعملها بـ ٦١٣ لعنة، فقد جاء في سفر التثنية (الاشتراخ) الإصحاح ٢٧، ٢٨ : «ملعوننا يكون من لا يعملها واحدة واحدة». وأي خطأ في هذه الوصايا يستوجب التكفيرات والقرابين والذبائح المعلومة. وهي كلها تقدم إلى الهيكل والأحبار فيه. وبما أن الهيكل قد تم تدميره منذ زمن طويل فإن هذه الكفارات كلها قد أُلغيت ولم تنفذ منذ أكثر من ألف عام .

ويقول لهم : «وأما الآن يا أقربائي وبنو جنسي ، قد رأيت أن عامة اليهود الباقية من بني إسرائيل عندما يخالفون وصية من هذه الوصايا، تلزمهم لعنة من هذه اللعنات المشروحة من سيدنا موسى عليه السلام في التوراة ، وليس لهم وجهة للتخلص منها مطلقا». وبالتالي فإن اليهود كافة واقعون تحت اللعنات لأنهم لا يقدرّون أن ينفذوا أحكام التوراة المتعلقة بالكفارات والقرابين لأنها كلها لا تتم إلا في الهيكل. ولا وجود للهيكل منذ أن هدمه آخر مرة هدریان الروماني في القرن الثاني بعد الميلاد. وينتهي إلى القول «وممتع عليكم يا أحبائي التقرب إلى الله، بحيث التزمتم تبعة شريعتكم التوراتية مع عدم مكنتم أيضا التطهيرات المربوطة بها. وهذا القول ليس هو قولي، ولا يجوز عندي أن ألعن، بل هي لعنات شريعتكم وتوراتكم، فإني قصدت أن أذكركم إياها للتخلص منها إن شئتم، كما تخلصت أنا منها بدخولي إلى الديانة المحمدية المبيّن عنها من موسى والأنبياء عليهم السلام» .

(٥) يا أحبائي ليس خافيا أن في الزمن الماضي قد جاء سيدنا

عيسى ﷺ فاستكبرتم عليه وتكلمتم في حقه أفاضاً غير جائزة ومحرمه، لا سيما أنها مبنية على التزوير والبهتان والكذب. وذكر لهم أن كثيراً من اليهود في زمنه قد دخلوا في دين عيسى الحق وتخلصوا من لعنات الشريعة عليهم. ولكن أتباع المسيح من الأمم الأخرى وخاصة بولس قاموا بتحريف دين المسيح وجاءوا بعقيدة التثليث الباطلة وأضاعوا التوحيد الذي جاء به الأنبياء جميعاً عليهم السلام بما فيهم عيسى ابن مريم نفسه. وقد بشر عيسى ﷺ بمجيء محمد ﷺ وسماه الفارقليط وهي كلمة يونانية ترجمتها الداعي. وقد تبع محمد ﷺ بعض أحناف اليهود وبعض أحناف النصارى في زمنه وبعد زمنه. ومنهم عبد الله بن سلام ومخيريقي من اليهود في زمنه ومنهم كعب الأحناف في زمن الصحابة .

(٦) ولكن أحناف اليهود والحاخامات وضعوا تأويلات فاسدة لتلك البشارات حتى يبعثوا الشعب عن اتباع دين محمد ﷺ . وبعض هؤلاء يعرفون الحق ولكنهم للمطامع والمكاسب والمناصب الدنيوية يتعمدون تأويلات فاسدة وباطلة. ولهذا يدخلون تحت هذه اللعنات المضاعفة .

وقد اخترع بعض هؤلاء الأحناف القول بالتقميمص وهووا إلى الدنيا مرارا حتى يطهر الإنسان اليهودي. وهي فكرة مأخوذة من تناسخ الأرواح عند الهندوس. وهذه العقيدة ليس لها أي سند من تعاليم التوراة والزبور وكتب الأنبياء .

لهذا يبقى كل يهودي في اللعنات حتى يخرج من هذا الدين اليهودي إلى دين الإسلام . والله هو الذي أذن بهدم الهيكل ولم يأذن بقيامه مرة أخرى حتى نعلم أننا ملعونون ، ولا يرفع عنا هذه اللعنة والإصر إلا

اتباع محمد ﷺ . ﴿ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا
عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ
الطَّيِّبَاتِ وَيُحْرِمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ
الْمُقَلِّدُونَ (١٥٧) ﴾ [الأعراف : ١٥٧] .

(٧) لهذا كله اتبع إسرائيل بن شموئيل دين الإسلام، دين الحق .
ووجد الفرق في اتباع الديانة الإسلامية في الأمور التالية :

(الأول) ترك فرائض المأكولات التي حرّمها الحاخامات .

(الثاني) التخلص من هذه اللعنات ونكباتها .

(الثالث) اترك الكلام الرديء والتحريف في حق عيسى وأمه .

(الرابع) أن أقرّ أنه رسول الله . وهو عبد الله .

(الخامس) أن أقلع عن بغض الأمم التي رُئيت عليها . وأحبيت
محمدا الحاوي لجميع المحامد . وأحبيت أتباعه من أصناف الأمم
المختلفة وتساوى لدى الناس والله قد فضلهم بالتقوى . وما عدا ذلك
فهم كلهم متساوون . وزاد إيماني بوحدانية الله . وبقي معي ختاني
وطهوري ويُعدى عن المرأة وقت حيضها واعترافى بجميع الأنبياء واتباع
الشريعة . وهي كلها محررة بأجلى وأجمل بيان في القرآن الكريم .
وفيه ترتبط الدنيا بالآخرة فما أجمل هذا الدين وأن أقول بكل قوة
وأجهر بصوتي : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدا رسول الله .

وأنا أدعوكم يا إخوتي وأحبابي لاتباع هذا الدين وهذا النور الذي
جاء به محمد ﷺ والذي جاء به من قبل موسى وهارون والأنبياء
عليهم السلام جميعا .

نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب (وفاته ٥٨٩ هـ) وكتابه
«النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» :

يعتبر نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب النصراني واحداً من كوكبة من أهل الكتاب، على مر التاريخ الإسلامي، آمنت بالله رباً وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبياً ورسولاً وبالإسلام ديناً، وعملت على نشر ذلك الإيمان، وردّ المفتريات التي يلحقها بها قوم من اليهود والنصارى. وكتبت الكتب ونشرت المؤلفات في سبيل الدعوة إلى الإسلام، نذكر منهم عبد الملك بن أبحر الكناني طبيب وصدیق الخليفة العادل عمر ابن عبد العزيز، والذي أسلم على يديه (وقد ترجمنا له) ثم علي بن ربن الطبري الذي أسلم على يد الخليفة المعتصم، وصار صديقاً للخليفة المتوكل (سبقت ترجمته) ثم الحسن بن أيوب (كان حياً قبل ٢٨٠ هـ) ، ثم عيسى بن جزلة الطبيب الذي جادل مطران نصيبين إيليا اللاهوتي ورد عليه ردوداً مفحمة، ثم السمؤال بن يحيى بن أبون صاحب «إفحام اليهود» وقد سبقت ترجمته .

ثم ظهر نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب المهتدي، ولكن من العسير الحصول على ترجمته. جاء في كتاب «كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون» لحاجي خليفة (ج٢/١٩٥٧، ١٩٥٨) : «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية». تأليف نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب أوله : «الحمد لله الذي فضل دين الإسلام..» إلخ وهي مشتملة على أربعة فصول :

الأول : في اعتقاد النصارى ومذاهبهم .

الثاني : في تناقض كلامهم .

الثالث : في معجزات المسيح ﷺ .

الرابع : في الدلائل على نبوة محمد ﷺ .

وذكره إسماعيل باشا البغدادي في كتابه هدية العارفين (ج ٦/٤٩٢) هكذا : «المهتدي نصر بن يحيى بن عيسى» . كان نصرانيا ثم أسلم، اشتهر بالمهتدي. له «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» .

وقد قام الدكتور محمد عبد الله الشرقاوي رحمه الله بتقديم وتحقيق كتاب نصر بن يحيى هذا ونشره بعنوان «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية» نشر دار الصحوة بالقاهرة ١٩٨٦ .

وقد ذكر هذا الكتاب المستشرق بروكلمان والمستشرق شتاينشneider وقد ذكر هذا الكتاب المستشرق بروكلمان والمستشرق شتاينشneider ويقول الدكتور الشرقاوي : إنه عثر على نسخة مطبوعة من الكتاب طبعت بالقاهرة سنة ١٣١٢ هـ بحوش الشرقاوي بالقاهرة وهي طبعة رديئة، حسب قوله، مليئة بالأخطاء .

ثم عثر على مخطوطة من الكتاب في جامعة برنستون (Princeton) بالولايات المتحدة تحت رقم Garret Collection no 305 L . ورقمها في دليل «فيليب حتي» ١٥٣٧ وهي نسخة جيدة في ٦٠ صفحة وتاريخ نسخها متأخر في ١٢/١١/١٢٧٧ هـ .

والنسخة الثالثة مخطوطة من جامعة ييل (Yale) بالولايات المتحدة أيضا برقم 35 Landberg في ٢٤ صفحة وتاريخ نسخها ٢٧ ربيع الثاني ١٢٩٧ هـ .

وهناك نسخة رابعة من جامعة ليدن بهولندا، حصل على صورة ناقصة منها ولكن ظهر بها اسم الرسالة واسم المؤلف .

ثم إن المصنف ذكر اسمه في نص الرسالة .

وقد بحث الدكتور الشرقاوي عن ترجمة لنصر بن يحيى بن عيسى فلم يجد (وحاولت ذلك فلم أجد سوى ما ذكره حاجي خليفة والبغدادي المذكوران آنفا) .

ويقول إن ابن أبي أصيبعة في طبقات الأطباء والقفطي في إخبار العلماء بأخبار الحكماء وغيرهما قد ذكرا شخصا باسم يحيى بن يحيى بن سعيد المعروف بابن المسحبي أو ابن النصراني، من أهل البصرة.. كان أديبا شاعرا عارفا بالطب، وكانت وفاته بالبصرة سنة ٥٨٩ هـ .

وقد رجح الشرقاوي (دون دليل) أن يكون يحيى بن يحيى هو نفسه نصر بن يحيى بن عيسى بن سعيد المتطبب. وأما كتابه فموجود مخطوطا ومطبوعا، وقد أثبتته كما أسلفنا حاجي خليفة والبغدادي، وبروكلمان، وشتاينشنادر. ونسخة المخطوطة موجودة في برنستون وبيبل في الولايات المتحدة، وفي ليدن في هولندا ولربما كانت منه نسخ في مكتبات العالم المتناثرة .

يقول المصنف نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب في مقدمة كتابه بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على رسوله المصطفى وآله : «وحيث أنقذني الله من الشريعة التي نُسخَتْ، والملة التي طُمِسَتْ، وشرقتني الله بدين الإسلام واتباع شريعة سيد الأنام ﷺ وعلى آله الكرام، وأصحابه مصابيح الظلام : أحببت أن أذكر بنداً من أحوال النصارى واختلاف مذاهبهم وآرائهم، واعتقاداتهم وضلالهم، وما أورد كل صاحب مذهب منهم في معنى الاتحاد، والأب، والابن، والروح

القدس، وما تضمنته أناجيلهم عن حال المسيح ابن مريم، من حين ولد إلى أن أخذته اليهود وما فعلوا به، وكم كانت الأناجيل؟ وكم هي الآن؟ وأذكر اتخاذهم الصليبان وتعظيمهم لها، وسجودهم للصور، وحال قرايبتهم، وكيف اتخذوها وسميت هذه الرسالة: «النصيحة الإيمانية في فضيحة الملة النصرانية». قال: «وجعلتها مختصرة، توضح عقيدتهم، وتكشف سريرتهم، وتظهر أمرهم وتثبت كفرهم، إذا وقف عليها منهم من عرف أخبار القدماء وفهم أقوال العلماء، وما نقل عن الماضين من شرح أصول الدين، ومذاهب المسلمين، علم أنه قد سلك مناهج الأغرار، وتبع آثار الأغيار ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٦] ﴿لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٤].

ليس لاعتقادهم أصل يُعوَّل عليه، ولا برهان يُستند إليه، قد اقتدوا بقوم لا يعقلون، واغترّوا بجهال لا يفقهون. ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٠]... «وأنا أستغفر الله وأتوب إليه مما كنت أعتقده وأعتمد عليه، وأسأله أن يُسبِل عليّ رداء عفوه ورحمته، ويشملني بلطفه ورأفته، وأن يقبل عثرتي، ويقبل توبتي، فإنه مجيب الدعوات ومقبل العثرات ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ﴾ [الشورى: ٢٥].

ويذكر كيف كان مع هؤلاء المشركين والضلال يقف أمام الصور والصليبان ويتبع أوامر القسس والرهبان أهل الإفك والبهتان... إلخ.

يقول: وقد جعلت هذه الرسالة مشتملة على أربعة فصول:

الأول : في مذاهب النصارى واعتقادهم .

الثانى : في دعاويهم وتناقض كلامهم واختلاف أقوالهم .

الثالث : فيما ذكروه من معجزات المسيح ﷺ وادعائهم فيه الألوهية، وذكر ما كان لغيره من الأنبياء من المعجزات .

الرابع : في الدلائل على نبوة سيد المرسلين وخاتم النبيين محمد ﷺ وعلى آله وصحبه أجمعين من التوراة والإنجيل وغيرهما .

أبو عبيدة الخزرجي (٥١٩ - ٥٨٢ هـ) وكتابه "مقامع هامات الصلبان ومراتع روضات الإيمان" :

هو أحمد بن عبد الصمد بن أبي عبيدة بن محمد الخزرجي الساعدي الأنصاري نسبة إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة رضي الله عنه .

ولد في قرطبة عام ٥١٩ هـ في زمن بدأت فيه دولة الإسلام في الأندلس في الأفل، بينما النصارى من القوط وغيرهم يتجمعون. وقد ابتلي أهل الإسلام بالخلاف الشديد فيما بينهم لدرجة أن يستعينوا بأعدائهم من النصارى على إختوتهم في الإيمان، بل إختوتهم في النسب والدار . وكان الأخ يقاتل أخاه والابن يقاتل أباه في سبيل الملك ، ولا يبالي في ذلك أن يستعين بأعداء الدين والملة والوطن .. وكان المسلمون يحكمون كل الجزيرة الإيبيرية فيما يعرف اليوم بأسبانيا والبرتغال ما عدا الجبال الشمالية ، حيث قامت فيهما إمارتان نصرانيتان صغيرتان هما «كانتابريا» و «جليقة»، وذلك منذ أن فتح الجزيرة طارق بن زياد وتبعه موسى بن نصير قائده الأعلى، أي منذ نهاية القرن الهجري الأول. (تم فتح الأندلس عام ٩٢ هـ / ٧١١م).

وكانت أول هزيمة للمسلمين في بواتيه (بلاط الشهداء) في جنوب فرنسا في المعركة الفاصلة بين عبد الرحمن الغافقي وشارل مارتن عام ١١٤ هـ / ٧٣٢م، فكانت تلك الهزيمة مشجعة للنصارى لجمع قلوبهم وبداية الاتجاه جنوبا نحو الأندلس .

وسقطت طليطلة (Toledo) عاصمة القوط الأولى بأيدي النصارى عام ٤٧٨هـ / ١٠٨٥م ودخل الفونس السادس ملك قشتالة و«لادن» و«جليقة» مدينة طليطلة بعد أن حكمها المسلمون لما يقرب من أربعة قرون .

ولولا نجدة ابن تاشفين ملك الموحدين بجيشه القوي وخشونة رجاله لكان سقوط طليطلة بداية النهاية لحكم ملوك الطوائف. وقد استطاع ابن تاشفين مع ابن عباد وبقية ملوك الطوائف أن يتحدوا لأول مرة منذ قرون لمواجهة المد الصليبي الطاغي، فأيدهم الله بالنصر في معركة الزلاقة المشهورة وذلك سنة ٤٧٩ هـ / ١٠٨٦م أي بعد عام واحد فقط من سقوط طليطلة . وقد أحر ذلك النصر المبين سقوط الأندلس لعدة قرون أخرى. ولكن رغم النصر إلا أن القوات الإسلامية لم تستطع تحرير طليطلة ، ولكنها حافظت على ما بقى من الأندلس تحت الحكم الإسلامي المرابطي ثم الموحدي ثم تفرقت الدول بانتهاء دولة الموحدين وبدأ عهد الانهيار الأخير .

ولد أحمد بن عبد الصمد المعروف بلقب جده أبي عبدة الخزرجي في هذا الجو المشحون بالمعارك الضارية بين المسلمين والنصارى القوط، وبين المسلمين أنفسهم وكان واسع المعرفة منذ شبابه حافظا للحديث، دارسا لأديان النصارى وفرقهم. وقد أسر سنة ٥٤٠ هـ في طليطلة في إحدى المعارك مع النصارى وبقي في السجن هناك سنتين.

وفي تلك الفترة كان أحد القساوسة الأسبان يجيد العربية وله معرفة بالإسلام تمكّنه من إثارة الشبهات للمسلمين في طليطلة. وكان أكثر هؤلاء من العامة فلم يستطيعوا الرد على شبهاته حتى عرفوا أحمد بن عبد الصمد الخزرجي الشاب الذي كان في أوائل العشرينيات من عمره. فكان يرد على شبهات القسيس ، فيأتونه بالرد حتى تعجب القسيس من هذه الردود فسأل حتى عرف صاحبها. فأرسل إليه رسالة يدعوه فيها إلى اعتناق النصرانية ويعدّه ويمنيه فيها بخيرات الدنيا والآخرة، إن هو فعل ذلك .

وعرف الشاب أنه لا يستطيع أن يرد عليه وهو في السجن وتحت قبضتهم في طليطلة، فسكن حتى تمكن من الخروج منها، وأنداك أرسل ردهً المضمّم وأسماه «مقامع هامات الصليبان ومراتع روضات الإيمان». وقد نشره الدكتور محمد أبو شامه بعنوان «بين الإسلام والمسيحية» مكتبة وهبة بالقاهرة وقال : إنه وجد مخطوطتين للكتاب: (الأولى) : في مكتبة أحمد الثالث بإستانبول تحت رقم ١٨٦٣ في ٩٢ ورقة. وحصل على صورة لها من معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية وهي بعنوان «مقامع هامات الصليبان ومراتع روضات الإيمان». ويرجع تاريخ النسخ إلى القرن التاسع الهجري .

(والثانية) : موجودة في المكتبة الأحمدية بتونس برقم ٢٠٦٣ وهي بعنوان «كتاب مقامع الصليبان في الرد على عبدة الأوثان» وبهامشها أيضا أنها تُدعى «روضات الإيمان». نسخها محمد علي بن عمار التونسي التميمي وانتهى منها في ٢٧ من ذي الحجة سنة ١٢٨٠ هـ .

رد أبي عبيدة الخزرجي :

من فلان إلى فلان بسم الله الرحمن الرحيم، إله فرد صمد ، لم يلد

ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد. سلام على المهتدين والحمد لله رب العالمين... وصلى الله على سيدنا ومولانا ونبينا محمد خلاصة أصفائه وخاتم رسله وأنبيائه، سيد الأدميين، المبعوث رسولا في الأميين، وصلى الله عليه وسلم من نبي كريم على خلق عظيم، جاءنا على فترة من الرسل، موضحا السبل داعيا إلى خير الملل، ملة أبينا إبراهيم ﴿ وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾ [البقرة : ١٣٠] ﴿ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [١٧] ﴿ [آل عمران : ٦٧] ﴾ ﴿ إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ ﴾ [آل عمران : ١٩] ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [آل عمران : ٨٥] ﴿ [آل عمران : ٨٥] ﴾

ثم ذكر بعد ذلك أن دين النصارى يرفضه كل من له ذرة من عقل حتى أن أحد ملوك الهندوس تعجب من هذا الدين بعد أن أتاه أحد قساوستهم يعرضه عليه «أن هؤلاء النصارى قصدوا مضادة العقل وناصبوه العداوة... واعتقدوا كل مستحيل ممكنا فمن اعتقد دينهم يصير العاقل به أخرق أحمق والراشد سفهيا والمحسن سفهيا» .

ثم بدأ بإبطال القول بالوهية عيسى عليه السلام وإثبات نبوته من نصوص أنجيلهم قائلًا له : : ألم تقرأ في إنجيلك الكائن بين يديك عن عيسى أنه قال حين خرج من السامرة ولحق بالجليل : لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه^(١) وفي إنجيل لوقا : إنه لم يقبل أحد من الأنبياء في وطنه فكيف تقبلونه^(٢) وفي الإنجيل لمرقس : أن رجلا أقبل إلى المسيح

(١) في إنجيل يوحنا : و «بعد اليومين خرج من هناك إلى الجليل لأن يسوع نفسه شهد أن ليس لني كرامة في وطنه». (يوحنا ٤/٤٣-٤٤).

(٢) في إنجيل لوقا : فقال لهم (أي يسوع) على كل حال تقولون لي هذا المثل : أيها الطبيب اشف نفسك كم سمعنا أنه جرى في كفر ناحوم، فافعل ذلك هذا أيضا في وطنك ، فقال : الحق أقول لكم : إنه ليس نبيًا مقبولا في وطنه». (لوقا ٤/٢٣، ٢٤) .

وقال له : «أيها المعلم الصالح، أي صلاح أعمل لتكون لي الحياة الأبدية فقال له : لماذا تدعوني صالحا . ليس أحد صالحا إلا واحد وهو الله . ولكن إن أردت أن تدخل الحياة فاحفظ الوصايا . قال له : أي وصايا؟ فقال يسوع: لا تقتل، لا تزني، لا تسرق، لا تشهد بالزور ، أكرم أباك وأمك» وهو في إنجيل مرقس (١٠/١٧-١٩) وفي إنجيل متى ١٩/١٦-١٩ .

وفي إنجيل يوحنا أن اليهود لما أرادت القبض عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء وقال : دنا الوقت يا إلهي فشرّفني لديك، واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل ما ملكتي، الحياة الباقية، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهًا واحداً، وبالمسيح الذي بعثت. وقد عظمتك على أهل الأرض واحتملت ما أمرتني به، فشرّفني لديك» (يوحنا الإصحاح ١٧).

وسمّي نفسه معلما : «ولا تدعوا معلمين فإن معلمكم، المسيح وحده، وقال لهم : «لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئا لكنني أحكم بما أسمع، لأنني لست أنفذُ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني» (يوحنا ٥/٣٠) .

وفي إنجيل يوحنا أيضا قال لليهود : «قد عرفتموني في موضعي، ولم آت من ذاتي، ولكن بعثني الحقُّ، وأنتم تجهلون» (يوحنا ٧/٢٨) .

وقال لليهود بعد جدال معه حينما قالوا إنما أبونا إبراهيم : «إن كنتم بنى إبراهيم فاقتفوا أثره، ولا تريدوا قتلي، على أني رجلٌ أدبّيت إليكم الحق الذي سمعته من الله ، غير أنكم تقفون أثر آبائكم فقالوا : لسنا أولاد زنا، إنما نحن أبناء الله وأحباؤه، فقال : لو كان أباكم لحفظتموني لأنني رسول منه، خرجت مقبلا، ولم أقبل من ذاتي، ولكن هو بعثني ، ولكنكم لا تقبلون وصيتي وتعجزون عن سماع كلامي. إنما أنتم أبناء الشيطان» .

وقالوا له في موقع آخر : اكشف الكتاب. ترى أنه لا يجيء من الجليل نبي (يوحنا ٧/٤٥-٥٢) وفي هذا كله لم يقل لهم سوى أنه نبي. وسخر من غيابهم واستدلّاهم بأنه الله لأنه أحيا ميتا. فقد فعل ذلك إلياس وهم مقرّون بذلك ، كما فعله تلميذه اليشع . (اليسع). وفعل ذلك أيضا تلاميذ المسيح ويولس الذي لم يشاهد المسيح وغيرهم. ولم يكن ذلك دليلا قط على ألوهيتهم.. إلى آخر الرد المفحم.

الفخر الرازي وفاته ٦٠٦ هـ - مولده ٥٤٣ هـ - وقيل ٥٤٤ أو ٥٤٥ هـ :

هو العلامة الأصولي المتكلم المفسر الخطيب فخر الدين الرازي أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين القرشي نسبا، الشافعي مذهبا، الأشعري عقيدة . وكان والده خطيب الرّي (من ضواحي طهران الآن في إيران) ولذا كان يسمى ابن خطيب الرّي. مولده بها واشتغل على أبيه إلى أن مات، ثم قصد السمعاني، ثم عاد إلى الرّي واشتغل بالعلوم الحكيمة (الطب والهندسة والرياضيات والفلسفة والفلك) على مجد الدين الجيلي في مراغة، ودرس الفقه وعلوم الدين والتفسير وبرع فيها .

وكان الفخر من أفضل علماء عصره في الفقه واللغة والمنطق والمذاهب الكلامية، وبرع في الطب والحكمة، ملما بالأدب والشعر وفنون اللغة، وكان ينظم الشعر بالعربية والفارسية .

له كتب عديدة من أشهرها كتاب التفسير الكبير سماه: «مفاتيح الغيب» طبع عدة طبعات في ٣٢ مجلدا ثم في ١٦ مجلدا كل مجلد يحوى جزأين. وله كتاب تفسير الفاتحة وكتاب التفسير الصغير واسمه «أسرار التنزيل وأنوار التأويل» .

وله «المحصل» في علم أصول الفقه و«المعالم» في أصول الفقه و«تبيه الإشارة في الأصول» و«الأربعين في أصول الدين». وله كتاب «الطريقة في الجدل»، و«مباحث في الجدل»، و«رسالة في السؤال» و«الطريقة العلائية» في الخلاف. و«شفاء العي» في الخلاف .

وله كتاب «القضاء والقدر»، ورسالة في «الحدوث»، و«عصمة الأنبياء» و«المحصل في علم الكلام» وله كتاب «الملل والنحل» وكتاب «اعتقادات فرق المسلمين والمشركين» و«رسالة في النبوات» وفيها تعرض للفرق المختلفة ولليهود والنصارى .

ومن كتبه في العلوم الحكيمة والطب : كتاب النبض، والمباحث المشرقية، والمطالب العالية في الحكمة، ومصادر إقليدس (في الهندسة) وكتاب آخر في الهندسة. وكتاب مسائل في الطب وكتاب شرح عيون الحكمة، وكتاب الفراسة، والملخص في الفلسفة.

وحوى تفسيره الكبير، ردوداً كثيرة على اليهود والنصارى في مواقعها من الآيات الكريمة في القرآن العظيم .

القاضي صالح بن الحسين الجعفري (أبو البقاء) وكتابه تخجيل من حرف التوراة والإنجيل :

ترجمة المصنف :

أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري (٥٨١ - ٦٦٨ هـ) :

هو القاضي أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري (نسبة إلى جعفر ابن أبي طالب) الزينبي (نسبة إلى زينب بنت علي بن أبي طالب وفاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم). وقد تزوج عبد الله بن جعفر بن أبي طالب بابنة عمه زينب عقيلة بني هاشم، وبطلة كربلاء وأخت الإمام الحسين رضي الله عن الجميع وأعلى مقامهم في الجنة .

وقد سكن الجعافرة في صعيد مصر في مدينة إسنا، ولا يزالون في صعيد مصر إلى اليوم. ولد المؤلف سنة ٥٨١ هـ بمصر أثناء ولاية صلاح الدين الأيوبي الذي كان يقرب آل البيت السنّة.. وفي بيت العلم نشأ صالح بن الحسين وتفقه على علماء عصره، ثم تولى القضاء في مدينة قوص. وكانت في ذلك الوقت مدينة هامة على طريق الحجاج من المغرب وغيره حيث كانت آمنة، بينما كانت مدن الشمال والدلتا تواجه الحروب الصليبية. وكان شافعي المذهب، وهو مذهب الدولة الأيوبية آنذاك. وقد عاصر المؤلف عدداً من ملوك الدولة الأيوبية ابتداء من مؤسس الدولة صلاح الدين الأيوبي المتوفى سنة ٥٨٩ هـ إلى آخر ملوكهم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب الذي قتله المماليك سنة ٦٤٨ هـ. وتولت السلطة زوجة الملك الصالح نجم الدين أيوب، شجرة الدر وتزوجت قائد جيش المماليك الأمير عز الدين أيبك التركماني الذي أراد أن تدبر المملكة من خلاله فلم تفلح فقتلته سنة ٦٥٥ هـ، ثم قتلها ابنه علي بن أيبك وتولى الحكم، ثم تولى بعده السلطان المظفر سيف الدين قطز، صاحب معركة عين جالوت وانتصاره المدوي فيها، والذي أوقف المد التتاري. ولكن الظاهر بيبرس قتل سلطانه لأنه قدّم عليه غيره، وذلك في عام ٦٥٦ هـ، وفي عهده استتب الأمن وتوسعت دولة المماليك، وتم طرد الصليبيين من معظم مدن الشام وفلسطين، وفي عهده توفى المؤلف أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفري سنة ٦٦٨ هـ.

وقد اهتم القاضي أبو البقاء الجعفري بالإضافة إلى علم الفقه وأصوله، بعلم مقارنة الأديان وخاصة اليهودية والنصرانية، حيث كان هؤلاء يعيشون في مصر وفي الصعيد خاصة، وكانوا يثيرون الشكوك

عند العامة، ويهاجمون الإسلام ورسوله رغم أنهم أهل ذمة، وتحت حكم المسلمين. ولكن تساهل الحكام معهم جرّاهم على ذلك .

وقد قام القاضي بوضع كتابه الهام : «تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل» وانتهى من المجلد الأول من المخطوطة سنة ٦٣٧ هـ . وهو أول كتبه في الرد على اليهود والنصارى وأهمها . وقد قال المصنف نفسه في مقدمة كتابه «البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» : «وعمدتُ إلى كتابي الملقب بتخجيل من حرّف التوراة والإنجيل، وهو كتاب وضعتُه في أيام الشباب والنشاط، وجودة القريحة والانبساط، فأكبُّ على نقله علماء أهل الفسطاط (وهي جزء من القاهرة حالياً)، واغتبطوا به غاية الاغتباط . ولا شك أن علماءنا - أيدهم الله - يردُّون عليهم بالحجج العقلية والطرق الكلامية، وعقول النصارى قاصرة عن العقول مائلة إلى المنقول. وكنتُ قد طالعت التوراة، الخمسة الأسفار، والأنجيل الأربعة، وإنجيل الصبوة^(١)، ومزامير داود المائة والخمسين (ليست كل المزامير تتسب لداود حالياً بل بعضها ينسب لغيره) ورسائل فولوس (والمقصود بولس لأن القدماء كانوا يكتبون حرف P فاء) ، وسير التلاميذ (وهو سفر أعمال الرسل الذي وضعه لوقا)، ونبؤات الأنبياء الأول، والأمانة التي ألفها قداماؤهم (وقد وضعت في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ثم تمّ تعديلها والإضافة إليها في المؤتمرات اللاحقة). وقرأتُ كتب اليعاقبة والروم والنسطور. وتلوتُ عليهم من كتبهم وخاطبتهم باصطلاحهم، فجاء الكتاب نُدره في فنّه،

(١) «إنجيل الصبوة» غير معروف لدى النصارى وخاصة العامة. وهو من الأنجيل التي رفضها مجمع نيقية عام ٣٢٥ ميلادية عندما قرر المجمع برئاسة الإمبراطور قسطنطين الإبقاء على أربعة أنجيل فقط والاعتماد عليها، ونفي ماعداها. وقد تم في القرن العشرين اكتشاف ما يسمى «إنجيل الطفولة» وهو يصف مولد عيسى ﷺ ومعجزاته في مهده وطفولته. ولعله هو نفسه «إنجيل الصبوة» .

غاية في بابه، لا يسمع به أمير أو مأمور إلا حصَّله واقتناه، وبلغ من مناظرة أهل الكتاب مناه، فجردت منه عشر مسائل من كل باب من أبواب الكتاب». وجعلها القاضي أبو البقاء تحت عنوان «البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود» .

وقد وضع المصنف ثلاثة كتب في الرد على اليهود والنصارى، وهي :

١- «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» وسيأتي الكلام عليه .

٢- البيان الواضح المشهود من فضائح النصارى واليهود الذي يعتبر اختصاراً لكتاب التخجيل .

٣- الرد على النصارى . وحققه الدكتور محمد حسنين، مكتبة وهبه، القاهرة ١٤٠٩ هـ .

وقد كان المصنف قاضياً في مدينة قوص ثم صار والياً عليها . وتولى وظائف هامة في الدولة، ويبدو أنه كان له دور في مجاهدة الصليبيين عندما هجموا على مصر في زمن الملك الكامل والملك الصالح . فجمع في ذلك بين جهاد السيف وجهاد القلم .

اهتمام العلماء بكتاب «تخجيل من حرف التوراة والإنجيل»:

أشار المصنف إلى اهتمام علماء عصره بكتابه، بل امتد الاهتمام إلى الأمراء والمسؤولين وغيرهم من طبقات الشعب، وخاصة أن الجدل مع النصارى واليهود كان منتشرأ .

ثم إن الإمام أحمد بن إدريس القرافي المتوفي سنة ٦٨٤ هـ اعتمد عليه ونقل منه نقولا كثيرة في كتابه «الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة»^(١) .

(١) كتاب «الأجوبة الفاخرة في الرد على الأسئلة الفاجرة» طبع عدة مرات .

ثم قام الشيخ أبو الفضل المالكي باختصاره وانتقى عشر مسائل منه . وقد فرغ من اختصاره في شوال سنة ٩٤٢ هـ . وقد طبع الكتاب بتحقيق رمضان الصفطاوي البدرى وإصدار دار الحديث القاهرة (١٤١٨ هـ / ١٩٩٧ م) وطبع قبل ذلك سنة ١٣٢٢ هـ في القاهرة، مكتبة أحمد المليجي .

ونقل من كتاب التخجيل محمد بن عبد القادر الشهير بابن الصلف المحلي المالكي في كتابه «المنقذ من الضلالة، الشاهد لمحمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام بالرسالة»^(١) .

الإمام القرافي (١٢٦١ - ٦٨٤ هـ) وكتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» :

ترجمة موجزة : هو الإمام شهاب الدين أبو العباس أحمد بن علاء الصنهاجي (نسبة إلى قبيلة صنهاجة في المغرب العربي) البهنسي (نسبة إلى بهنسا في مصر) . ولُقِّبَ بالقرافي لأنه أتى يوماً متأخراً إلى الدرس عن طريق القرافة (مقبرة للأموات في مصر) . له عشرات الكتب الهامة في الفقه وأصوله مثل «التتقيح في أصول الفقه» و «أنوار البروق في أنوار الفروق» و«الانتقاد في الاعتقاد» . وفي الرد على النصارى «الأدلة الوجدانية في الرد على النصرانية» و كتاب «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» وهو رد على أسئلة وضعها النصارى في الرد على المسلمين .

وقد قام الأستاذ زكي عوض بنشره بعد تحقيقه والتعليق عليه عن مخطوطتين، كلاهما بدار الكتب المصرية : عقائد تيمور برقم ١٧٩

(١) لا يزال مخطوطاً ضمن مخطوطة في مكتبة باريس برقم ٥٠٤٩ كما يقول الدكتور محمود قدح في تحقيقه الرائع لكتاب التخجيل .

وبرقم ٣٥٤٦، ثم قام مجدي الشهاوي أيضا بتحقيقه ونشرته دار عالم الكتب بيروت. ويبدو أن الشهاوي لم يطلع على الكتاب الذي نشره الأستاذ زكي عوض. وهو أمر كثير الحدوث في عالمنا العربي للأسف .

وقد ذكر القرافي سبب تأليفه لهذا الكتاب وهو أن بعض النصارى وضع كتابا في الرد على المسلمين وأن القرآن، كتاب المسلمين الأول، قد اعترف بالديانة النصرانية، واختار بعض الآيات في ذلك. والقرآن الكريم قد ميّز وفرّق بين النصارى الذين عرفوا الحقّ وآمنوا بما أنزل على محمد ﷺ كما فعل النجاشي وكثير من قساوسته. وكما فعل وفد نجران الأول إلى مكة المكرمة فأمنوا، وأما وفدهم الأخير إلى المدينة المنورة فنكصوا عن المباهلة وأقرّوا بالجزية ثم فشا فيهم الإسلام. وشتان بين من عرف الحقّ فأمن به وصدّق وبين من عرف الحقّ فكتمه وحاربه .

وقد قسم القرافي كتابه إلى أربعة أبواب :

الأول : في بيان ما التبس عليه من القرآن .

الثاني : في أسئلة لأهل الكتاب اليهود والنصارى يوردونها على المسلمين. وهي أسئلة كثيرة الورد وإن لم يذكرها هذا النصراني في رسالته .

الثالث : في معارضة أسئلتهم بمائة سؤال أوردتها عليهم لم يستطيعوا الردّ عليها لأنها أفحمتهم .

الرابع : إبداء ما في كتبهم من بشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم. وما فيها مما يدلُّ على صحة دين الإسلام .

وقد اعتمد القرافي فيما كتبه على دراسته للتوراة (والعهد القديم)

والأناجيل وعلى من سبقه من علماء المسلمين من أمثال أبي عبيدة الخزرجي وأبي البقاء صالح بن حسين الجعفري. ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين سبق ذكرهم وترجمة حياتهم وكتبهم (باختصار).

القرطبي وكتابه "الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام. وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام":

وفاته سنة ٦٧١ هـ فرغ منه المصنف سنة ٧٢٦ هـ

لقد قام الدكتور أحمد حجازي السقا بإخراج هذا الكتاب القيم وحققه وعلق عليه. وقدم المحقق صورة ميكروفيلم للكتاب في معهد إحياء المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، بالقاهرة وقد كتب عنه المعهد في فهرس كتبه ما نصه :

«٢٩- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام، وإظهار محاسن دين الإسلام، وإثبات نبوة نبينا محمد عليه الصلاة والسلام. تأليف القرطبي وهو رد على كتاب ألفه أحد النصارى سماه «تثليث الوجدانية» بعث به من طليطلة إلى مدينة قرطبة فرغ منه سنة ٦٨٤ هـ بالكرك المحروس. نسخة كتبت سنة ٨٧٩ بخط نسخ جيد واضح (مكتبة كوبريللي بتركيا رقم ٧٩٤ مكرر) في ١٠٧ ورقة، ٢٦ × ١٨ سم .

وهنا عدة إشكالات :

الأول : من هو هذا القرطبي ؟

الثاني : قوله فرغ منه سنة ٦٨٤ فمن هو الذي فرغ منه؟ هل هو

القرطبي أم النصراني الذي وضع كتابه «تثليث الوجدانية»؟

الثالث : أنه كتبه بالكرك المحروس ؟ فأين هي هذه الكرك؟
والمعروف أن الكرك مدينة في الأردن (المملكة الأردنية الهاشمية) .
واستولى عليها النصارى فترة في الحروب الصليبية .

الرابع : أن الكاتب ذكر في نهاية هذا الكتاب أنه فرغ منه سنة
سبعمائة وست وعشرين من الهجرة ٧٢٦ هـ . فهل يستقيم هذا مع قوله
أنه فرغ منه سنة ٦٨٤ هـ ؟ ومع تأكيد أنه أيضا أن الناسخ فرغ منه سنة
٨٧٩ هـ .

وإذا كان المصنف قد فرغ منه سنة ٧٢٦ هـ فإن هذا الكاتب المجهول
والذي لم يعرف عنه إلا اسم القرطبي، ليس هو الإمام شمس الدين
أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري القرطبي
المتوفى سنة ٦٧١ هـ / ١٢٧٣ .

ورغم ذلك فإن بروكلمان يقول : إن مؤلف «الإعلام بما في دين
النصارى من الفساد والأوهام» هو القرطبي مؤلف تفسير القرآن الكريم
لا غيره . ويقول : إنه وجد نسختين من هذا الكتاب في مكتبة كوبريللي
الأولى برقم ٧٩٤ والثانية برقم ٨١٤ . ويقول : إن القرافي المتوفى سنة
٦٨٤ هـ نقل منه ما ورد عن أوغسطين . ويؤيد بروكلمان في ذلك
الدكتور زلط الحاصل على الدكتوراه من كلية أصول الدين بجامعة
الأزهر في موضوع «القرطبي ومنهجه في التفسير» . كما يؤيدهم في
ذلك صاحب كتاب «هدية العارفين» إسماعيل باشا البغدادي .

إذن نحن لانعرف على اليقين من هو كاتب هذا السفر (الإعلام بما
في دين النصارى من الفساد والأوهام) . وقد نشره الدكتور
أحمد حجازي السقا بعد أن علّق عليه ووضع له مقدمة وخاتمة،
ونشرته دار التراث العربي بالقاهرة سنة ١٩٨٠ .

ويشتمل الكتاب على أربعة أبواب ومقدمة. وفي المقدمة يقول: إنه وقف على كتاب وضعه أحد النصارى من طليطلة (التي سقطت بأيدي النصارى سنة ٤٧٨ هـ / ١٠٨٥ م) أعادها الله إلى مدينة قرطبة حرسها الله. متعرضاً فيه لدين المسلمين، نائلاً فيه من عصابة الحقّ الموحّدين، سائلاً عمّا لا يعنيه، ومتكلماً بما لا يدرّيه، فأمعنتُ النظر فيه، فإذا بالمتكلم يهرف بما لا يعرف، وينطق بما لا يحقّق، ناقضَ ولم يشعّر، وعمي من حيث يظنُّ أنه يستبصر ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان : ٤٤] .

والغريب حقاً أن أبا عبيدة الخزرجي أيضاً وضع كتاباً في الرد على أحد النصارى من طليطلة تهجم فيه على الإسلام والقرآن. وكان الخزرجي في ذلك الوقت أسيراً لدى النصارى في طليطلة فسكت عنه حتى تمكّن من الخروج منها، ثم وضع كتابه الذي استعرضناه فيما سبق .

وقد قسّم القرطبي كتابه هذا إلى أربعة أبواب بعد المقدمة الهامة وهي :

(الباب الأول) في بيان مذاهب النصارى في الأقانيم الثلاثة وإبطال قولهم فيها . وهنا تتجلّى معرفة القرطبي بعلم الكلام والمنطق والفلسفة وفرق النصارى المختلفة أشد الاختلاف في تعريف الأقتوم ، وفي التثليث، وفي طبيعة المسيح هل له طبيعة واحدة (لاهوتية كما يقول اليعاقبة) أم طبيعتان (كما تقول بقية فرق النصارى)؟ ثم هؤلاء اختلفوا أيضاً اختلافات كثيرة. كما تعرض باختصار للفرقة الأريوسية التي قالت : إن المسيح بشر مختار وليس إلهاً. وقال إنهم على الحق في ذلك، ويبدو أن بقايا منهم كانت لا تزال موجودة إلى زمنه فهو يقول:

إنهم مثل المسلمين لولا أنهم لم يؤمنوا بنبوة محمد ﷺ وهذا هو كفرهم.

(الباب الثاني) تحدث فيه القرطبي بتفصيل شديد وجعله بعنوان «في بيان مذاهب النصارى في الاتحاد والحلول وإبطال قولهم فيهما». وهو أيضا بحث فلسفي منطقي من رجل متضلّع في علم الكلام وفرق النصارى .

وفي نهاية الباب الثالث تعرض بتفصيل لنقد كتاب أوغسطين «مصحف العالم الكائن» ولست أدري إن كان أوغسطين نفسه قد كتبه بهذه اللغة العربية العالية أم أن أحداً القسس الأسباب المتضلعين باللغة العربية كتبه. ويبدو الاهتمام الشديد عند أوغسطين بالفلسفة والمنطق ومحاولة جعل العقيدة النصرانية مفهومة إلى حد ما، وإخراجها مما عرفت به من مجافاة المنطق والعقل. ولكن القرطبي نسف مقولاته وردّها عليها ردودا علمية منطقية عقلانية وافية .

(الباب الثالث) وقد جعله القرطبي «في النبوات وكلام علماء النصارى فيها». وقسمه القرطبي إلى قسمين : الأول ما ذكره مؤلف كتابه «تثليث الوجدانية في معرفة الله» في أمر المسيح المنتظر وما جاءت به البشارات في التوراة وبقية أسفار العهد القديم بما فيها الزبور. وقد قال القرطبي بأن كثيرا من هذه البشارات لا تنطبق على عيسى ﷺ ، بل تنطبق تمام الانطباق على محمد ﷺ . وأوضح أن التوراة وأسفار العهد القديم، وكذلك الأنجيل رغم ما فيها من تحريف إلا أنه لا يزال بها بعض البشارات بمقدم النبي محمد ﷺ وذكر علاماته وصفاته التي لا تنطبق على غيره .

وفى القسم الثاني من الباب الثالث ذكر المؤلف معنى النبوة ومعنى المعجزة ويبيّن أن معجزات عيسى عليه السلام من الأخبار ببعض المغيبات وشفاه المرضى وإحياء الموتى لا تدل على ألوهية عيسى عليه السلام ، بل هي معجزات أعطاه الله إياها كما أعطى الأنبياء قبله. فالإخبار بالمغيبات موجود لدى كل الأنبياء، بل إن اسم نبي إنما أطلق لأنه ينبئ بأخبار الغيب (ليس الغيب المطلق الذي لا يعلمه إلا الله). وما فعله بعض أنبياء بني إسرائيل من إحياء الموتى (صموئيل واليشع). بل وما فعله تلامذة المسيح وتلاميذ التلاميذ فقد أحيا بولس وبرنابا (وكلاهما من تلاميذ التلاميذ) ميتا وهكذا فعل بعض الحواريين تلاميذ المسيح. ولم يكن ذلك دليلا على ألوهيتهم ، كما أنهم كانوا يشفون المرضى ببركة دعائهم.

ثم ذكر المصنف الأدلة الناصعة في إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم وأفاض فيها وأحسن (الباب الرابع) في بيان أن أخبار النصراني وقسسهم متحكّمون في دينهم وأنهم هم الذين وضعوا لهم هذا الدين. ولا مستند لهم في أحكامهم إلا أهواؤهم وشهواتهم .

الإمام ابن تيمية (١١١ - ٧٢٨ هـ / ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) وكتابه "الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح" :

هو الإمام المتبحر العلامة الداعية إلى الله بقوله ولسانه وقلمه وسيفه وسنانه : أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام النميري الحرّاني (نسبة إلى مدينة حرّان) الدمشقي الحنبلي، أبو العباس تقي الدين ابن تيمية .

ولد في حرّان سنة ٦٦١ هـ فلما بلغ سبع سنين بلغهم قرب هجوم

التتار على بلدهم ففرَّت الأسرة إلى دمشق. وكان أبوه عبد الحليم من العلماء المعروفين ، فدرّس في دمشق، ثم لما مات حلَّ محله ابنه وأفتى ودرّس وهو دون العشرين. وكان جده أبو البركات مجد الدين كذلك من العلماء المشهورين بالمذهب الحنبلي، والأسرة كلها حنبلية المذهب. ولكن أحمد بن عبد الحليم تفرّد بسعة العلم وقوة العارضة والحِدَّة على من خالفه. ولم يكن يتزلف لأحد، لا لسلطان ولا من هو دونه، بل كان يقول ما يعتقد أنه الحق ولا يبالي بصغير أو كبير .

قال الزركلي في الأعلام : «أما تصانيفه ففي الدرر أنها ربما تزيد على أربعة آلاف كراسة، وفي وفات الوفيات أنها تبلغ ثلاثمائة مجلد» منها كتاب الفتاوى في أكثر من ثلاثين مجلدا (الطبعة السعودية) ومنها «السياسة الشرعية» طبع مرات عديدة، وكتاب «الإيمان» و «منهاج السنة» ردّ فيه على الرافضة. وله «الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان» و «الواسطة بين الحق والخلق» و «الصارم المسلول على شاتم الرسول» و «رفع الملام عن الأئمة الاعلام» . و «العقيدة الواسطية»، و «التوسل والوسيلة» و «نقض المنطق» و كتاب «القواعد النورانية الفقهية» ومجموعة الرسائل والمسائل وكلها مطبوعة. وأغلبها طبع مرارا. وله كتاب «الجمع بين النقل والعقل» مخطوط في شستريتي برقم ٢٥١٠ وغير ذلك كثيرا جدا مما يشكل مكتبة كاملة .

ومن كتبه الهامة في الرد على النصارى كتابه الهام «الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح» في أربعة مجلدات. وهو من أوسع الكتب في الرد على النصارى في التراث الإسلامي، وقد نقل لنا رسالة المهتدى الحسن بن أيوب إلى أخيه في الرد على النصارى وهي رسالة مفقودة ولا توجد إلا في هذا السفر الجليل، ولو اكتفى بها لكفته .

ولكنه كان بحراً في معرفة فرق النصارى ومذاهبهم إلى زمنه. وأثبت وجود البشارات بالنبي محمد ﷺ في كتبهم ونقل في ذلك نقولات كثيرة. وكتابه هذا رد على رسالة راهب نصراني يدعى بولص الراهب وهو أسقف صيدا .

ابن القيم (٦٩١ - ٧٥١ هـ) وكتبه في الرد على اليهود والنصارى :

هو الإمام المتفطن أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي المشهور بابن قيم الجوزية. والجوزية مدرسة من مدارس الحنابلة المشهورة في دمشق. وكان قد أوقفها محيي الدين بن الشيخ أبي الفرج بن الجوزي الذي قتل في بغداد مع الخليفة المستعصم عند سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ . وكان والد ابن القيم أبو بكر بن أيوب قيماً على هذه المدرسة فنسب إليها ابنه. وبه اشتهر في الآفاق .

وقد ولد ابن القيم في صفر سنة ٦٩١ هـ ولا يحدد المترجمون له مكان ولادته : هل هي زرع (قرية من أعمال حوران)؟ أم دمشق التي توطنها والده؟ وهو من أسرة ذات دين وعلم، وإن لم ينبغ أحد منها نبوغه .

وله العديد من الشيوخ في الشام ومصر والحجاز ولكن أشهر شيوخه وأعلامهم قدرًا لديه هو ابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم التميمري الحراني المتوفى سنة ٧٢٨ هـ .

وكان ابن القيم من أعلام الأمة في التقى والصلاح والعلم ، وله المؤلفات العجيبة التي انتشرت في الآفاق ونفع الله بها الأمة على مدار التاريخ. وله في علوم القرآن تفسير لم يكمله، و«أمثال القرآن» و«التبيان في أقسام القرآن» .. إلخ . وفي السنة له تهذيب مختصر

سنن أبي داود و«الجامع بين السنن والآثار»، و«الوابل الصيَّب» مآثورات وأدعية نبوية، و«جلاء الأفهام في فضل الصلاة على خير الأنام».. إلخ. وفي العقائد له كتب عديدة منها «الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي»، و«شفاء العليل» في مسائل القضاء والقدر و«الصواعق المنزلة على الجهمية والمعطلة»، و«الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية» و«مفتاح دار السعادة». وله في الرد على النصارى: «جوابات عابدي الصليبان»، و«هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى» (وهو الذي سنستعرضه باختصار). و«أحكام أهل الذمة».

وله في الفقه «إعلام الموقعين عن رب العالمين» و«إغاثة اللهفان في حكم طلاق الغضبان» و«تحفة المودود في أحكام المولود»، و«الطرق الحكيمة في السياسة الشرعية».

وله «بدائع الفوائد» وكتاب «الروح» وكتاب «زاد المعاد في هدى خير العباد». وهو من أمتع كتبه وأجلّها، جمع بين السيرة والفقه والرقائق. ولابن القيم كتب كثيرة في الرقائق والتصوف حتى اعتبر من كبار المتصوفة الريانيين، فله «مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين» وهو شرح لكتاب الهروي الصوفي وله الكتاب البديع «طريق الهجرتين»، كما له «الفتوحات القدسية» (الفتح القدسي)، و«عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين»، وكتاب «إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان»، و«روضة المحبين ونزهة المشتاقين»، وكتاب «تحفة النازلين بجوار رب العالمين»، و«الفرق بين الخلّة والمحبة». و«قرة عيون المحبين وروضة العارفين»، وكتاب «الطب النبوي» (وهو جزء من كتابه العظيم زاد المعاد) إلى غير ذلك من الكتب البديعة..

ولابن القيم - رحمه الله - ثلاثة كتب متعلقة بأهل الكتاب :

١- أحكام أهل الذمة وهو كتاب فقهي .. ولكن ابن القيم على عادته يمزج كتبه بالتاريخ وأصول الفقه والسيره مع تبخره في الفقه . وانتقد ابن القيم خلفاء المسلمين وأمرأهم الذين ولوا اليهود والنصارى والصابئة على أمور المسلمين . ومن ذلك أن المنصور ولّى النصارى بعض الولايات على المسلمين فظلموا المسلمين وأذلوهم وأخذوا ضياعهم وغصبوا أموالهم وجاروا عليهم، كما قال شبيب بن شُبّة للمنصور : «اتخذوك سُلماً لشهواتهم، وأنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً يوم القيامة» (أحكام أهل الذمة ١/١٦٠) وقال ابن القيم : «إن مكانة أهل الذمة ارتفعت في عهد المأمون، وتولوا الولايات الهامة، واستولوا على أموال المسلمين وضياعهم، فلما كثر ظلمهم وتعديهم على المسلمين أمر بعزلهم من الولايات العامة».. (أحكام أهل الذمة ١/١٦٢) ورغم ذلك بقى منهم عدد يتولون المناصب الهامة في مصر وغيرها . وأما في عهد المقتدر العباسي فكانت لأهل الذمة الولايات والجبايات حتى ضجّ المسلمون من ظلمهم إلى الخليفة فقام بعزلهم لفترة ثم عادوا مثلما كانوا (ج١/١٦٦) وفي أيام الأمر بأمر الله استولوا على الولايات واستعمل منهم كاتب يعرف بالقديس، وصادر اللعين ٢٧٢,٠٠٠ داراً وحنوتاً للمسلمين ومن الأموال ما لا يحصيه إلا الله . وزاد الأمر في الأندلس في أيام ملوك الطوائف، وفي مصر في عهد الفاطميين، ولكن لم يتوقف حتى أيام صلاح الدين الأيوبي وإنما خفّت حدته، ثم عاد في أيام ذريته، وفي أيام المماليك زاد زيادة كبيرة . وولاة المسلمين يولون الكفرة على إخوانهم المسلمين .

٢- جوابات عابدى الصليبان : وهو رد على النصارى فيما كانوا

يثيرونه من المسائل على المسلمين. وقال الدكتور محمد أحمد الحاج في رسالته للدكتوراه : إنه هو نفسه كتاب هداية الحيارى فى أجوبة اليهود والنصارى الذي قام بتحقيقه والتعليق عليه.

وقد سبقه إلى تحقيقه الدكتور أحمد حجازى السقا سنة ١٣٩٨هـ. ولكن لا جدال أن تحقيق الحاج أوسع وأفضل .

٣- إغائة اللهفان من مصائد الشيطان : وعنوان الكتاب لا يدل على أنه قد ردّ فيه على النصارى وعلى اليهود ورغم ذلك فهي ردود قوية وهامة عليهم.

وقد بدأ رده على النصارى (ص ٥٦٢ طبعة دار الكتاب العربي بيروت) بدعوة عيسى ﷺ وتبديل وتغيير دين المسيح ﷺ .

قال ابن القيم : «ثم أخذ دين المسيح في التبديل والتغيير حتى تناسخ واضمحل. ولم يبق بأيدي النصارى منه شيء. بل ركبوا ديننا بين دين المسيح ودين الفلاسفة عباد الأصنام. وراموا بذلك أن يتلفوا للأمم حتى يدخلوهم في النصرانية، فنقلوهم من عبادة الأصنام المجسدة إلى عبادة الصور التي لا ظل لها. ونقلوهم من السجود للشمس (كان الإمبراطور قسطنطين عابدا للشمس) إلى السجود إلى جهة المشرق، ونقلوهم من القول باتحاد العاقل والمعقول والعقل (فلسفة أفلوطين) إلى القول باتحاد الأب والابن وروح القدس .

هذا ومعهم من بقايا دين المسيح كالختان والاغتسال من الجنابة وتعظيم السبت، وتحريم الخنزير، وتحريم ما حرّمته التوراة (هذا كان من اليهود الذين دخلوا النصرانية. أما بولس وأتباعه من أبناء الأمم فقد أحلّ لهم بولس الخنزير وجميع النجاسات وحولوا السبت إلى

الأحد). ثم تناسخت الشريعة (باندثار اليهود المتصرين) إلى أن استحلوا الخنزير وأحلوا السبت، وعوّضوا منه الأحد (الأحد هو يوم الشمس Sunday وبما أن قسطنطين كان عابدا للشمس فقد مالاه الأبحار وحولوا السبت إلى الأحد) . وتركوا الختان والاعتسال من الجنابة. وكان المسيح يصلي إلى بيت المقدس فصلوا هم إلى المشرق (بدلا من العبادة المباشرة للشمس) . ولم يعظم المسيح صليبا قط فعظموا هم الصليب وعبدوه. ولم يصم المسيح ﷺ صومهم هذا أبدا، ولا شرعه، ولا أمر به ألبتة، بل هم وضعوه على هذا العدد (وهناك اختلاف شديد بين فرق النصارى في الصوم ووجوبه ومدته وأيامه ونصارى الغرب من كاثوليك وبروتستانت لا يصومون) ... وتعبدوا بالنجاسات (كان هذا منتشرا بينهم في العصور الوسطى ثم تركوا ذلك واهتموا بالنظافة). وكان المسيح ﷺ في غاية الطهارة والطيب والنظافة (وقد جاء في الإنجيل أن امرأة وضعت غالية من أفخر الطيب فدهنت بها رأسه واستتكر ذلك بعض الأتباع فأقرها المسيح ﷺ).. فقصدوا بذلك تغيير دين اليهود ومراغمتهم (حتى زعم مرقيون أن إله اليهود هو إله الشر وقال بالهين اثنين وهي نفس العقيدة المانوية المجوسية)، فغيروا دين المسيح، وتقربوا إلى الفلاسفة وعباد الاصنام^(١) بأن وافقوهم في بعض الأمر ليرضوهم به، ويستتصروا بذلك على اليهود .

ولما أخذ دين المسيح في التغيير والفساد، اجتمعت النصارى عدة مجامع تزيد على ثمانين مجمعا، ثم يتفرقون على الاختلاف والتلاعن، يلعن بعضهم بعضا، حتى قال بعض العقلاء : «لو اجتمع عشرة من (١) وقد صدق ابن القيم - رحمه الله - في ذلك. وقد استعرضنا ذلك بالتفصيل في كتابنا : دراسات معاصرة في العقائد النصرانية والعهد الجديد، إصدار دار القلم دمشق.

النصارى يتكلمون في حقيقة ما هم عليه لتفرقوا عن أحد عشر مذهباً .

ثم قام ابن القيم بذكر المجامع الكنسية ابتداء من اجتماع نيقية ٣٢٥ بعد الميلاد إلى زمنه . وفي مجمع نيقية الذي اجتمع فيه ٣١٨ من أكابر قساوستهم وبطاركتهم وضعوا العقيدة النصرانية الأولى : «نؤمن بالله الواحد، الأب، مالك كل شيء، صانع ما يرى وما لا يرى، ونؤمن بالرب الواحد يسوع المسيح ابن الله الواحد، بكر الخلائق كلها، الذي ولد من أبيه قبل العوالم كلها، مولود وليس بمخلوق، إله حق من إله حق، من جوهر أبيه، الذي بيده أتقنت العوالم، وخلق كل شيء، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل من السماء وتجسد من روح الجسد وصار إنساناً وحُمِلَ به . ثم ولد من مريم البتول، وتألّم وشجّ وقُتِلَ وصلّب ، ودُفِنَ، وقام في اليوم الثالث، وصعد إلى السماء، وجلس عن يمين أبيه، وهو مستعد للمجئ تارة أخرى للقضاء بين الأموات والأحياء .

ثم زادوا في مؤتمر نال : «ونؤمن بروح القدس الواحد، روح الحق الذي يخرج من أبيه، روح محبته، وبعمودية واحدة لغفران الخطايا، وبجماعة واحدة قديسية جاثليقية، وبقيامه أبداننا، وبالحياة الدائمة إلى أبد الأبدين» .

وخالفهم آريوس وجماعته وكان يقول : «إن يسوع المسيح مخلوق وأن الروح القدس أيضاً مخلوق، وأن الأول والآخر هو الله»، وبقيت جماعته فترة لا بأس بها رغم الطرد واللعن . ولكن تم بعد ذلك إبادة إبادة تامة، كما تم إبادة جميع الموحدين من اليهود الذين تنصروا .

واستعرض ابن القيم المجمع الذي طرد فيه نسطورس. وكان مذهبه أن مريم ليست بوالدة الإله على الحقيقة، ولكن ثمة اثنان الإله الذي هو موجود من الأب، والآخر إنسان الذي هو موجود من مريم. وأن هذا الإنسان الذي نقول : إنه المسيح بالمحبة متوحد مع ابن الإله. وابن الإله ليس ابنا بالحقيقة، ولكن على سبيل الموهبة والكرامة» .

واجتمع من الأساقفة مائتا أسقف في مدينة أفسس، فلعنوه وطردهوه وحرّموه وأثبتوا «أن مريم ولدت إلهًا، وأن المسيح إله حق وإنسان معروف بطبيعتين، متوحد في الأقوم» وأن مريم القديسة ولدت إلهًا، وهو ربنا يسوع المسيح، الذي هو مع أبيه في الطبيعة، ومع الناس في الناسوت، وأنفذوا لعن نسطورس .

وانتشرت عقيدة نسطورس في سوريا والعراق وفارس وجميع بلاد المشرق. ثم ظهر يعقوب البرادعي. وقال : إن للمسيح طبيعة واحدة لا طبيعتان، وأن الطبيعة الالهية هي التي كانت لدى يسوع المسيح. وهي عقيدة الأقباط في مصر. وتم لعنهم وطردهم من قبل الكنائس في أوربا. وهكذا استمرت الانقسامات . وظهرت بعد ذلك مشكلة المشيئة، فهل للمسيح مشيئتان أم مشيئة واحدة؟ وانقسموا مرة أخرى . وظهر منهم ما يسمى الأرثوذكس في اليونان وأوربا الشرقية وروسيا وهؤلاء يؤمنون بطبيعتين بمشيئة واحدة، بينما أوربا الغربية (العقيدة الملكانية) تؤمن بطبيعتين ومشيئتين للمسيح ﷺ .

وكما قال ابن القيم عن المجمع الخامس «فسدت الأمانة .. وافترق هذا المجمع الخامس وهم ما بين لاعن وملعون، وضال ، ومُضِلٌّ، وقائل يقول الصواب مع اللاعنين ، وقائل يقول الحق مع المُلَاعِنين» .

ثم ذكر سلسلة من المجامع إلى المجمع العاشر. ثم انتقدتهم نقدا شديدا وسخر من عقولهم التي تعبد مخلوقا خرج من بطن امرأة. قال: «حيث زعموا أنه - سبحانه وتعالى عن قولهم علوا كبيرا- نزل من العرش عن كرسي عظمته، ودخل في فرج امرأة، وأقام هناك تسعة أشهر يتخبط بين البول والدم والنجو، وقد علته أطباق المشيمة والرحم والبطن، ثم خرج من حيث دخل، رضيعا صغيرا يمص الثدي، ولُفَّ في القمط، وأودع السرير، يبكى ويحجوع، ويعطش، ويبول ويتغوط، ويحمل على الأيدي والعواتق، ثم صار إلى أن لطمت اليهود خديه، وربطوا يديه وبصقوا في وجهه، وصفعوا قفاه، وصلبوه جهرا بين لصين، وألبسوه إكليلا من الشوك، وسمّروا يديه ورجليه، وجزّعوه أعظم الآلام. وهذا هو الإله الحق الذي بيده أتقنت العوالم، وهو المعبود المسجود له» .

ثم قال : «إن أصل معتقدتهم أن أرواح الأنبياء عليهم السلام كانت في الجحيم في سجن إبليس، من عهد آدم إلى زمن المسيح، فكان إبراهيم وموسى ونوح وصالح وهود معذبين مسجونين في النار بسبب خطيئة آدم ﷺ ، وأكله من الشجرة... ثم إن الله سبحانه وتعالى لما أراد رحمتهم وخلصهم من العذاب، تحيل على إبليس بحيلة، فنزل عن كرسي عظمته، والتحم ببطن مريم حتى ولد وكبر، وصار رجلا، فمكّن أعداءه اليهود من نفسه حتى صلبوه، وتوجوا بالشوك رأسه، فخلّص أنبياءه ورسله، وفداهم بنفسه، فهرق دمه في مرضاة جميع ولد آدم، إذ كان ذنبه باقيا في أعناق جميعهم ، فخلّصهم منه بأن مكّن أعداءه من صلبه وتسميره وصفعه، إلا من أنكر أو شكّ فيه، أو قال بأن الإله يجلُّ عن ذلك، فهو في سجن إبليس معذب حتى يقرّ بذلك، وأن إلهه صلب وصفح وسمّر .

ثم قال : «أما شريعتهم ودينهم فليسوا متمسكين بشيء من شريعة المسيح ولا دينه ألبتة. فأول ذلك أمر القبلة فإنهم ابتدعوا الصلاة إلى مطلع الشمس (لأن قسطنطين كان عابداً للشمس) مع علمهم أن المسيح لم يُصلِّ إلى المشرق أصلاً. ومن ذلك أن طوائف منهم وهم الروم وغيرهم لا يرون الاستتجاء بالماء، فيبول أحدهم ويتغوط، ويقوم بإثر ذلك إلى صلاته بتلك الرائحة الكريهة ، ومن العجيب أنهم يقرأون في التوراة «ملعون من تعلق بالصليب» . وقد قال ذلك بولس وقال : إن المسيح ملعون وتحمل عنهم اللعنة. لأنه صلب وكل من علّق على خشبه فهو ملعون .

وانتقد ابن القيم صيامهم وحيلهم وأكاذيبهم التي يضحكون بها على أتباعهم . ثم أوضح أن دين النصارى مبني على معاندة العقول والشرع، وأن الشيطان قد تلاعب بالنصارى كل التلاعب. وأن موضع صلب المسيح ودفنه صار مزبلة عظيمة وقمامة فلما جاءت هيلينا والدة قسطنطين إلى بيت المقدس دلّها يهوذا (أحد اليهود) على قبره وأنه مكان المزبلة فنظّفت المكان وأقامت فيه كنيسة القمامة، ثم سُمّيت بعد ذلك كنيسة القيامة.

ثم انتقل ابن القيم بعد ذلك إلى الأمة المغضوب عليها وهم اليهود وأبان تحريفهم لكتابهم، ومحاربتهم لأنبيائهم، وعبادتهم للعجل، (وأشربوا في قلوبهم العجل) ثم عبدوا الأوثان في أكثر أيام ملوكهم، وامتناع اليهود من قبول التوراة حتى أضاعوها إضاعة تامة. ثم كتب لهم أحبارهم كتاباً من عند أنفسهم سمّوه التوراة به بعض بقايا من أحكام التوراة الحقّة مع أكاذيب لا حصر لها. وسبّوا رب العالمين كما شتموا أنبياء الله وافتروا عليهم الأكاذيب في كتبهم التي سموها العهد

القديم وهي أسفار التوراة وأسفار الأنبياء وأسفار التاريخ والأسفار الأدبية ... إلخ .

ثم ذكر ما شرعه الأحيار بنسخ التوراة وتشديدهم على أنفسهم في الذبائح ونقل ما كتبه المهتدي السمؤال بن يحيى المغربي في كتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» دون أن يشير إليه . وتحدث عن المشنا والجمارة (التلمود). وما قالوه عن الطريفا . وهي الفريسة التي يفترسها الأسد أو الذئب أو غيرها من السباع وأدخلوا في الطريفة أنواعا كثيرة من المذبوحات وصارت كلمة طريفا تعنى اللحم الحرام. وتحدث عن فرق اليهود وبالذات فرقة الأحيار وهم الفريسيون (الريانون) الذين يؤمنون بالتلمود وفرقة اليهود القرائين. وقد ظهروا في الدولة الإسلامية العباسية وتأثروا إلى حد كبير بالمسلمين. وأنكروا التلمود وسائر الكتب ما عدا التوراة وهم أصحاب عنان وبنيامين. وذكر أن الريانيين (الفريسيون - الحاخاميم) هم أشد الفرق ضلالا وعقدا وتجبرا «وصار أحدهم ينظر إلى من ليس على مذهبه وملته كما ينظر إلى الحيوان البهيم». وذكر استعمالهم الحيل للتخلص من الأحكام الشرعية التي يؤمنون بها. ثم ذكر كيدهم ومحاربتهم للنبي محمد ﷺ . وذكر انتظارهم للمسيح الدجال. وفصل في سبهم لرب العالمين ولأنبياء الله المكرمين والصاق التهم المقذعة بهم وهم من ذلك كله براء. وفصل بعد ذلك في تحريف التوراة والأدلة على تحريفها وضياعها منهم. ومع ذلك فقد بقى من تعاليم التوراة الحقبة شيء كثير.. ومن ذلك البشارات بالنبي محمد ﷺ وهم ينكرون ذلك ويؤلونه تأويلات فاسدة .

تولي أهل الذمة المناصب الكبرى في الدولة الإسلامية :

علي بن محمد ابن الدريهم المتوفى سنة ٧٦٢ هـ وكتابه "منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب" :

ترجمة المصنف هو أبو الحسن علي بن محمد بن عبد العزيز المعروف باسم ابن الدريهم. ولد سنة ٧١٢ هـ في الموصل ووفاته في مدينة قوص بصعيد مصر. وهو مصري شافعي ودرس القرآن والحديث على مشايخ عصره ونشأ يتيماً ثم اتجر ودخل دمشق ومنها إلى مصر وبها استقر. وكان ماهراً في الأحاجي والألغاز والأوقاف، ومشاركاً في الفقه والحديث والقراءات والتفسير والحساب. وله أكثر من عشرين مصنفاً منها «النسمات الفاتحة في آيات الفاتحة» و«كنز الدرر في حروف أوائل السور» (في التفسير) ومنها «ثنائي الناظر في المرائي والمناظر» (في المرائي والمناظر وهو من علم الطبيعيات) وله «التصريف وحلة التعريف» ويقال له أيضاً : «سر الصرف في علم الحرف» (في علم الصرف) وله «منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب». وهو ما سنستعرضه بإيجاز .. وقد قام بتحقيقه ونشره الأستاذ سيد كسروى ونشرته دار الكتب العلمية بيروت مع كتابين آخرين هما : «المذمة في استعمال أهل الذمة» لأبي أمامة محمد بن علي النقاش المتوفى سنة ٧٦٣ هـ والثاني هو : «حصن الوجود الواقعي من خُبث اليهود» لسليمان ابن إبراهيم الصولة الدمشقي المتوفى سنة ١٣١٧ هـ .

معاملة المسلمين لأهل الكتاب :

لقد عامل الإسلام أهل الكتاب بالعدل والنصفة، وخاصة من كانوا

في ذمة المسلمين وعهدهم. وقد أوصى رسول الله ﷺ بالذمة خيرا حتى وهو على فراش موته. وعندما قدم الرسول ﷺ إلى المدينة وأقام أول دولة للإسلام فيها وضع عهدا مع اليهود المقيمين بها وأقرهم على دينهم وأموالهم وأراضيهم وشرط لهم واشترط عليهم وجعل رسول الله ﷺ المؤمنين من قريش ويثرب (المدينة المنورة) ومن لحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس.. وهم يتعاقلون بينهم (أي يدفعون دية المقتول خطأ) ويفدون عانيهم (أي يفكون أسراهم ويدفعون عنهم الفدية). وأن من تبعنا ووافق على هذا العهد من اليهود فلهم النصر (ويدافع عنهم الرسول من الأعداء سواء كانوا من خارج المدينة أو داخلها) والأسوة غير مظلومين وأن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوقع إلا نفسه وأهل بيته. ثم ذكر مختلف قبائل يهود بالمدينة.. وأنه لا يخرج أحد من المدينة في حرب إلا بإذن رسول الله ﷺ وأن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم (عندما يخرجون للحرب). وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة. وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم.. وإذا حصل شجار أو فساد فإن مرده إلى الله ورسوله ليحكم بينهم بالعدل والإنصاف. وأنه من خرج من المدينة فهو آمن، ومن قعد فهو آمن إلا من ظلم أو أثم» .

ورغم أن اليهود نقضوا عهودهم واحدا تلو الآخر وقبيلة تلو الأخرى إلا أن المعاملات المالية وغيرها استمرت بينهم وبين المسلمين. وقد أخرج البخاري في صحيحه أن رسول الله ﷺ مات ودرعه مرهونة عند يهودي .

وفي كتاب النبي ﷺ لأهل نجران بعد أن أقرّوا بالجزية ما يلي

«ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير» وكذلك فعل رسول الله ﷺ مع صاحب أيله (وهي ميناء إيالات التي احتلتها إسرائيل) وأهل دومة الجندل النصراري وغيرهم .

وفي عهد الفتوح الإسلامية الباهرة في عهد عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما تمتع أهل الذمة بحماية المسلمين. وكان سكان تلك البلاد يفضلون المسلمين على الرومان الذين كانوا يحكمونهم مع أنهم في الملة سواء. وفتحت مصر بطلب من أقباطها وكانوا عوناً لعمر بن العاص في محاربه للرومان (ما عدا قريتين فقط حاربه ووقفت مع الرومان) وسعد أهل تلك البلاد قاطبة بالحكم الإسلامي الذي تميز بالعدل والنصفة بدرجة لا تخطر على البال .

وأباح الإسلام نكاح الكتابيات وأن يبقين على دينهن (محصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان) وهي علاقات أسرية وطيدة تزرع الحب والوثام في المجتمع. ولهذا أسلم معظم سكان الشام والعراق وإيران، ومصر وليبيا وتونس والمغرب والجزائر... إلخ طواعية عندما امتزجوا بالمسلمين ورأوا ما لا يتصور من العدالة والنصفة. وبقي أهل الكتاب وغيرهم في الدولة الإسلامية أحراراً في دينهم ومعاملاتهم. ولهم محاكمهم الخاصة التي تحكم بينهم، بل وصل الأمر أن جعل الخليفة الإسلامي لرئيس النصراري سلطة على قومه وكذلك للجاوون رئيس اليهود. ولهم محاكمهم ومجالسهم الخاصة بهم، ولكن من حقهم أن يتحاكموا إلى محاكم الدولة وهي محاكم إسلامية. أما إذا كان الخلاف بين مسلم وأحد أهل الكتاب فالمرجعية المحكمة الإسلامية فهي محكمة الدولة بكاملها وفيها العدل والإنصاف .

استخدام أهل الذمة في الإدارات والوزارات :

لم يمنع الإسلام استخدام أهل الذمة من اليهود والنصارى والصابئة، بل حتى من المشركين إذا كانوا أكفاء، معروفين بالأمانة. وقد استدل العلماء بجواز ذلك بالأدلة التالية :

١- استئجار رسول الله ﷺ لعبد الله بن أريقط من بني الدليل دليلاً في هجرته من مكة إلى المدينة. وكان عبد الله بن أريقط آنذاك مشركاً. وكانت قريش قد جعلت جائزة لمن يأتي بمحمد ﷺ مائة ناقة. فائتمنه رسول الله ﷺ في أخرج الأوقات وأشدّها صعوبة. وقد أخرج البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها قالت : «استأجر رسول الله ﷺ وأبو بكر، رجلاً من بني الدليل، هادياً خريّتا (أي ماهراً)، وهو على دين كفار قريش فدفعنا إليه راحلتيهما وواعداه غار ثور بعد ثلاث ليالٍ براحلتيهما» .

قال ابن القيم في بدائع الفوائد (ج ٣ / ٢٠٨) : «في استئجار النبي ﷺ عبد الله بن أريقط هادياً في وقت الهجرة، وهو كافر، دليل على جواز الرجوع إلى الكافر في الطب والأدوية والحساب والعيوب ونحوها، ما لم تكن ولاية تتضمن عدالة . ولا يلزم من كونه كافراً إلا يوثق به في شيء أصلاً، فإنه لا شيء أخطر من الدلالة في الطريق، ولا سيما في مثل طريق الهجرة .

٢- كانت خزاعة (قبيلة تعيش بالقرب من مكة وكانت قبل ذلك سكنت مكة ثم أجلتها منها قريش) ، عيبة نصح لرسول الله ﷺ مسلمهم وكافرهم . والعيبة كيس يحرز فيه الرجل النفائس، والمقصود أنهم موضع السر والأمانة. ودخلوا في عهد النبي ومعه في صلح

الحديبية، بينما دخلت بنو بكر في عهد قريش. ونقض بنو بكر العهد وغدروا فقتلوا من خزاعة، فنصرهم رسول الله ﷺ . وكانوا سببا في فتح مكة .

٣- ما روي عن النبي ﷺ أنه أمر سعد بن أبي وقاص بالتداوى عند الحارث بن كلدة الثقفي وكان قد اشتهر بالطب وتعلم في جنديسابور. وفي ذلك الوقت كان مشركا .

قال ابن مفلح الحنبلي في كتابه الآداب الشرعية (ج٢/٤٤١، ٤٤٢) :

قال الشيخ تقي الدين (ابن تيمية) : «إذا كان اليهودي أو النصراني خيرا بالطب ثقة عند الإنسان جاز له أن يستطبّه» .

وأخرج الإمام مالك في الموطأ والبيهقي في السنن عن عمرة بنت عبد الرحمن أن أبا بكر دخل على عائشة وهي تشتكي ، ويهودية ترقئها فقال أبو بكر: ارقئها بكتاب الله، وقد سئل الشافعي رحمه الله : «أيرقى أهل الكتاب المسلمين؟ قال : نعم إذا رقوا بما يعرف من ذكر الله». ولا تجوز الرقية بالطلسمات والكلام المبهم بل لا بد أن تكون بالقرآن أو الأدعية المعروفة .
أطباء الدولة من أهل الكتاب :

وقد ذكر عبد الملك بن حبيب الأندلسي الإلبيري في كتابه «الطب النبوي» أن معاوية بن أبي سفيان (كان واليا على الشام) أرسل لعثمان رضي الله عنه طبيبا من الشام ليداويه. وكان أطباء معاوية كما هو معروف من النصارى .

ومنذ العهد الأموي صار أطباء الدولة من النصارى أو اليهود أو الصابئة واستمر ذلك في العهد العباسي بل ازداد نفوذهم وثرواتهم في العهد العباسي والفاطمي والأيوبي والمملوكي والعثماني . وبلغ

خطرهم أنهم كانوا يشيرون على الخليفة حتى فى الأمور المالية والسياسية فيسمع لهم .

باختصار : كان أطباء البلاط منذ عهد معاوية بن أبى سفيان إلى عهد محمد رشاد آخر خلفاء بني عثمان فى غالبيتهم الساحقة من اليهود والنصارى والصابئة كما أن كثيرا منهم تولوا المناصب الهامة فى الدولة بما فى ذلك منصب الوزير (وهو ما يعادل منصب رئيس الوزراء اليوم). وقد تولوا الأمور المالية عند بني أمية وبني العباس والفاطميين وغيرهم. واستبدوا بالأمور وأهانوا المسلمين وأخذوا أموالهم وضياعهم حتى ضج المسلمون منهم .

اعتداء أهل الكتاب من أهل الذمة على المسلمين :

ذكر الإمام ابن القيم فى كتابه «أحكام أهل الذمة» (ج ١/١٦٠) أن المنصور العباسي ولى النصارى بعض الولايات على المسلمين فظلموا المسلمين وعسفوهم وأخذوا ضياعهم، وغصبوا أموالهم، وجاروا عليهم فقام الفقيه شبيب بن شبة وخاطب المنصور فى ذلك ووعظه قائلا له : إنهم اتخذوك سُلما لشهواتهم، وإنهم لن يغنوا عنك من الله شيئا يوم القيامة، فتبته المنصور، فبدأ بعزلهم بالتدرج .

وتكرر ذلك فى عهد ابنه المهدي ثم فى عهد حفيده هارون الرشيد الذي قال لخاصته ووزرائه : «من كانت له حاجة إليّ فليخاطب بها جبرائيل (ابن بختيشوع طبيبه الخاص) لأنى سأفعل كل ما يسألني فيه ويطلبه مني» فكان الوزراء والقواد ورجال الدولة يقصدون جبرائيل فى مطالبهم من الرشيد، ويجزلون له العطاء، حتى تمّ تحكّم هؤلاء النصارى فى الدولة الإسلامية فى عز مجدها .

ولما مرض الرشيد مرض موته ولم يفده بختيشوع ولا غيره من

أطباء النصارى غضب الرشيد وازدادت عِلَّتُهُ ، وندم على تمكينهم من رقاب المسلمين وإعطائهم الثروات الهائلة ولكن أمره لم ينفذ لوفاته وانشغال الأمة بحرب ابنه الأمين والمأمون. فلما تولى المأمون لم يترك هؤلاء في مناصبهم فقط وإنما زاد على ذلك. وكما يقول ابن القيم في أحكام أهل الذمة (ج ١/١٦٢) ارتفعت مكانة أهل الذمة في عهد المأمون وتولوا الولايات الهامة، واستولوا على أموال المسلمين وضياعهم.. ولما كثرت الشكايات من المسلمين على هذا الظلم والعسف الذي لاقوه من أهل الذمة في عهد المأمون، انتبه المأمون بعد طول رقده وأمر بعزلهم فصرف ٢٨٠٠ ممن تولوا المناصب الهامة في الدولة، ورغم ذلك بقي منهم عدد كبير في مصر وغيرها من الولايات البعيدة .

وتكرر ذلك في عهد المقتدر العباسي فأمر بعزلهم سنة ٢٩٥ هـ وقتل أبا ياسر النصراني عامل مؤنس الحاجب بسبب خيانتة للدولة واتفاقه سرا مع أعدائها. وفي زمن الراضي بن المقتدر عاد أهل الذمة إلى السيطرة فعزل الخليفة ابن فضلان اليهودي وجعل محله ابن مالك النصراني فقويت شوكة النصارى (أحكام أهل الذمة ج ١/١٦٦). وفي أيام الأمر بأمر الله امتدت أيدي النصارى وبسطوا أيديهم بالجناية، وتفننوا في أذى المسلمين . وتولى الراهب (المعروف في مصر باسم الأب القدس) أمور مصر . «صادر اللعين»، كما يقول ابن القيم، «عامّة من بالديار المصرية من كاتب وحاكم وجندي وعامل وتاجر، وامتدت يده إلى الناس على اختلاف طبقاتهم وأعلن في مجلسه : نحن ملاك هذه الديار حربا وخراجا، ملكها المسلمون منا وتغلبوا عليها، وغصبوها واستملكوها من أيدينا، فنحن مهما فعلنا بالمسلمين فهو قبالة ما فعلوا بنا ... وصادر اللعين ٢٧٢٠٠٠ دارا وحانوتا وأراضي من أموال المسلمين ،

ومن الأموال المنقولة ما لا يحصيه إلا الله. ثم انتبه الأمر من رقدته وأفاق من سكرته فأمر بعزله.

ولم يكن هذا الأمر قاصراً على الدولة العباسية، بل إن الدول التي قامت في ظلها، مثل الدولة الطولونية والأخشيدية فعلت مثل ذلك. وكذلك فعلت الدولة الأموية في الأندلس وملوك الطوائف. وزاد الأمر ضغطاً على إيالة أيام الفاطميين. وانحسروا قليلاً في أيام الأيوبيين دون أن يفقدوا مكانتهم في الدولة، ثم زاد الأمر سوءاً أيام المماليك.

وفي مصر ظهر يعقوب بن كلس اليهودي (ولد سنة ٣١٨ في بغداد) في أيام كافور حتى صار الحُجَّاب والأشراف يقومون له ويكرمونه، وأمر كافور الأخشيدي بأن لا يصرف درهم ولا دينار إلا بتوقيع يعقوب ابن كلس، وقال: لو كان مسلماً لصلح أن يكون وزيراً فأسلم من فوره. وتولى الوزارة (وهي ما يعادل رئيس الوزراء اليوم). ولما مات كافور فرَّ يعقوب بن كلس، والتحق بجوهر الصقلي مولى المعز لدين الله الفاطمي، وتقرب إلى جوهر ودلَّه على العورات في مصر وشجعه على دخولها. وتوجه إلى المعز لدين الله فصار من حاشيته وكبار رجال دولته. ولما مات المعز وتولى ابنه العزيز زادت مكانة يعقوب بن كلس وصار هو المتصرف في الدولة. وأم العزيز نصرانية فاهتبلها النصراني وقوى نفوذهم فصارت مصر كلها بيد اليهود والنصارى، حتى قال الشاعر الحسن بن بشر الدمشقي متهمًا:

تنصَّرُفُ التَّنصَّرِ دِينَ حَقِّ	عَلَيْهِ زَمَانُنَا هَذَا يَدُلُّ
وَقَلُّ بَثْلَاتِهِ عَزَّوَجَلَّوْا	وَعَطَّلُ مَا سِوَاهُمْ فَهَمُّ عَطَّلُ
فِي عَقُوبِ الْوَزِيرِ أَبٍ، وَهَذَا	الْعَزِيزِ ابْنِ، وَرُوحِ الْقُدْسِ فَضْلُ

وقال الشاعر الخلال يعني سيطرة النصارى على المسلمين في مصر:

إذا حكم النصارى في الفروج وغالوا في البغال وفي السروج
وذلت دولة الإسلام طراً وصار الأمر في أيدي العلوج
فقل للأعداء الدجال هذا زمانك إن عزمت على الخروج
واستولى هؤلاء النصارى على شؤون الدولة حتى قال المستشرق
الألماني البحّاث «آدم متز» في كتابه «الحضارة الإسلامية في القرن
الرابع الهجري» (ج ١/١٠٥) : «لقد كان النصارى هم الذين يحكمون
بلاد الإسلام» .

وكان اليهود والنصارى يتحكمون في المسلمين، خاصة في مصر وفي
الأندلس. وقد قال المقرئ في كتابه «اتعاض الحنفاء بأخبار الأئمة
الفاطميين الخلفاء» (ص ٢٩٧) وفي خطط المقرئ أيضاً (ج ٢/ ١٢٣)
أن استبداد اليهود بأمر المسلمين بلغت حدّاً جعل الشاعر الحسن بن
خاقان يقول فيهم :

يهودُ هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملكوا
العزُفَ فيهم والمالُ عندهمُ ومنهمُ المستشارُ والمَلِكُ
يا أهل مصر إنني قد نصحتُ لكمُ تهوّدوا، قد تهوّد الفلَكُ

وفي الأندلس تولى شموئيل (إسماعيل) بن يوسف المعروف باسم
ابن النخريّة الوزارة لباديس بن حبوس ثم تولى بعد وفاته ابنه يوسف
الوزارة أيضاً، فاغترّ وعزل المسلمين من الوظائف، وبلغت به الوقاحة أن
يسبّ النبي محمداً ﷺ في كتاب وضعه، كما وضع كتاباً يدعى فيه
معارضة القرآن الكريم (سنة ٤٥٩ هـ) ، فهاج العلماء وكتب ابن حزم

رسالته المشهورة في الرد على ابن النغريلة . ووضع الشيخ إسحاق الألبيري قصيدة يحرض فيها قبيلة صنهاجة القوية على الفتك به والتخلص منه ومن قومه . وفيها يقول :

وَأَنِّي أَحْتَلِلْتُ بِغُرْنَاطَةَ فَكُنْتُ أَرَاهِمَ بِهَا عَابَثِينَ
 وَقَدْ قَسَّمُوهَا وَأَعْمَالَهَا فَمِنْهُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ لَعِينٌ
 وَهُمْ يَقْبِضُونَ جَبَايَتَهَا وَهُمْ يَخْصِمُونَ وَهُمْ يَقْسِمُونَ
 وَهُمْ يَلْبَسُونَ رَفِيعَ الْكِسَا وَأَنْتُمْ لِأَوْضَاعِهَا لَابِسُونَ
 وَهُمْ أَمْنَاكُمْ عَلَى سِرِّكُمْ وَكَيْفَ يَكُونُ أَمِينًا خَوْونٌ

وفعلت هذه القصيدة فعلها مع رسالة ابن حزم فثارت صنهاجة وثارَت الأمة ففتكوا بابن النغريلة الفاجر وأعوانه .

وفي أيام صلاح الدين الأيوبي تولى عدد من اليهود والنصارى منصب طبيب البلاط السلطاني . وكان أهمهم في ذلك وأشهرهم موسى بن ميمون (شارح التوراة والتلمود . وهو رئيس اليهود في مصر . ولا يزال له أشياع وأتباع بين اليهود إلى اليوم) . وصار موسى بن ميمون رئيساً للأطباء في بلاط صلاح الدين الأيوبي ثم في بلاط ابنه علي بن يوسف ملك دمشق وجمع الأموال الضخمة ، ولم يكن يداوي أحداً من المسلمين أو النصارى إلا بمقابل كبير ، ولم يكتف كما يفعل كبار الأطباء بالأعطيات الضخمة من السلطان والأمراء والأغنياء ، فقد كان كما يقول إسرائيل شاحاك (أحد أشهر الكتاب في إسرائيل اليوم) في كتابه «الديانة اليهودية وتاريخ إسرائيل» يرى أن على اليهودي أن لا ينقذ حياة الأغنياء (أى غير اليهود) ، بل يجب عليه إذا وقع غير اليهودي في بئر ألا ينقذه.. وقد قال موسى بن ميمون: «وينبغي على

الطبيب اليهودي خصوصا ألا يعالج الأغيار»، إلا إن كان رفضُ اليهودي، وخاصة الطبيب اليهودي إنقاذ حياة الأغيار قد يثير عداة الأغيار من ذوى النفوذ مما يعرض اليهودي، بل كل اليهود للخطر. ولكنك إذا كنت تخشاه أو تخشى عداوته فاعمل على شفائه لقاء أجر، وممنوع عليك مداواته بدون أجر» ويقول إسرائيل شاحاك عن موسى ابن ميمون : «إن إصراره على أخذ الأجر كان من أجل تأكيد أن عمله الطبي بين الأغيار ليس من أعمال الخير والبرِّ والإحسان، بل واجب لا يمكن تفاديه» .

وقد تتبَّه الفقهاء خاصة إلى أن الأطباء من أهل الذمة قد يقومون بقتل مرضاهم المسلمين من العامة ويسقونهم أدوية سامة. وقد ذكر إسرائيل شاحاك أن موسى بن ميمون نفسه قال : «من المسموح به تجرية عقار من العقاقير على كافر إن كان ذلك يفي بغرض ما، ولو أدى إلى الإضرار به أو حتى قتله. ولكن أهم شرط في ذلك ألا يُكشف الأمر، ولا يُصاب اليهودي بأذى، فقد قال التلمود : «إن حياة غير اليهودي لا تساوي حياة الكلب والخنزير» وقال التلمود أيضا : «اقتل الصالح من غير اليهود، والكفرة الأغيار كلهم أنجاس» .

هذا هو موسى بن ميمون طبيب صلاح الدين الأيوبي يخدع المسلمين وسلطانهم حتى مدحه الشعراء ومنهم القاضي السعيد بن سناء الملك الذي قال فيه :

أرى طبَّ جالينوس للجسم وحدهُ	وطبَّ ابن عمران للعقل والجسمِ
فلو أنه طبَّ الزمان بعلمه	لأبراهُ من داء الجهالة بالعلمِ
ولو كان بدر التَّم من يستطبُّه	لتمَّ له ما يدعُيه من التَّمِّ
وداواه يوم التَّم من كلف بهِ	وأبراه يوم السرار من السُّقمِ

هذا غيظ من فيض، وقليل من كثير، فإننا لله وإنا إليه راجعون. فالمسلمون في عز دولتهم يذلون لليهود والنصارى الذين تولوا مناصب الدولة الكبرى. وأمراء المسلمين وسلاطينهم غافلون عن ذلك. ويتزلف إليهم هؤلاء اليهود والنصارى حتى مكثوهم من رقاب المسلمين. لهذا كله نجد أن كثيرا من الفقهاء والعلماء الأجلاء أنكروا على السلاطين والأمراء والخلفاء تولية اليهود والنصارى والصابئة شؤون المسلمين.. وكان مدخلهم إلى الحكام المسلمين الطب والشؤون المالية. فمنذ عهد معاوية بن أبي سفيان تولى النصارى خاصة وظيفة طبيب البلاط. وكان لمعاوية طبيبان أحدهما ابن أثال وهو خبير بالسموم وقد اصطفاه معاوية وجعله من خاصته، وهو الذي وضع السم للإمام الشهيد سيد شباب أهل الجنة الحسن بن علي وقد أغرى معاوية زوجته جعدة بنت الأشعث بن قيس بسمه مقابل ألف ألف ففعلت (انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ج ٢/٢٧٤، وابن الأثير الجزري أسد الغابة في معرفة الصحابة ج ٢/١٥).

ثم قام معاوية أيضا بقتل عبد الرحمن بن خالد بن الوليد عندما رأى أهل الشام يفضلونه على ابنه الفاسق يزيد. كما قام بدس السم للأشتر النخعي أحد أفضل قواد الإمام علي والذي ولاه أمر مصر فاتفق مع دهقان العريش أن يسقيه العسل المزوج بالسم مقابل خراج عشرين سنة. وفي جميع تلك الحالات كان الذي وضع السم وصنعه ودسه في العسل هو طبيب معاوية ابن أثال (ولم يكن معاوية يتداوى عنده ولا أحد من أهل بيته أو حاشيته).

وأما الطبيب الثاني فهو أبو الحكم الدمشقي الذي كان يثق به معاوية ويتداوى عنده.

وكان منصب طبيب الدولة والمسؤول المالي في الدولة إما أن يكون نصرانياً وهو الغالب ، أو يهودياً، أو صابئاً. (وظهر الصابئة في الدولة في أيام العباسيين) .

لهذا كله نعى الفقهاء على المسلمين تركهم مجال الطب لليهود والنصارى. وأول من فعل ذلك الإمام الشافعي رحمه الله، وكان مهتماً بعلم الطب مدركاً للكثير من أسرارها، ولولا اشتغاله بالفقه واعتماد الأمة في ذلك عليه وحاجتها له لاشتغل بالطب. وكان يقول : العلم علمان علم الأديان (وهو الفقه) وعلم الأبدان (وهو الطب)» .

وشدّد الإمام الغزالي النكير على المسلمين لتركهم علم الطب لأهل الذمة «وكم من بلدة ليس فيها طبيب إلا من أهل الذمة» (إحياء علوم الدين ج ١ / ٢١ كتاب العلم) .

وأذكر محمد بن محمد بن أحمد القرشي المعروف باسم ابن الإخوة القرشي في كتابه «معالم القرية في أحكام الحسبة» (ص ٢٥٤) على المسلمين تركهم علم الطب لأهل الذمة. وقال ما نصّه : «الطب من فروض الكفاية، ولا قائم به من المسلمين. وكم من بلد ليس فيه طبيب إلا من أهل الذمة» .

هذا مع أن عدداً من كبار الأطباء كانوا من المسلمين ومنهم أبو بكر الرازي وعلي بن سينا وابن النفيس وابن رشد والبغدادي.. إلخ ومنهم من أسلم وحسن إسلامه مثل عبد الملك بن أبجر الكناني طبيب الخليفة العادل عمر بن عبد العزيز وصديقه، وأبي الحسن علي بن ربن الطبري طبيب المعتصم ثم المتوكل العباسي، وعلي بن العباس المجوسي. ومن أطباء الهنادكة الذين أسلموا صالح بن بهلة الهندي الذي أسلم في زمن الرشيد العباسي .

لهذا كله اتجه الفقهاء إلى نصح المسلمين بتعلم الطب وعدم تركه لأهل الذمة فقط، كما أنهم تشككوا في نيات بعض هؤلاء الأطباء من اليهود والنصارى للعداوة التي أظهروها ضد المسلمين. ورغم أنهم أباحوا التداوي عند اليهودي أو النصراني أو المجوسي إلا أنهم نبهوا على أن قول الطبيب الكافر في الأمور الطبية المتعلقة بالشرع لا يلتفت إليه كالإفطار في رمضان، والصلاة قاعداً، وعدم الوضوء، والتداوي بالخمور والنجاسات.

وكانوا يخافون من الصيدلاني اليهودي أو النصراني لأنه يخلط في الدواء شيئاً من النجاسات والمحرمات كالخمر ودهن الخنزير أو بعض السموم كما تقدم .

يقول ابن مفلح المقدسي في كتابه الآداب الشرعية والمنح المرعية (ج٢/٤٤١) «يكره أن يستطبَّ مسلمٌ ذميًّا لغير ضرورة، وأن يأخذ منه دواء لم يبيِّن مفرداته المباحة.. وذكروا ألا تطبَّب ذميَّة مسلمة ولا تقبَّلها (من القبالة وهي التوليد) مع وجود مسلمة تطبَّها أو تقبَّلها» .

وقال ابن الحاج في المدخل (ج٤/١٠٧ - ١١٢) : «ينبغي أن ينظر إلى من هو أصلح في الوقت من أطباء المسلمين في المعرفة والتجربة فيسكن إلى وصفه - ويتعيَّن ترك استعمال أهل الأديان الباطلة لأنه لا يرجى منهم نصح ولا خير، بل يقطع بغشِّهم وإيذائهم لمن ظفروا به من المسلمين...» ونبه إلى أهمية ألا يستطبَّ العلماء المسلمون عندهم وذلك تعظيماً لشأنهم، وخاصة إذا كان اليهودي أو النصراني يداوي أميراً أو حاكماً أو خليفة للمسلمين فإن نفوذهم يقوى وشرهم يطغى .

وقال ابن مفلح الحنبلي في كتاب الآداب الشرعية (ج٢/٤٤٢) :

«قال الشيخ تقي الدين (ابن تيمية) : إذا كان اليهودي أو النصراني

خبيرا بالطب، ثقة عند الإنسان جاز أن يستطبّه، كما يجوز له أن يودعه المال وأن يعامله كما قال تعالى : ﴿ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بِقِطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ إِنْ تَأْمَنَهُ بَدِينَارٍ لَأُيَوِّدَهُ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ﴾ [آل عمران : ٧٥]... وإذا أمكنه أن يستطبَّ مسلما فهو كما لو أمكنه أن يودعه أو يعامل، فلا ينبغي أن يعدل عنه. وأما إذا احتاج إلى ائتمان الكتابي واستطبابه فله ذلك، ولم يكن من ولاية اليهود والنصارى المنهي عنه» .

وللأسف كانت سماحة المسلمين وحكامهم في استخدام أهل الذمة بدون تحفظ وبالا عليهم، إذ استغل هؤلاء الثقة بهم وعبثوا بالدولة وأهانوا المسلمين إهانات بالغة حتى أن امرأة رفعت ظلامتها في رقعة أثناء سير العزيز (الفاطمي) ورمتها ثم انسلت وفيها تقول : «يا أمير المؤمنين أسألك بالذي أعز النصارى بعيسى بن نسطورس (وزير الدولة) واليهود بمنشأ بن الفرار، وأذل المسلمين بك إلا نظرت في أمري» .. فتفكر العزيز في قولها مليًا ثم قال : صدقت كاتبتها . تبهنا على غلط فيه وغفلة عنه» ثم طرد عيسى بن نسطورس ، ولكن ست الملك ابنة العزيز (أمها نصرانية) وكانت أثيرة عند والدها العزيز تشفعت له حتى أعادته إلى وظيفته!!

وتولى أبو إسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون الصابي ديوان المظالم، كما تولى أمين الدولة هبة الله صاعد بن ابراهيم بن التلميذ النصراني رئاسة الوزارة بعد أن تولى ما يعادل وزارة الصحة ورئاسة المستشفى العضدي في بغداد (وكانت وفاته سنة ٥٦٠ هـ وله من العمر ٩٤ عاما) .

ومنهم أمين الدولة أبو الفتح بن أبي النجم النصراني، تولى الوزارة في الدولة الأيوبية في مصر بعد أن عمل بالطب واشتهر به.

ومنهم أمين الدولة الصاحب أبو الحسن بن غزال بن سعيد السامري (السامرة فرقة من اليهود) كان طبيبا للملك الأمجد بهرام شاه الأيوبي ثم تولى الوزارة في زمنه وزمن الملك الصالح عماد الدين إسماعيل .

ويضيق المجال عن ذكر الوزراء من اليهود والنصارى والصابئة وقد ذكرت عدداً لا بأس به منهم في كتابي «معاملة غير المسلمين.. شواهد من التاريخ»، إصدار دار القلم دمشق، فليرجع إليه من يريد المزيد .

ولأسف فإن النصارى الذين أكرمهم المسلمون لم يراعوا للمسلمين ذمة ولا حرمة، فلما زحف هولاءكو طاغية المغول على البلاد الإسلامية تعاون معه النصارى وهرعوا للحرب في صفه .. فعلوا ذلك في أذربيجان وأرمينية والعراق. وكانوا أشد على المسلمين في بغداد من جنود هولاءكو. ولما دخل كتبغا قائد هولاءكو إلى دمشق بعد أن استسلم أميرها استطال نصارى دمشق على المسلمين وأحضروا فرمانا من هولاءكو بالاعتناء بأمرهم ، فتظاهروا بالخمير في نهار رمضان ورشوه على ثياب المسلمين، وصبوه على أبواب المساجد، وألزموا أرباب الحوانيت بالقيام إذا مروا بالصليب عليهم، وأهانوا من امتنع من القيام للصليب .. وقالوا جهرا: ظهر الدين الصحيح دين المسيح، وخرّبوا مساجد ومآذن كانت بجوار كنائسهم فقلق المسلمون لذلك وشكوا أمرهم لنائب هولاءكو، وهو كتبغا (نصراني) فأهانهم وضرب بعضهم، وعظّم قدر قسوس النصارى ونزل إلى كنائسهم، كما يقول المقرئزي في كتابه الهام «السلوك لمعرفة دول الملوك» (ج ١ / ٤٢٥ - ٤٣٢).

وذكر المقرئزي كذلك وصفا لإهانة كاتب نصراني لدى أحد أمراء المماليك، للمسلمين وإذلاله لهم وضربه إياهم وسبهم واحتقارهم ..

وتكررت هذه الحوادث بصورة أدت إلى وجود التشاحن والكرهية بين العامة من المسلمين ومن يتولى الأمور العامة من اليهود والنصارى. ومما زاد في ذلك في القرن الثامن عشر الميلادي أن نصارى مصر والشام تعاونوا مع نابليون في غزوه لمصر والشام. وقد قام المعلم يعقوب القبطي المصري بالتعاون مع نابليون وجند مجموعة من الأقباط ليحاربوا المسلمين. واشتركوا مع جيش فرنسا في احتلال قرى مصر ونهبها. وجعل لهم نابليون بونابرت نصف عضوية ديوان المشورة والنصف الثاني من الضباط الفرنسيين. ويقول الجبرتي: «إن الجنرال كليبر (نائب نابليون) فوّض ليعقوب اللعين أن يفعل بالمسلمين ما يشاء، حتى تطاول النصارى من القبط ونصارى الشوام على المسلمين بالسبّ والضرب، ونالوا منهم أغراضهم، وأظهروا حقدهم ولم يبقوا للصلح مكاناً!» وصرّحوا بانقضاء ملة المسلمين والموحدين» .

وفي ثورة أحمد عرابي قام الإنجليز باحتلال مصر وتعاون معهم خائن من الأقباط ولوه الوزارة هو بطرس غالي (جد بطرس غالي الذي تولى وزارة الخارجية في مصر ثم منصب الأمين العام للأمم المتحدة). وفي ثورة ١٩١٩ كان يوسف وهب باشا النصراني عميلاً للإنجليز وخان الأمة وألف الوزارة .

وهذا لا يعني أبداً أن أغلبية نصارى مصر والشام كانوا على هذه الشاكلة. فقد وقف كثير منهم مع إخوانهم المسلمين ضد الاستعمار البريطاني والاستعمار الفرنسي. وكان من أشهر خطباء ثورة ١٩١٩ مكرم عبيد النصراني الذي كان يحفظ القرآن ويستشهد به في خطبه. وكان يقول: «نحن مسلمون ووطننا ونصارى ديننا..» إلى آخر ذلك الكلام الجميل والخالصة إن وجود كتب كثيرة في التراث الإسلامي

تحت على منع استخدام أهل الذمة في وظائف الدولة الهامة، بل وعدم الاستطباب لديهم إلا عند فقدان الطبيب المسلم، كان بسبب ما فعله أهل الذمة هؤلاء عندما تولوا هذه المناصب الهامة بالمسلمين حيث أهانوهم وظلموهم وصادروا أموالهم وأراضيتهم. ولهذا لا نستغرب وجود مثل هذه الكتب. وهي مع ذلك التزمت بوجوب العدل وحسن معاملة أهل الكتاب دون أن نسمح لهم بالتحكم في رقاب المسلمين .

ومن هذه الكتب الكثيرة التي اشتهرت في هذا الباب كتب ابن القيم وخاصة كتابه القيم «أحكام أهل الذمة» ومنها «منهج الصواب في قبح استكتاب أهل الكتاب» للشيخ أبي الحسن علي بن محمد ابن الدرهم المصري الشافعي (المتوفى سنة ٧٦٢ هـ) وكتاب : «المنذمة في استعمال أهل الذمة» لأبي أمامة محمد بن علي ابن النقاش المتوفى سنة ٧٦٣ هـ ومنها كتاب «حصن الوجود الواقى من خبث اليهود» لسليمان بن إبراهيم الصولة الدمشقي المتوفى سنة ١٣١٧ هـ. وقد نشر هذه الكتب الثلاثة في مجلد واحد الأستاذ سيد كسروي بعد أن حققها وعلق عليها، وأخرجته دار الكتب العلمية بيروت .

أنسلم تورميديا :

عبد الله الترجمان (وفاته ٨٣٢ هـ) وكتابه تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب :

هو عبد الله بن عبد الله الترجمان، أبو محمد، وهو الاسم الذي اختاره المؤلف لنفسه بعد أن هداه الله إلى الإسلام فرحل إلى تونس حيث عاش فيها وتزوج ابنة الشيخ محمد الصفار فأنجب منها ولدا سمّاه محمداً، وصار من أهلها ومات على ثراها، وقبره معروف في سوق السراجين بتونس العاصمة.

وقد ولد عبد الله بن عبد الله الترجمان في ميورقة التي استولى عليها النصارى الأسبان من المسلمين (سقطت عام ٦٢٧ هـ) كما سقطت معظم أراضي المسلمين في إسبانيا، الواحدة تلو الأخرى، بسبب اختلاف حُكَّام الطوائف، ومحاربتهم بعضهم بعضاً، واستعانتهم بأعدائهم وأعداء الإسلام ملوك النصارى من الأسبان .

وعاش الترجمان في ميورقة وكان يعرف باسم «أنسلم تورميديا» وقد ترقى في سلم الكهنوت هناك، وصار من أحبارهم المعروفين. وكان مُقرباً لأحد كبار القساوسة يدعى نقلاو مرتيل الذي كان يبعث هذا الشاب لينوب عنه في الاجتماعات العلمية التي يعقدها رؤساء النصارى. وفي إحدى هذه الجلسات اختلف علماء النصارى في معنى كلمة البارقليط التي وردت في الإنجيل على لسان عيسى ﷺ . وما هو المقصود منها . فلما عاد القسيس الشاب أنسلم إلى رئيسه وشيخه نقلاو مرتيل وأخبره بالخلاف حول كلمة البارقليط . فصرَّح له شيخه بأنها تعنى اسماً من أسماء النبي محمد ﷺ (البارقليط تعنى الأكثر حمداً أو المحمود عند الله وهو أحمد ومحمد ﷺ) . ونصحه في النهاية بلزوم بلاد المسلمين، وأعانه على السفر على تونس حيث أعلن إسلامه عند أحد أمراء الدولة الحفصية. وتعلم اللغة العربية وأتقنها وقرأ القرآن وشيئاً من علوم الحديث والفقهِ والعلوم الإسلامية. وكان يعمل ترجماناً بين الأمير الحفصي ووفود النصارى التي تأتيه من أسبانيا وجنوا وفرنسا .

وقد حارب أساطيل النصارى من جنوه وفرنسا وأسبانيا عندما كانت تهاجم تونس وبلاد المسلمين. وعيَّنه السلطان أبو العباس أحمد

الحفصى أميرا بحريا، فأحسن وأجاد في مهمته تلك في صدِّ أساطيل أوروبا وردَّهم على أعقابهم خاسرين .

وجاهد القسيس السابق أنسلم تورميذا (عبد الله الترجمان) أعداء الإسلام بسيفه وقلمه وكل خبراته، وردَّ على النصارى في كتابه البديع «تحفة الأريب في الرد على أهل الصليب» . وهو كتاب أجمع أهل عصره من علماء المسلمين على الإشادة به، وامتدَّ ذلك إلى العصر الحديث عند المهتمين بهذا الفن من التأليف .

وقد قام الأستاذ عمر الداعوق بدراسة هذا الكتاب الهام في رسالته العلمية لنيل درجة الماجستير من كلية الشريعة، جامعة أم القرى بمكة المكرمة فعلقَ عليه ووضع مقدمة ضافية للكتاب وحققه ونشرته دار البشائر الإسلامية ، بيروت .

وقد جعل المصنّف (عبد الله الترجمان) كتابه في ثلاثة فصول :

الأول : عن كيفية إسلامه والدوافع التي جعلته يعتنق الإسلام، ذكرا رحلته العلمية وترجمة حياته منذ ولادته إلى دخوله إلى أرض تونس .

وفي الفصل الثاني ذكر أعمال الأميرين الحفصيين اللذين توليا الحكم في أثناء إقامته في تونس. وهما السلطان أحمد وابنه عبدالعزیز الذي تولى الحكم بعد وفاة أبيه. وقد أشاد بهما، وبأعمالهما، كما وصف لنا الحياة في تونس في ذلك العصر، والحروب ضد النصارى التي شارك فيها كقائد بحرى ضمن قواد الأسطول التونسي. ويعتبر كتابه مرجعا مهما لتاريخ تونس في تلك الحقبة، لأنه عاينها وشارك في بعض أحداثها .

وجعل الفصل الثالث : للردِّ على النصارى من خلال أناجيلهم التي

يؤمنون بها وإثبات البشارات الواردة في كتبهم (التوراة والإنجيل)
بالنبي محمد ﷺ.

وقد قسم المصنف هذا الرد إلى تسعة أبواب :

الأول : في الحديث عن هوية كتاب الأناجيل الأربعة المعتمدة لدى
النصارى وهم: متى ومرقس ولوقا ويوحنا. وكانت دراسة نقديه بيّن
فيها خطأ القول بأن متى الإنجيلي هو متى العشار الذي تبع عيسى
ﷺ وترك وظيفته لدى الدولة وهي جمع الضرائب ووضع العشور.
كما بيّن خطأ القول بأن يوحنا الإنجيلي هو نفسه يوحنا بن زبدي
الحواري الذي لم يكن يعرف اليونانية. والنصارى مقرّون أيضا بأن
لوقا كان تلميذا لبولص الرسول . وبولص (بولس) نفسه لم يكن من
الحواريين وإنما ادّعى أن المسيح ظهر له عندما ذهب إلى دمشق
لمطاردة النصارى (اليهود الذين تصرّوا وفرّوا إلى دمشق) وإحضارهم
إلى أورشليم لمحاكمتهم أمام السنهدرين وكبار أحبار اليهود. وأما
مرقس فيقرّ النصارى أنفسهم أنه لم ير المسيح وإنما رأى بطرس
(الصخرة) أحد كبار حوارىي المسيح ﷺ.

الثانى : لخص فيه عقائد النصارى في المسيح ﷺ . وشرح
اختلافاتهم ورد على تأليفهم له وعلى عقيدة التثليث. وقد أحسن
وأجاد في ذلك كله .

الثالث : بيّن فيه المصنف القواعد العقديّة التي بنى النصارى عليها
دينهم، ويعتبرونها أسراراً هامة وهي :

أ- التغطيس (التعميد) وأساليبه المتبعة عندهم .

ب- الإيمان بالتثليث.

ج - التحام واتحاد أقنوم الابن (وهو أيضا الله) بعيسى ﷺ في بطن مريم .

د - القربان المقدس أو العشاء الرباني. والذي يعتقدون فيه أن المسيح يتحول على يد الكاهن إلى الخبز وأن دمه يتحول إلى النبيذ، فيأكلون الخبز من يد الكاهن ويشربون النبيذ (الخمير) فيلتحمون ويتحدون هم أيضا بالمسيح الرب .

هـ- سر الاعتراف بالذنوب إلى القسيس الذي يطهرهم من هذه الذنوب، ويفرض عليهم مقابل ذلك أموالا يدفعونها للقسيس والكنيسة، حتى بلغت إلى أن باعوا صكوك الغفران وإلى إعطائهم حق دخول الجنة بهذه الصكوك، مقابل الأموال الوفيرة التي يأخذها القسيس وكنيسته.

الرابع : تحدث فيه المصنف عن قانون الإيمان، وكيف جاء وما به من تناقضات واختلاف الفرق فيه، والرد عليه .

الخامس : أثبت فيه بشرية عيسى ﷺ من أناجيلهم نفسها، كما استخدم الجدل المنطقي العقلاني في الرد على تأليه يسوع .

السادس : خصصه لتوضيح تناقضات الأنجيل وأورد فيها ١٩ تناقضا .

السابع : براءة عيسى من أكاذيبهم وأقوالهم فيه .

الثامن : أورد ما يعيبه النصارى على المسلمين كزواج العلماء والصالحين، والتسمية بأسماء الأنبياء، وقضية الختان، واعتقاد المسلمين بالنعيم الجسدي والروحي في الجنة، والعذاب الحسي والمعنوي في النار. لأنهم يزعمون أن النعيم والعذاب في الآخرة هما معنويان فقط. ورد عليهم من كتبهم ذاتها .

التاسع : إثبات نبوة محمد ﷺ من التوراة وأسفار العهد القديم والأنجيل، وشرح فيها ثلاثة أقوال من التوراة، وأربعة من أسفار العهد القديم الأخرى، وثلاثة من الأنجيل ولاشك أن هذا الكتاب مرجع هام في الردّ على النصارى خاصة، وأهل الكتاب عامة . وهو يضاف إلى المكتبة الضخمة التي صنّفها علماء الإسلام في مقارنة الأديان .

لمحة سريعة عن مجادلة أهل الكتاب في القرنين الثالث والرابع عشر الهجريين :

لقد ظهر في القرن الثالث والرابع عشر الهجريين عدد من العلماء الفضلاء الذين جادلوا أهل الكتاب مجادلة قوية باللسان والقلم. وسأذكر هنا أشهرهم بنبذ مختصرة مؤجلا الحديث عنهم إلى كتاب قادم بإذن الله تعالى متوسع عن مجادلة أهل الكتاب في التراث الإسلامي العربي والمقصود بالعربي ها هنا أن المجادلة كانت باللغة العربية، لأن المجادلة بالفارسية أو الأوردية أو التركية أو غيرها من اللغات ليست بذات الأهمية التي هي للغة العربية، لغة القرآن الكريم. وثانيها أنني لا أعرف هذه اللغات .

وأشهر من ناظر القسّس الشيخ رحمة الله بن خليل الرحمن العثماني (ينتسب إلى الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه) الهندي الكيرانوي المتوفى سنة ١٣٠٨ هـ. وقد حصلت المناظرة بين الشيخ رحمة الله والقسيس المشهور الدكتور فندر في الهند سنة ١٢٧٠ هـ / ١٨١٩م والشيخ رحمة الله من مواليد قرية كيرانة التابعة لمحافظة مظفر ناجار بالهند، وإلى كيرانة ينسب . ومولده سنة ١٢٣٣ هـ / ١٨١٨م حينما كانت الهند كلها تحت الاستعمار البريطاني الذي وجد مقاومة شديدة

من المسلمين الذين كانوا يحكمون الهند. فأدّى ذلك إلى اضطهاد المسلمين وإلى أن يقوم البريطانيون بإسناد المناصب الهامة إلى الهندوس، أو من يماثلهم من المسلمين، وخاصة من انحرف منهم كأتباع القدياني، أو من تنصّر منهم .

وقد اشتهرت أسرة رحمة الله بالطبّ والعلم والنفوذ في منطقتة. ودرس الشيخ رحمة الله في طفولته وحفظ القرآن الكريم وهو في سنّ الثانية عشرة، وتعلم اللغات الفارسية والأوردية والعربية وأجاد هذه اللغات إجادة تامة .

وللشيخ رحمة الله كتب كثيرة منها «آداب المريدين» و «المحسوب إلى القلوب» وترجم «التحفة الاثنى عشرية» للشيخ عبد العزيز ولي الله الدهلوي إلى الفارسية. وهي في الرد على الروافض وله رسالة «في وقت صلاة العصر» و «رسالة في ترك رفع اليدين في الصلاة» ، و«رسالة في الحشر». وقد قام الإنجليز بمصادرة أراضي وأموال الأوقاف الإسلامية وضايقوا العلماء أشد مضايقه ، ونشروا المدارس الحديثة وحاربوا المدارس الدينية وكثّفوا حملاتهم التنصيرية بين المسلمين. وكان من أشهر هؤلاء المنصّرين الدكتور فندير الذي عمل بكل جهده على تنصير المسلمين بكل الوسائل المتاحة له، ومنها المدارس والمستشفيات التنصيرية، وتربية اللقطاء والأيتام حتى ينشأوا على النصرانية. ونشر كتبًا كثيرة في مهاجمة الإسلام والدعوة إلى النصرانية، وأشهر كتبه في ذلك كتاب «ميزان الحق» وقد ردّ عليه الشيخ رحمة الله بثلاثة كتب هي «إزالة الأوهام» وكتاب «معدّل اعوجاج الميزان» وكتابه الشهير «إظهار الحق» كما ردّ على كتاب فندير مجموعة من العلماء منهم ناصر الدين أبو المنصور الدهلوي في كتابه «ميزان

الميزان» والشيخ محمد آل حسن الرضوي في كتابه «الاستفسار» والشيخ على بن عبد الله البحراني في كتابه «لسان الصدق» والشيخ عبد الرحمن الجزيري في كتابه «أدلة اليقين» .

كما أن هناك عددًا كبيرًا من علماء الهند ردُّوا على المنصِّرين، ومنهم الشيخ أحمد بن زين العابدين أَلَّف كتابه «الأنوار الإلهية في دحض خطأ المسيحية» للردُّ على حيروم كافييه، والشيخ محمد على المونكييري وضع ستة كتب ردُّ فيها على مجموعة من المبشِّرين (المنصِّرين) والمتنصرين منها «مرآة الإسلام»، و«مرآة اليقين» و«تكميل الإيمان» و«الرسالة المحمدية» و«دافع التلبيسات» و«تصديق المسيح» .

ومنهم الشيخ ناصر الدين بن محمد على الدهلوي (أبو المنصور) له كتب كثيرة في الردُّ على هؤلاء الضالِّين المضلِّين، منها «عقوبة الضالِّين» و«الاستئصال» و«رقيمة الوداد» و«لحن داود» و«إفحام الخصام»، و«تصحیح التأويل» و«إعزاز القرآن» و«مصباح الأبرار» . وغيرها كثير .

ومنهم الشيخ محمد على المراد أبادي له ثلاثة كتب في الردُّ على المنصِّرين هي «كشف الأوهام» و«شهادة النبيين برسالة سيد المرسلين» و«تأييد الفرقان» .

ومنهم الشيخ فقير محمد الجهلمي ، له كتاب «فريدة الأقاويل في ترجيح القرآن على الأناجيل» .

ومنهم الشيخ علي غضنفر بن علي اللكنوي : له كتاب «الحق المبين» في الرد على كتاب أمهات المؤمنين تهجَّم فيه أحد المستشرقين على أمهات المؤمنين رضی الله عنهن وأرضاهن .

ومنهم الشيخ محمد آل حسن الموهاني له كتاب «الاستبشار» وكتاب «الاستفسار» للرد على كتاب ميزان الحق لفندر .

وهناك عدد كبير من هؤلاء العلماء الأجلاء الهنود الذين ردّوا على تخرّصات المنصّرين من أمثال فندر وقاموا بمناظرتهم وتأليف الكتب والرسائل في الرد عليهم. ولكن أشهر هؤلاء جميعا هو الشيخ رحمة الله الكيراثوي الهندي العثماني ، وكان يؤازره ويناصره الدكتور وزير خان الذي كان يجيد الإنجليزية واليونانية والعبرية والعربية وله اطلاع واسع على دين النصارى وفرقهم ومللهم وأقاويلهم .

مؤلفات الشيخ رحمة الله في الرد على المنصّرين :

له مجموعة من الكتب في الردّ على هؤلاء المنصّرين وهي :

- ١- إزالة الأوهام : وقد وضعه باللغة الفارسية (لغة الثقافة في الهند آنذاك) للرد على كتاب ميزان الحق للمستشرق القسيس فندر .
- ٢- إزالة الشكوك : وضعه الشيخ بالأردية للرد على ٢٩ سؤالاً وضعها النصارى لإحراج المسلمين .
- ٣- الإعجاز العيسوي أو المسيحي كما عرف باسم مصقلة التحريف. وضعه الشيخ رحمة الله لإثبات تحريف الأناجيل .
- ٤- البحث الشريف في إثبات النسخ والتحريف. وضعه بالعربية وفيه اثبات النسخ والتحريف في كتب اليهود والنصارى .
- ٥- أضح الأحاديث في إبطال التثليث : وضعه باللغة الأوردية .
- ٦- البروق اللاسعة : وضعه بالعربية وفيه البشارات بالنبي محمد ﷺ في التوراة والزيور والإنجيل .

٧- «معدّل اعوجاج الميزان» : وضعه بالأوردية فى الرد على ميزان الحق لفندر .

٨- «تقليب المطاعن» : وضعه باللغة العربية للرد على القسيس لاسمند كارواور فى كتابه المسمّى «تحقيق الدين الحق» .

٩- «معيّار التحقيق» : وهو رد على الضّالّ المضلّ صفدر عليّ الذي وضع كتاب «الإيمان» .

١٠- كتاب إظهار الحق وهو أشهر كتب الشيخ رحمة الله وضعه بعد مناظرته الكبرى مع القس الدكتور فندر الذي هزمه هزيمة نكراء . وقد طبع هذا الكتاب على نفقة الشوؤن الدينية بدولة قطر وراجعه عبد الله بن إبراهيم الأنصارى فى مجلدين . هذا غير طبعاته السابقة .

وقد قام الدكتور محمد عبد القادر خليل بوضع رسالته العالية (الدكتوراه) قسم العقيدة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض فى موضوع «المناظرة الكبرى بين الشيخ رحمة الله والدكتور القسيس فندر» . ونشرها عام ١٤٠٥ هـ . وقد استعان بأحفاد الشيخ رحمة الله الكيرانوي العثماني الهندي الذين يعيشون فى مكة، وهم نظار المدرسة الصولتية المشهورة بمكة المكرمة والتي أقامها جدهم الشيخ رحمة الله بتبرع سخى من امرأة هندية تدعى صولت النساء بيجوم (بيغم) . وقد قام بوضع مدخل تحدّث فيه عن الهند وكيفية دخول الإسلام إليها، ودخول الاستعمار البريطاني وحالتها الدينية والسياسية وقت المناظرة . ثم جعل الباب الأول خاصا بأسباب المناظرة وجهود التنصير ومقاومته . وجعل الباب الثانى للمناظرة الكبرى التي

حدثت بين الشيخ رحمة الله والقسيس فنذر بتاريخ ١١ رجب - ١٢٧هـ / ١٠ نيسان ١٨٥٤ في بلدة أكبر أباد (وتعرف الآن بأكرا) وحضرها العلماء والقساوسة وكبار الموظفين الإنجليز والهندوس والمسلمين ومراسلو الصحف . واستمرت يومين وانتهت بهزيمة فنذر هزيمة تامة باء فيها بالخزي، ونتيجة هذه المحاضرة قامت السلطات البريطانية بمصادرة أمواله (أي الشيخ رحمة الله) وحاولوا القبض عليه، ولكنه فرّ متنكرا إلى أن وصل مكة المكرمة التي استقر بها ومات ودفن في ثراها.

وجعل الدكتور محمد عبد القادر خليل الباب الثالث من رسالته في بيان حال أهل الكتاب وجعله في ستة مباحث .

الشيخ محمد عبده (١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م) :

يعتبر الشيخ محمد عبده من أعلام الأمة في القرن التاسع عشر الميلادي (الثالث والرابع عشر الهجريين) وكان مفتيا للديار المصرية وشيخا للأزهر ويعتبر من كبار رجال الإصلاح والتجديد في مصر . صحب السيد جمال الدين الأفغاني بعد أن نفي إلى بلاد الشام لناصرته للثورة العراقية ضد الإنجليز (سنة ١٢٩٩ هـ / ١٨٨١م) ومنها إلى باريس حيث أصدر مع شيخه وصديقه السيد جمال الدين الأفغاني «العروة الوثقى». ثم عاد إلى بيروت واشتغل بالتدريس والتأليف. ثم عاد إلى مصر سنة (١٣٠٦ هـ / ١٨٨٨م) وتولى منصب القضاء، ثم مستشارا في محكمة الاستئناف ثم مفتيا للديار المصرية ١٣١٧هـ. وكانت علاقته بالقصر والإنجليز جيدة بعد عودته من المنفى. له مؤلفات كثيرة من أشهرها «رسالة التوحيد» وتفسير القرآن

الكريم أتمه تلميذه السيد محمد رشيد رضا، وله في الرد على المستشرقين كتاب «الإسلام والرد على منتقديه» وكتاب «الرد على هانوتو» وكتاب «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» وترجم رسالة «الرد على الدهريين» التي وضعها جمال الدين الأفغاني، إلى العربية.

وله «شرح نهج البلاغة» وغيرها من الكتب والمقالات التي اهتم تلاميذه باخراجها مثل كتاب «تاريخ الأستاذ الإمام» للشيخ محمد رشيد رضا، ولعثمان أمين كتاب «محمد عبده» عن حياته وآثاره العلمية والسياسية والإصلاحية. وللشيخ مصطفى عبد الرازق أيضا كتاب «سيرة الإمام الشيخ محمد عبده». وآخر من اهتم بآثار الشيخ محمد عبده ونشرها مجموعة كاملة الدكتور محمد عمارة .

ومن أشهر من جادل النصارى في القرن العشرين الشيخ أحمد ديدات رحمه الله وكانت مجادلاته باللغة الإنجليزية. والشيخ إبراهيم أحمد (إبراهيم فيلبوس القبطي الذي هداه الله إلى الإسلام) وقد وضع كتبا كثيرة في هذا الصدد .

وممن وضع كتبا في الرد على النصارى الشيخ محمد أبو زهرة من أعلام العلماء في القرن العشرين له العديد من المصنفات مثل «أصول الفقه»، و«محاضرات في النصرانية» (وهو من أهم الكتب الموثقة التي تدرس النصرانية ومذاهبها إلى وقته) . وقد ترجم للإمام زيد بن علي زين العابدين والزيدية ووضع عنه كتابا . وكذلك فعل عن الإمام جعفر الصادق والأئمة الأربعة أبو حنيفة، ومالك، والشافعي وأحمد بن حنبل.

وكتب عن النصرانية مترجما شيخ الأزهر الشيخ عبد الحلیم محمود حيث ترجم كتاب شارل جينبير (رئيس قسم تاريخ الأديان بجامعة باريس) تحت عنوان «المسيحية نشأتها وتطورها» وهو كتاب هام في بابه حيث أوضح التيارات الوثنية في المسيحية.

وممن كتب عن النصرانية بإسهاب عدة كتب اللواء أحمد عبد الوهاب (لواء مهندس) رحمه الله ومن كتبه في هذا المجال «اختلافات في تراجم الكتاب المقدس». و«حقيقة التبشير بين الماضي والحاضر» و«المسيح في مصادر العقائد المسيحية» و«طائفة الموحدين من المسيحيين عبر العصور» .

وهناك مئات الكتب التي صدرت في القرن العشرين باللغة العربية عن اليهودية والنصرانية وشتى فرقها. ولا نستطيع ها هنا أن نستعرضها أو شيئاً منها لأنها ستكون بإذن الله ضمن كتاب خاص «مجادلة أهل الكتاب في التراث الإسلامي العربي»، حيث أنوي بإذن الله أن أستعرض ما أستطيع العثور عليه من كتابات في مجال مقارنة الأديان وبالذات اليهودية والمسيحية التي كُتبت أو تُرجمت باللغة العربية.

وفيما سبق غنيه ففيها استعراض مختصر عن مجادلة أهل الكتاب ابتداء من القرآن الكريم وجيل الصحابة ثم التابعين ثم من تبعهم إلى العصر الحديث .





الفصل الثاني
البوصيري^(١)
(٦٠٨-٦٩٨ هـ / ١٢١١-١٢٩٩ م)



(١) هذه ترجمة موجزة للبوصيري ومن أراد التوسع فلينظر في كتابي «البوصيري شاعر المدائح النبوية ومرآة عصره» .

البوصيري (٦٠٨ - ٦٩٨ هـ / ١٢١١ - ١٢٩٩ م)

اسمه ونسبه :

هو محمد بن سعيد بن حماد بن محسن بن عبد الله بن صنهاج^(١). وزاد ابن تغري بردي قبل صنهاج اسم حياتي وذكره المقرئزي باسم حيان^(٢) مع اختلاف في أسماء الأجداد .

وقد اتفقوا على أنه من قبيلة صنهاجة بالمغرب، ومن بني حيون (أحد فروعهم). ولقبه شرف الدين ، وكنيته أبو عبد الله. وكان البوصيري يعتز بأنه مغربي الأصل، ومنها قوله :

فقل لنا من ذا الأديب الذي زاد به حُبِّي ووســــــــــــــــواسي
إن كان مثلي مغربيا فما في صحبة الأجناس من باسي
وإن يكذب نسبتي جئتُه بجبُّتي الصوف ودرفاسي

كان أبوه من «بوصير» وأمه من «دلاص» ولذا يقال له البوصيري ، والدلاصيري (جمعا بين القرئتين). وبوصير (بكسر الصاد وسكون الياء) اسم لأربع قرى بمصر، أشهرها كما يقول ياقوت: «بوصير قُوريدُس». وهي تقع بين الفيوم وبني سويف. ودلاص (بفتح الدال) في صعيد مصر على غربي النيل، ومعدودة في كورة البهنسا، وبها نشأ. وقال تغري بردي إنه ولد في إحدى قرى بهنسا، وتُدعى بهشيم بينما أكد السيوطي : إنه دلاصي المولد، بوصيري النشأة^(٣) .

(١) الكتبي : فوات الوفيات ج ٣ / ٣٦٢ .

(٢) نقلا عن ديوان البوصيري شرح وتعليق محمد التونجي ، دار الجيل، بيروت ٢٠٠٢ ص ١٢ .

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ج ١ / ٥٧٠ .

ولادته ووفاته :

ذكر المقرئزي وغيره أن البوصيري ولد يوم الثلاثاء مستهل شوال سنة ثمان وستمائة (٦٠٨)، وهو أرجح الأقوال ، فمنهم من قال سنة ٦٠٧ هـ ومنهم من قال سنة ٦١٠ هـ .

وأما وفاته فأرجح الأقوال أنها كانت سنة ٦٩٦ هـ أو ٦٩٨ هـ . واختلفوا في مكان وفاته، حيث قال بعضهم : إنه توفي بالمستشفى المنصوري بالقاهرة، ودفن في مقبرة الشافعي. ولكن أرجح الأقوال أنه توفي في الإسكندرية، وقبره معروف إلى اليوم بالقرب من قبر شيخه أبي العباس المرسي (الولي المشهور بالإسكندرية) . وقد عمّرَ طويلاً وجاوز التسعين بيقين ..

وعاصر البوصيري الدولة الأيوبية ودولة المماليك البحرية. وولد البوصيري في عهد الملك العادل سيف الدين أبي بكر الأيوبي ، حكم من (٥٩٦ إلى ٦١٥ هـ) ، وعاصر آخر سلاطين الأيوبيين السلطان الصالح نجم الدين أيوب (مولده ٦٠٣ هـ / ١٢٠٦م) (وفاته ٦٤٧ هـ / ١٢٤٩م)، ثم عاصر حكم زوجته شجرة الدر، والسلاطين من المماليك : أيبك، وقطرز وبيبرس وقلوون.

وفي أيامه حدثت معارك جسام. وانتصر المسلمون على الصليبيين في معركة المنصورة المشهورة التي أسرف فيها لويس التاسع وحُبس في دار ابن لقمان في آخر عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب. كما انتصر المسلمون في عين جالوت وأوقفوا المدَّ التتري (المغولي) المدمّر، وهزم السلطان قطز قائد المغول كتبغا شرّاً هزيمة. ولكن الظاهر بيبرس (وهو من كبار رجال الدولة المملوكية) حقد على السلطان قطز بسبب تقديم

آخرين عليه فدبّر مكيدة لقتله. وهذا من عيوب السلاطين والملوك في التاريخ الإسلامي. ثم تولى بيبرس الحكم وأظهر شجاعة وحكمة في سياسة الدولة، ووحّد الحكم في الشام ومصر والحجاز، وتقوّت الدولة في عهده قوة كبيرة.. وتعاون مع السلطان بركة خان (من الأورد الذهبي المغولي) في محاربة هولاكو عدو الإسلام والمسلمين .

وكانت مصر والشام تموج بالأحداث الجسام. وقد عاصرها شاعرنا الفدُّ محمد بن سعيد البوصيري .

حياته وأسرته :

بدأ البوصيري صباه بحفظ القرآن الكريم وبعض المتون، كما يفعل الصبية في ذلك الزمان، ثم جاء إلى القاهرة والتحق بمسجد الشيخ عبد الظاهر، ودرس شيئاً من علوم الفقه والحديث، والتفسير، والسيرة النبوية، ودرس علوم اللغة العربية من النحو والصرف والعروض ، كما درس الأدب وحفظ الشعر. وتدلُّ قصائده ، وخاصة مدائحه النبوية على اطلاع واسع في السيرة النبوية، وعلى معرفة بفنون الأدب والبلاغة والبديع. وقد أكثر منها في شعره بطريقة فنيّة جذابة .

وقد عمل في تدريس الطلبة الصغار القرآن الكريم واللغة، كما عمل في بعض دواوين الدولة كاتباً ومحاسباً. وقد كان يعمل في هذه الدواوين كثير من اليهود والنصارى. واتهموه بعدم معرفة الحساب، وأبطأوا في إعطائه ماهيته باعتباره موظفاً في الدولة ، حتى ضاق بهم ذرعاً، ودعاه ذلك إلى دراسة كتبهم، فكان لذلك أبرع الشعراء قاطبة في مجادلة اليهود والنصارى والردُّ عليهم، وسيأتي الحديث عن ذلك مفصلاً .

وانتقد هؤلاء اليهود والنصارى وخيانتهم للدولة وسرقتهم للأموال، وانتقد كذلك الموظفين من المسلمين بما فيهم بعض القضاة والمحاسبين وشدّد النكير عليهم. وأكّد أنه يجيد الحساب حتى ضمّن شعره أرقاماً وحساباً. وذلك كله ليردّ على خصومه الذين اتهموه بعدم معرفة الحساب .

ومن ذلك أن الملك الصالح نجم الدين أيوب أخرج ثلاثة آلاف دينار لتوزّع على طلبة المدارس، وأوكل توزيعها إلى الفقيه بهاء الدين المسردى، فلم ينل مسجد الشيخ عبد الظاهر (الذي درس فيه البوصيري) منها شيئاً، فنظم البوصيري على لسان هذا المسجد قصيدة يؤكد فيها بالحساب أن نصف المال قد تم اختلاسه. يقول الشاعر :

ليت شعري ما مقتضى حرمانى دون غيرى والإلف للرحمن
اتراني لا أستحق لكوني جامعاً شمل قارئ القرآن
ثم يقول :

ولعمري لقد توفّر نصفُ المال منها، وراح في النسيان
إن أكنّ ما أقوله دعوى فاطلبوني عليه بالبرهان
أو ما كان عدّة الفقهاء ألفاً فقيه من بعدها مئتان
فاحسبوها بمقتضى الصرف ديناراً ورُبّما للجلّة الأعيان
تجدوها ألفاً وخمس مئاة غير ما خصّها من النقصان

فالمبلغ الأصلي ٣٠٠٠ (ثلاثة آلاف دينار)

وما تم توزيعه هو دينار وربع لكل فقيه، وعدد الفقهاء ألف ومائتان .

$$1200 \times 1,25 = 1500 \text{ دينار .}$$

ومن شعره الذي استخدم فيه الحساب قوله :

فكانت شكولا منه زانت حروفه حسابا قلت منه الصحاح كسورُ

مشاكله الأسرية:

وقد كان البوصيري فقيراً كثير العيال. وكان خفيف الظل وهو يعرض مشاكله الأسرية الكثيرة. ومن ذلك قصيدة يخاطب بها الوزير يشرح له بها حاله .

إليك نشكو حالنا إننا	حاشاك، من قوم أولى عُسرة
في قلة نحن ولكن لنا	عائلة في غاية الكثرة
أحدث المولى الحديث الذي	جرى لهم بالخيط والإبرة
صاموا مع الناس ولكنهم	كانوا لمن أبصرهم عبره
إن يشربوا فالبئرزير لهم	ما برحت والشربة الجرّه
لهم من الخبيز مسلوقة	في كل يوم تشبه النشرة
أقول مهما اجتمعوا حولها	تنزهوا في الماء الخضره
واقبل العيد وما عندهم	قمح ولا خبز ولا فطره
فأرحمهموا إن عاينوا كعكة	في كفا طفل أو راوا تمرة
تشخص أبصارهم نحوها	بشهوة تتبعها زفرة
كم قائل يا أبتا منهمو	قطعت عنا الخير في كره
ما صرت تأتينا بفلس ولا	بدرهم ورق ولا نقره
وأنت في خدمة قوم فهل	تخدمهم يا أبت سخره
ويوم زارت أمهم أختها	والأخت في الغيرة كالضرة
واقبلت تشكو لها حالها	وصبرها مني على العشرة
قالت لها كيف تكون النساء	كلنا مع الأزواج يا عرّه

قومي اطلبني حَقَّك منه بلا
وان تأبى فـخـذني ذقنهُ
قالت لها ما هكذا عادتني
اخاف ان كَلِمَتُهُ كَلِمَةٌ
وهوئت قدرِي في نفسها
فقاتلتني فتهددتُها
وحق من حالته هذه
ان ينظر المولى له أمره

وهي قصيدة خفيفة الظل تصور حاله وحال أولاده وزوجته التي هيَّجتها أختها، وهوئت أمر طلاقها منه فهو لا يساوى بَعْرَة، فانطلقت الزوجة ، وهشمت رأسه بأجرّة .

وله قصيدة يهجو فيها القاضي عماد الدين الذي كان يقدم له الكفاة في رمضان فيسُرُّ بها أولاده وأهل بيته، فما كان من القاضي إلا أن ترك ذلك، فقال فيه البوصيري هاته الأبيات :

ما أكلنا في ذا الصيام كُنافه
قال قوم إن العماد كريم
وهو إن يطعم الطعام فما يطعمه
إلا بسمعة أو مخافة

وكانت علاقته مع زوجته سيئة في معظم الأحوال، وكانت لا تصبر على فقره، وهي سريعة الإنجاب، كثيرة الأولاد، كثيرة الطلبات. فقال يصف ما بينهما في شعر ظريف .

وبليتي عرسُ بليت بمقتها
جعلت بإفلاسي وشيبي حُجَّةً
بلغت من الكبر العُتي ونُكست
في الخلق وهي صبيئة الأرحام

إن زرتها في العام يوما أنتجت وابت لستة أشهر بسلام
أوكل ما حملت به حملت به من لى بأن الناس غير نيام
أصبحت من حملي همومهم على هرمي كاني حامل الأهرام

استعارة ناظر الشرقية حمارة البوصيري وعدم ردّها :

وقد استعار ناظر الشرقية حمارة البوصيري ، ولم يردها له فكتب
البوصيري إليه قصيدة ظريفة على لسان الحمارة تطلب أن يردها إلى
سيدها لأنها منه حامل !!

قال على لسانها :

يا ايها السيد الذي شهدت اخلاقه لي بأنه فاضل
ما كان ظني يبيعني احد قط ولكن صاحبي جاهل
لو جرسوه علي من سفه نقلت غيظا عليه يستاهل
اقصى مرادي لو كنت في بلدي ارعى بها في جوانب الساحل
وبعد هذا فما يحل لكم اخذي لأنني من سيدي حامل

وقد استظرف ناظر الشرقية هذه الأبيات، وردّ الحمارة، وما كان
فيها من الزاهدين .

نقده وهجاؤه للكتبة والمرتبين والموظفين :

وقد كان البوصيري ناقدا اجتماعيًا لما يجرى من سرقات وغش
وخداع وأخذ أموال الناس بالباطل، فلم يسكت على ذلك، وإنما جهر
بالنقد، وبالنقد اللاذع الساخر الذي سبب له عداوة الموظفين الكبار
وغيرهم، وخاصة من موظفي الدولة من اليهود والنصارى، مما أدّى
إلى إيذائهم له، ومنع ما يستحقّه من مال عندما كان يعمل موظفا

معهم. فانطلق البوصيري في دراسة كتب اليهود والنصارى ووضع القصائد المطولة في الرد عليهم وتوضيح باطلهم .

وقد طلب من الوزير المسؤول أن ينظر في أمر الدواوين وما فيها من فساد ليمنعه ، فقال :

انظر بحقك في أمر الدواوين	فالكُلُ قد غَيَّرُوا وضع القوانين
لم يبقَ شيء على ما كنت تعهدهُ	إلا تغيَّر من عالٍ إلى دون
الكاتبون، وليسوا بالكرام، فما	منهُم على المال إنسانُ بمأمون
والكلُّ جمعًا ببذل المال قد خدموا	وما سمعنا بهذا غيرَ ذا الحين
نالوا مناصب في الدنيا وأخرجهم	حُبُّ المناصب في الدنيا على الدين
عزوا وأكرمهم قومٌ لحاجتهم	ما نالهم بعد ذاك العزُّ من هون
وطاعنوا الناس بالأقلام واستلبوا	منهم بكل معلومٍ ومكنون
ومن مواشٍ وأطيَّارٍ وأنيبةٍ	ومن زروعٍ ومكيبولٍ وموزون
لا يكتبون وصلوات على جهةٍ	مُفصَّلات بأسماءٍ وتبيين
إلا يقولون فيما يكتبون له	من الحقوق وماذا وقتُ تعيين
فاسمع وكاسرٌ وحسَّ الريح يا فطنا	فلست أول مقهورٍ ومغبون
هم اللصوص ومن أقلامهم عتُلُّ	بها يَسفون أموالَ السلاطين

والقصيدة طويلة تبلغ ٥٩ بيتا في الديوان .

وله قصيدة أخرى، نونية أيضا، ويبلغ تعداد أبياتها ٩٩ بيتا، وهي في نقد الموظفين والمرتشين وفيها يقول :

تكلت طوائف المستخدمينا	فلم أرَ فيهم رجلاً أميناً
فخذ أخبارهم مني شفاها	وأنظرني لأخبرك اليقيناً
فقد عاشرتهم ولبثتُ فيهم	مع التخريب من عمري سنيناً

عَدَلْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمْ مِثْلَنَا
 فَلَا صَحْبَتَ شِمَالَهُمُ الْيَمِينَا
 بِهِمْ فَكَأَنَّهُمْ سَرَقُوا الْعُيُونَا
 وَلَا شَرِيوَا خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
 كَأَغْصَانِ يَمَلَنَ وَيُنْحَنِينَا
 وَلَكِنْ بَعْدَمَا حَلَقُوا ذُقُونَا
 كَأَسْيَافِ بَأَيْدِي لَاعِبِينَا
 وَكُلَّ اسْمٍ يَخْطُؤُا مِنْهُ سِينَا
 فَإِنْ بَخَصَمَهُ الدَّاءُ الدَّفِينَا
 لِقَبْضِ مُغْلَهَا كَالْمَقْطَعِينَا
 عَلَى بَلَدٍ أَصَابَ بِهِ كَمِينَا
 يَتَمُّ مِنَ اللَّئَامِ الْكَاتِبِينَا
 وَصَارُوا يَتَّجِرُونَ وَيَزْرَعُونَا
 وَمَالُ رِعَايَتِهِمْ يَتَحْيَلُونَا
 وَصَيَّرَ بَاطِلًا حَقًّا مُبِينَا
 سِوَى مَنْ مَعَشَرَ يَتَأُولَانَا
 بِهَا وَلِنَحْنُ أَوْلَى الْأَخَانِينَا
 وَمَنْ سَوَاهُمْ غَضِبُونَا
 لَهُمْ مَالُ الطَّوَائِفِ أَجْمَعِينَا
 وَلَا النَّظَارَ فِيمَا يَهْمَلُونَا
 لِمَا فَوْقَ الْكِفَايَةِ خَائِنِينَا
 أَوْلَيْكَ لِمَ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَا

حوت بلبيس طائفة لصوصا
 فكتاب الشمال هو جميعا
 فكم سرقوا الغلال وما عرفنا
 ولولا ذلك ما لبسوا حريرا
 ولا ريووا من المردان مُردا
 وقد طلعت لبعضهم ذقون
 وأقلام الجماعة جائلات
 وقد ساومتهم حرفا بحرف
 ولا تحسبا حسابهم صحيحا
 أقاموا في البلاد لهم جباة
 وإن كتبوا لجندي وصولا
 أمولاي الوزير غفلت عما
 إذا أمناؤنا قبلوا الهدايا
 وكلهم على مال الرعايا
 وكم جعل الفقيه العدل ظلما
 وما أخشى على أموال مصر
 يقول المسلمون: لنا حقوق
 وقال القبط إنهم بمصر الملوك
 وحللت اليهود بحفظ سبت
 فلا تقبل من النواب عذرا
 ليس الآخذون بغير حق
 وإن الكانزين المال منهم

تورع معشر منهم وعُدوا من الزهاد والمتسور عينا
وقيل لهم دعاء مستجاب وقد ملأوا من السُّحتِ البطونا
فلا تقبل عفاف المرء حتى ترى أتباعه متعقِّفينا
ومن ألف الخيانة كيف يُرجى له أن يحفظ اللصَّ الخؤونا
وما ابن قُطَيْبَةَ إلا شريكُ لهم في كل ما يتخطَّفونا
أغار على قري فاقوس منه بجور يمنع النومَ الجفونا
وجاس خلالها طولاً وعرضاً وغادر عاليًا منها حزونا
فقد نسفَ التلالَ الحُمَرنسفا ولم يترك بعرضتها جرونا
وصيَّر عينها حملاً ولكن لمنزله وغلَّتْها خزينا
وأصبح شغله تحصيل تبر وكانت راؤه من قسبل نونا
وفي دار الوكالة أي نهب فليستك لو نهبت الناهبينا
فقام بها يهودي خبيثُ يسومُ المسلمين أذى وهونا
إذا ألقى بها موسى عصاه تلَقَّفت القوافلَ والسفينا
وشاهدُهُم إذا اتَّهموا يؤذي عن الكلِّ الشهادة واليمينا
وقد وصف البوصيري الحالة الاجتماعية والمالية في مصر أصدق
وصفٍ وأدقِّه. وقد ذكر أن الموظفين الموكَّلين بحفظ الغلال وفرض
الضرائب هم أول من يسرق تلك الغلال، وأنهم لولا ذلك لما لبسوا
الحرير وشربوا خمور الأندرينا (والأندرين: مدينة بالشام اشتهرت
بصناعة الخمر) ولما تضمَّخوا بطيب دارين (ودارين فيما كان يسمى
البحرين وهي الاحساء في المنطقة الشرقية من المملكة العربية
السعودية). ولما كان أبناؤهم من المردان الذين يرفلون في النعيم.. وهم
يُزورون في الأرقام والأسماء لكأنما أقلامهم سيوف بأيدي اللاعبين
المهرة.

ومن هؤلاء من تظاهر بالمتسك والعبادة والزهد، وهم في واقع الأمر لصوص، وأرسلوا أتباعهم يسرقون ويجمعون لهم الأموال. كما أن بعض القضاة خانوا الأمانة وأكلوا البرطيل (الرشوة)، وشاركوا في السرقات والنهب... ثم التفت إلى الأقباط وما يفعلونه من سرقات، وهم يدعون أن مصر إنما هي وطنهم وحدهم، وأن المسلمين واليهود حلوا فيها، فهم أحقُّ بنهبها. وأما اليهود فلأنهم أبناء الله، وأنهم يقيمون السبت، فيحقُّ لهم سرقة الجميع ونهبهم. وهكذا ينعي حال مصر، وكيف أن الموظفين المسؤولين عن حفظ مال الأمة من كل الطوائف هم أول من يبادر إلى سرقتها ونهبها، واستغلال المزارعين، وأخذ الكثير من غلاتهم وحصادهم. ويطالب الوزير بأن يشدد العقوبة عليهم، ويضع عليهم قانون: من أين لك هذا؟ ويسألهم كيف تحولّ التبن الذي يملكون فصار تبراً (ويتلاعب بالألفاظ فصارت النون في التبن راء).

وأصبح شغله تحصيل تبرٍ وكانت راوؤه من قبل نونا ويطلب من الوزير ألا يقبل عفاف المرء حتى يرى أتباع ذلك الشخص متعفّفين. فلو كان صادقاً في العفاف لما كان رجاله وعمّاله من اللصوص الذين يسرقون أموال الدولة والأمة لحسابه، ويضع قانوناً عجيباً في غاية العدل والإنصاف. وهو أن لا يأخذ هؤلاء الموظفون أكثر من كفايتهم التي تُقدرُ مكاناً وزماناً، ويقول: إن من يأخذ منهم فوق تلك الكفاية ويصبح ثرياً ذا أموال وعقارات وزروع بعد أن كان معدماً، لاشك رجل خؤون.

ليس الآخذون بغير حقِّ لما فوق الكفاية خائنينا وإن الكانزين المال منهم أولئك لم يكونوا مؤمنينا

وفي قصيدة أخرى ينبّه أحد كبار الدولة من المماليك إلى خطر هؤلاء الموظفين اللصوص .

فلا تُدنّ منهم واحداً منك ساعةً ولو فاح من برديه مسكٌ وعنبرُ
منعتُ بهم حظي شهورا ولم أصل إلى حظّهم حتى مضت لي أشهرُ
أما فيهمو لا بارك الله فيهمو أخو قلم إلا يخونُ ويغدرُ

وفي هذه الأبيات إشارة إلى أن هؤلاء الموظفين كانوا يماطلونه في دفع مرتبه، لأنه كان ينتقدهم ويشنّ عليهم، ويفضح سرقاتهم، فقد عمل معهم دهرًا حتى عرف خبايا سرقاتهم والأعييبهم .

ولم يكن البوصيري في نقده اللاذع لهؤلاء الموظفين ليخصّ فيئة دون فيئة، ولا طائفة دون طائفة، بل عمّم نقده على المسلمين واليهود والنصارى. ولم يجعله شدة تدينه وبغضه لليهود والنصارى وتحريفاتهم وأذيتهم له، لم يجعله ذلك ينسى الموظفين من المسلمين بما فيهم بعض القضاة، وبعض الذين يتظاهرون بالتقوى والزهد. وهم أبعد ما يكونون عن ذلك، فسلبوا شعره عليهم إحقاقا للحق وإزهاقا للباطل، وتببيها لكبار المسؤولين في الدولة على ما يحدث .

رفضُ البوصيري لوظيفة الحسبة وبالضم الحسبة ومدح الأمير السابق الذي عرضها عليه :

تعتبر الحسبة من الوظائف الهامة في الدولة الإسلامية . فالمحتسب يشرف على الأسواق والمعاملات المالية، وعلى الأطباء وعلى الصيادلة، وعلى كل المهن حتى لا يحدث فيها غش أو خداع. وكان للمحتسب رجال مختصّون ، وشبه شرطة، بحيث تُنفذ أوامره.

كما أن من وظائف المحتسب الإشراف على دور العبادة، وأن يؤدي الناس الصلاة في المساجد حين يؤذَنُ بها .

وللأسف فإن بعض من تولى الحسبة كانوا يرتشون ويقبلون من التجار وأصحاب المهن الرشوات والهدايا حتى يُقرُّوهم على مخالفاتهم، في الوزن والكيل والنوع (غش الأدوية مثلاً أو غش البضائع.. أو حتى غش النقود) .

لهذا كله أثرى المحتسبون في زمن البوصيري. وكان البوصيري كما أسلفنا فقيراً، بل مدقع الفقر، ورغم وظيفته في كتابة الدولة، كموظف ومحاسب، إلا أنه تعرَّضَ للأذى من زملائه الموظفين المرتشين واللصوص الذين سرقوا مال الدولة ومال الأمة. وبما أنه كان ناقدًا لهم شديد الإنكار عليهم، قد أطلق شعره ذمًا وفضحًا للأعيبهم ونبه الوزير والمسؤولين على ما يفعلونه، فقد كادوا له كيدا، وماطلوه في دفع مرتبته حتى ضاق بذلك صدرا، وعاد إلى فتح كُتَّاب لتعليم الصبية القرآن ومبادئ العلوم. وكان أغلب طلبته من الفقراء، فما أغنى ذلك شيئا. وزوجته وأولاده يلحَّون عليه في الطلب، فأرسل قصائد يمدح بها الوزير. وكان وزيرا صالحا ذا عبادة ونسك (سنستعرض مدحه فيما بعد) فعرض عليه الوزير منصب الحسبة في القاهرة وهو منصب رفيع، ودخله كبير سيجل البوصيري غنياً عن مذلة السؤال، إن لم ينقله إلى خانة الأثرياء .

ولكن البوصيري لأمانته وزهده الحقيقي جعله يرفض ذلك المنصب الهام.. يقول البوصيري مخاطبًا الأمير السابق الذي عرض عليه ولاية الحسبة :

لا تظلموني وتظلموا الحُسبة
لغيري في البيع والشراء ذرية
فهو أبو جبة كما ذكروا
وقام في قومه لينذرهم
والناس كالزعر في منابته
تالله لا يرضى فضلى ولا أدبي
أجلسُ والناس يُهرعون إلى
أوجع زيدا ضرباً وأشبعه
ويكسبُ الفيضُ مقلتي وخذُ
وأمرُ الناس بالصالح ولا
اعوذ بالله أن أكون كمن
يمشي بها والصفار تُنشده
وما يزال الغلام يتبعه
وهو يقول : افسحوا لمحتسب
فمن تباهى بأنه وتدُ
قلت لهم عند صاحبي حُمقُ
حصلَ مالا جمًا وعددهُ
وصار عدلاً وعاقداً وأمينُ
منبهُ قومه على سُغلُ

فليس بيني وبينها نسبة
وليس في الحاليتين لي ذرية
لا يتفاضى للناس في حبة^(١)
فهو بإنذار قومه أشبه
هذا له تربةٌ وذا تربةُ
ولا طباعي هذه السُّبَّة^(٢)
فعلي في السوق عصبه عصبه
سبياً كأنى مرقصُ الدبَّة
اي أحراراً كزامر القرية
أصلحُ نفسي، حرمتها حِسبة
تغليبهُ في الرقاعة الرغبه
أميرنا زارنا بلا ركبته
بدرهٌ مثل رأسه صلبه
قد جاءكم من دمشق في عقبه
فليحتمل دق كل مرزبة
في كل حين يلقىيه في نكبه
من أصل مال الزكاة والوهبه
الحكم من دون العدل في حقبه
وساعد الوقت سَعَد من نبه

(١) أبو جبة لقب للمحتسب الفخر الفيشى الذي كان على الحسبة. وقد اشتهر بأنه كان يحاسب الناس على الدائق، ورغم ذلك كان كما يقول البوصيري مرتشياً .
(٢) اعتبر هذه الوظيفة الهامة سببة لأن الناس تحت أمره وطوع بنانه، يضرب هذا وينهر هذا .

وينطلق البوصيري يصف المحتسب الفخر الفيشي وكيف كان يأمر بالخير ولا يأتيه، وينهى عن الشر ويأتيه، حتى هاجمته النسوة. حين كان في التربة (المقبرة) حتى رثى له البوصيري من هجوم النساء عليه، وصياحهن عليه، وسبهن له، حتى عزله الأمير من وظيفته، ولذا أراد أن يُعَيَّنَ بدلا عنه البوصيري ولكن البوصيري يقول: إنه خاف من هذه الوظيفة على دينه وعقله وسمعته:

وخفتُ من عتبهم عليّ كما خاف العتاهي العُتْبَ من عُتْبِه
وأنه خاف إن قبل الوظيفة أن يعتب عليه أحبابه، كما خاف الشاعر أبو العتاهية من عتاب محبوبته ثم يقول مخاطبا الأمير الذي عرض عليه الوظيفة:

فالحمد لله فاحمدوه معي	على خلاصي من هذه النسبة
اليوم حَقَّقْتُ أن امرك بالحسبة	لي ليس كان لي لُعبَة
يا ماجداً ما يزال يُنقذُ من	رماه ريباً الزمان في كُربة
إني امرؤ حِرْفَتِي الحِسابُ فلا	يدخلُ ريباً عليّ في حِسبة
ولا تردُّ الكُتَّابُ جَائِزةً	على حسابِ منى ولا شطبة
يَشْرِقُ منى بِرِيقِهِ رجلٌ	يشربُ مالَ العُمَّالِ في شربة
ما سوى حِرْفَةِ الكِتَابَةِ لى من	وطرأبتني، ولا إريَة
والشعرُ ميزانه أقومُه	وليس تنقام منه لى حادبه
فإِنني لا أرى المديح به	للمال بل للوداد والصحبه

وهذا البيت يدلّ على سمو نفس البوصيري فهو ليس كالشعراء الذين يتكسبون بشعرهم، وإنما المديح عنده للوداد وللصحبة لا للمال. وقد صدق فلم يمدح إلا من كانوا يوادونهم، ومن كان منهم صالحا كما

سنرى في مدحه . أما هجاؤه فكان لاذعاً، ولكنه أيضاً لم يكن للمال، بل كان للدفاع عن مال الأمة والدولة .. ومهاجمة الموظفين الخونة والمرتشين واللصوص الذين يتحايلون فيسرقون الأموال . ولم يدع لذلك لنفسه صديقاً إلا فيما ندر . فقد هاجم كبار الموظفين والكتبة والقضاة، ولم يقتصر في هجائه ونقده على ما يفعله هؤلاء الموظفون من سرقة الأموال، بل امتدّ نقده اللاذع إلى الفقهاء الذين تولوا القضاء وسلخوا سبيل الباطل . لهذا ضاق به هؤلاء جميعاً، مسلمين ونصارى ويهود، عندما فضحهم وبين أساليب غشهم وخداعهم، وكيف يتلاعبون بالأرقام والأسماء .

ثم يقول البوصيري رحمه الله :

والشعر عندي أخو العدالة لا أحسب أقواله ولا كسبه
فلم أكن أتبع العذول إلى عقدر إذا ما دعاؤه خطبه
من كل من لا يخاف عاقبة كأنه في ذهابه عُقبه

وعُقبه ها هنا تعنى التوبة والمعنى كما يقول شارح الديوان (١) :
«وأهاجم من لا يخاف نتيجة عمله، وأعدُّ ذهابه (من الوظيفة) توبة .
وسيعود» . ثم يواصل البوصيري هجاءه لمثل هؤلاء :

يذبحه ظلمه وينحره الجهل بلا شفقة ولا حربة
كم غيبة قد اتاك بها الشاهد في سلم وفي كذب
فليس لي في اليهود من أرب إذا وُصفوا كاليهود بالأرية

ثم يتوجه إلى الأمير قائلاً :

فارحم لبيبا يوماً دعاك وقد بلغت الجوع روحه اللبب

(١) د . محمد التونجي : ديوان البوصيري ، دار الجيل، بيروت، ٢٠٠٢ ص ١٢٤ .

أى أن الجوع قد وصل إلى اللبّة وهي المنحر ، فهو يدعو الأمير
لإنقاذه وأسرته من هذا الجوع .

حاشاك يا من أبوابه وطني تختار لي أن أموت في الغربة
وإن حالي وحال عائلتي لا يحملون النوى ولا الغربة
إن كان أرضى الزمانُ فرقتنا فاغضب على صرفه لنا غضبه
فأنت من معشر تطيعهم الأيام عن رغبة ولا رهبة

وهو يتوسل إلى الأمير أن يعيده إلى وطنه (القاهرة) من صعيد
مصر حيث كان يعمل كاتباً مع مجموعة من اللصوص المحترفين. ثم
أنهى القصيدة بمدح هذا الأمير .

السابق الأولين في كرم لما جرى والكرام في حلبه
والهازم الجيش والكتائب بالطعنة يوم الوغى وبالضربة
والطاهر النذيل والطوية أو يكفي السعيد الحراك والنصبة
من خلقه كالنسيم ينشر إن هباً عليه من نشره هبة
ومن إذا ذكرتُ سؤدده يهزني عند ذكره طرية

وهكذا البوصيري رغم فقره الشديد، وحاجته الملحة وأسرته الكبيرة
وزوجته المزعجة بكثرة طلباتها يزهد في منصب المحتسب رغم ما فيه
من مكانة ودخل وافر وأموال كثيرة، تأتيه على هيئة الهدايا والعطايا
من أهل الأسواق حتى يَغُضُّ الطرف عنهم. ويعتذر للأمير عن ذلك
وبيّن له أنه لا يصلح لهذه الوظيفة ولا تصلح له. وأنه يمدح الأمير لما
رأى من مودته وإخلاصه فمدحه ليس للمال. وإن كان قد استعطف
الأمير وشرح له كافة أحواله فهو بها أدرى، والأمير من السابقين في
الكرم فلا حاجة له أن يكرر الطلب .



الفصل الثالث

فصيدة المخرج والمردود على النصارى واليهود

للבוصيري مع شرحها والتعليق عليها



قصيدة « المخرج والمردود على النصارى واليهود »

مجادلة البوصيري للنصارى :

جاء المسيح من الإله رسولا
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا
وعصابة ما صدقته وأكثرت
لم يأت فيه مفرط ومفرط
فكأنما جاء المسيح إليهم
فاعجب لأمته التي قد صيرت
وإذا أراد الله فتنه مفسر
هم بجلوه باطل فابتزه
وتقطعوا أمر العقائد بينهم
هو آدم في الضل إلا أنه

فأبى أقل العالمين عقولا
من جهلهم لله فيه حلولا
بالإفك والبهتان فيه القبلا
بالحق تجسريحا ولا تعديلا
ليكذبوا التوراة والإنجيلا
تنزيها لإلهها التنكيلا
وأضلهم رأوا القبيح جميلا
أعداؤه بالباطل التبجيلا
زمرأا لم ترعقدها محلولا
لم يعط حال النفخة التكميلا

ينتقد البوصيري بشدة النصارى الذين ألخوا عيسى عليه السلام وحولوه
من نبي كريم ورسول عظيم إلى إله وإلى ابن الله :

جاء المسيح من الإله رسولا
قوم رأوا بشرا كريما فادعوا
فأبى أقل العالمين عقولا
من جهلهم لله فيه حلولا

وهو يردد بذلك ما جاء في القرآن الكريم من نفي عقيدة التثليث
التي جاء بها مؤتمر نيقية^(١) عام ٣٢٥ (ميلادية)، ولم تكن قبل ذلك
معترفا بها، ولكن الإمبراطور الوثني، عابد الشمس، قسطنطين فرضها
في مؤتمر نيقية، ووافقه عليها ٣١٨ أسقفا من جملة الأساقفة البالغ
^(١) نيقية مدينة في آسيا الصغرى (تركيا حاليا)، وتسمى الآن أزنك (أزنيق). وكانت عاصمة
للإمبراطورية البيزنطية من عام ١٢٦ إلى عام ٢٠٤ م.

عددهم ٢٠٤٨ أسقفا . وكان أشد الداعين إلى هذه النحلة أسقف الإسكندرية أثاسيوس، بينما كان أشد المعارضين لها الأسقف آريوس. ولكن قوة الإمبراطورية وهيمنتها فرضت رأي الأقلية. وصار قسطنطين ممثلا للرب يسوع في الأرض. ووصل النفاق بأسقف روما أوزيبوس (Eusebius) أن يدعي أن الله كما تجسد في يسوع، قد تجسد أيضا في الإمبراطور قسطنطين. وهو نفس ما كان يقوله الأباطرة السابقون الذين ادعوا الألوهية، وحاربوا المسيحية الحقّة حرياً شعواء وأبادوا من هؤلاء النصارى مئات الآلاف.. ومنهم الطاغية نيرون الذي كان يجعل النصارى مشاعل حيّة بأن يطلي أجسادهم بالقار، ويلفهم بشواتل مطلية بالقار، ثم يشعل فيهم النار وهم مقيّدون، فيجرون أرجلهم والأنكال والقيود فيها، وهم يشعلون أحياء، كما جعلهم طعمة للوحوش المفترسة الجائعة. ورغم ذلك كان الناس يتعاطفون معهم. ويزداد عدد النصارى يوما بعد يوم، فقام بجريمته المشهودة بإحراق روما، واتهام هؤلاء النصارى المسالمين الوادعين بحرقها، وبذلك كسب تعاطف سكان روما والإمبراطورية بعد أن استطاعت أبواق دعايته أن تتهمهم بالإرهاب، تماما كما فعل بوش «الصغير» في ٩ سبتمبر ٢٠٠١ عندما هاجم البرجين في نيويورك بالطائرات المنيّة المتحكم فيها آليا.. متّهما المسلمين بهذه الفعلة الشنعاء.. وكما انفضحت جريمة نيرون الطاغية بعد وفاته وانتهاء عهده البغيض ستفضح هذه الجريمة الشنعاء النكراء، وسيعرف الناس ولو بعد حين أيدي العصابات الصهيونية والمسيحية المتصهينة ورجالات بوش، ونائب الرئيس ديك تشيني، وعصابة رونالد رامسفيلد مدبّر الغزو على العراق وأفغانستان، ورجاله من أمثال بول وولفوتس الصهيوني اليهودي. وستظهر بإذن الله تعالى كل الحقائق ويتضح الزيف والأكاذيب .

ويتحدث دون كوبيت^(١) عن أسقف روما إيسوبيوس Eusebius بأنه قد وصل في النفاق إلى درجة أن يقول : «كما أن الله هو للكون، كذلك الإمبراطور للدولة. فالكلمة الإلهية تستوطن الإمبراطور، فعلمه إياه محاكاة الفضائل ليصبح الراعي الصالح لشعبه، لينقذهم من الخطيئة. ويقودهم في طريق الخلاص إلى مملكة السماء. والملك كان نوعاً من الإله المتجسد ويمثل الصلة بين الأرض والسماء» .

ويقول ليزلي هولدن^(٢) : «وليجعل هذا المخطط مسيحياً أعلن الأسقف إيسوبيوس أن المسيح هو الإمبراطور العالمي للكون، وجعل وكيله على الأرض ونائبه الإمبراطور، وبالتالي أضفى الشرعية الإلهية على حكمه. واتخذ إيسوبيوس (أوزيبوس) الخطوة الأولى في هذا الاتجاه وتبعه آخرون» .

واليك نص عقيدة نيقية : «نؤمن بإله واحد : الله الأب كلي القدرة، خالق كل شيء، ما يُرى وما لا يُرى، ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل، ما في السموات وما على الأرض. الذي من أجلنا نحن البشر ومن أجل خلاصنا نزل وتجسد وعاش بين الناس، الذي تألم، وفي اليوم الثالث قام، وصعد إلى السماوات ليدين الأحياء والأموات»^(٣) .

(١) أسطورة تجسد الإله، Don Cupitt: The christ of Christendom. In editor: John Hick, The Myth of God Incarnate, SCM. London. PP 133 - 147 .

(٢) المصدر السابق ص ١٢٦ - ١٢٢ .

(٣) بسمه أحمد جستنيه : «تحريف رسالة المسيح عبر التاريخ أسبابه ونتائجه، دار القلم دمشق سنة ٢٠٠٠ ص ٢١٩ وأبو البقاء صالح بن حسين الجعفري : تخجيل من حرف التوراة والإنجيل» تحقيق وتعليق د. محمود قدح ١٩٩٨ مكتبة العبيكان، الرياض ج ٥٠١/٢، ٥٠٢ .

وسيعود البوصيري إلى هذه العقيدة بالنقد بشيء من التفصيل، ولكنه ها هنا ينتقل إلى اليهود الذين كفروا به وأذوه ونسبوه بهتاناً وإفكاً إلى أنه ابن زنا، وأن مريم عليها السلام جاءت به من زناها بالعسكري الروماني باندرنا إلى آخر ذلك البهتان والإفك.

يقول البوصيري :

وعصابة ما صدقته وأكثرت بالإفك والبهتان فيه القيل

ويقول : إن كلا الفريقين جاوز الحد وأتى بالبهتان إفراطاً وتضريباً مكذابين بذلك التوراة والإنجيل .

لم يأت فيه مُفْرِطٌ ومُفْرَطٌ بالحق تجريحاً ولا تعديلاً

فكانما جاء المسيح إليهم ليكذبوا التوراة والإنجيل

ثم يعود إلى النصارى عبّاد الصليب الذين لم يرضوا حتى جعلوا

إلهم يقاسي المهانة والذل والتكيل والعذاب على الصليب وهو يصيح

ويصرخ : إلهي إلهي لم شبقتني (أي لم تركتني) . فكيف ينادى ربه إذا

كان هو نفسه الإله ؟

يقول البوصيري :

فأعجب لأمته التي قد صيرت تنزيهاً لإلهها التنكيلاً

وإذا أراد الله فتنة معشرٍ وأضلهم رأوا القبيح جميلاً

وأى قبح أشدّ من أن تجعل ربّ العالمين أسير عصابة خائنة وقحة

قذرة تضع تاجاً من الشوك (القتاد) على رأسه، وتبصق على وجهه،

وتعلّقه على الصليب، وتقول «كل من علّق على خشبة ملعون»، فيتلقف

بولس تلك المقولة الخبيثة التي وضعها أحبار يهود ليقول : «إن يسوع

صُلب من أجلنا وصار هو اللعنة لأنه مكتوب : «كل من عُلِقَ على خشبة ملعون» وصار هو الخطيئة ليتحمل عنا الخطيئة، فأى هذيان أشد من هذا الهذيان. وأي سبٍّ لعيسى ﷺ أشدُّ من هذا السبِّ حيث يقول إنه صار هو اللعنة بعينها، وهو الخطيئة بذاتها.. وكل ذلك حتى يتحمل عنا اللعنة، وحتى يزيح عن كاهلنا إثم الخطيئة، وهي خطيئة آدم ﷺ عندما أكل من الشجرة !!

ما أصدق البوصيري حين يقول :

وإذا أراد الله فتنة معشر وأضلهم راوا القبيح جميلا
ثم يقول :

هم بجلوه بباطل فابتزّه أعداؤه بالباطل التبجيلا
وزعموا أنه الإله بذاته، وأنه ثالث ثلاثة، وأن الواحد ثلاثة، والثلاثة واحد، في كلام لا يفهم ولا يقبل لا عقلا ولا منطقا. قابلهم اليهود - عليهم لعائن الله - بسبِّه واحتقاره واعتباره ابن زنا، وأنه ساحر كذاب أفأق لا يستحق إلا الإعدام، وزعموا أنهم قتلوه وصلبوه ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَّبُوهُ وَلَكِنَّ شِبْهَ لَهُمْ﴾ [النساء : ١٥٧] .

ويسخر منهم البوصيري وقد تحوّل النصارى إلى فرق عديدة يكفر بعضها بعضا، ويسبُّ بعضها بعضا، ويحارب بعضها بعضا، قائلًا :

وتقطّعوا أمرا لعقائد بينهم زُمرا. ألم ترَ عقدها محلولا
هو آدم في الفضل إلا أنه لم يعط حال النسخة التكميلا

وما أكثر فرق النصارى القديمة والحديثة وهي قد بلغت المئات ولا مجال ها هنا لذكرها والتعريف بها ومناقشتها. ثم يقول : إن عيسى

مثله مثل آدم إلا أن آدم من غير أم ولا أب بينما عيسى عليه السلام له أم وليس له أب. وكلاهما نال التكريم بالنفخة الإلهية، أحدهما وهو آدم عليه السلام مباشرة من الله سبحانه وتعالى ، والثاني وهو عيسى عليه السلام ، بواسطة الملك جبريل عليه السلام . قال تعالى : ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ٥٩ ﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُتَمَرِّينَ (٦٠) ﴿ [آل عمران : ٥٩-٦٠] .

ثم إن البوصيري - رحمه الله - لم يجد بدأً أن يتحول من النظم إلى النثر لصعوبة نقل ما وجدته في كتب النصارى واليهود شعرا، فكتب ما أراده نثرا، ثم عاد مرة أخرى إلى النظم، وهكذا. وهي طريقة جديدة وعجيبة في معالجة موضوع ما، حيث ينتقل من الشعر إلى النثر، ومن النثر إلى الشعر، كل ذلك ليوفي الموضوع حقه.

قال البوصيري - عليه رحمة الله - مبينا أن الأناجيل نفسها لا تذكر إلا أن عيسى عليه السلام بشر، كما تؤكد أنه نبي ورسول من عند الله فينقل ما كان موجودا من الترجمات لهذه الأناجيل في عهده. ولاشك أن الترجمات للكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) باللغة العربية قد زادت الآن عن المائة، وأن كل ترجمة تختلف عن الأخرى، وتزداد هذه الاختلافات مع مرور الزمن بسبب عدم وجود أصل يرجع له فالمسيح عليه السلام لم يكن يتكلم أو يعرف اليونانية ، وهذه الأناجيل إنما كتبت باليونانية ثم ترجمت بلغات مختلفة .

قال البوصيري :

«لما رأيت كتب النصارى واليهود الآن مشحونة بما ينكرونه من بعث النبي ﷺ ، وفيها القول بخلاف ما يدعون من ألوهية المسيح، ومن

صَلْبِهِ، وإثبات رسالته إلى النصارى واليهود، وما لا يخفى، تعرضت في هذه القصيدة إلى ذكر ما سَهَّلَ نظمه من ذلك، وأردت أن أُورد تحت كل أبيات منها ما أشارت إليه من النصوص التي لا يستطيع النظم ذكرها بلفظها ولا بترتيبها .

«ذكروا أن المسيح عبد الله ورسوله وواسطته بينه وبين الناس بلفظهم الذي رضوا إظهاره باللغة العربية، واعترفوا أنها لفظ الإنجيل كقوله في إنجيل لوقا (حين خرج من الناصرة ولحق بكفر ناحوم، مدينة من الجليل «إنه ليس نبي مقبولا في وطنه» إنجيل لوقا ٤/٢٤) (وهي في إنجيل متى بلفظ: «وأما يسوع فقال لهم: ليس نبي بلا كرامة إلا في وطنه وبيته» متى ١٣/١٧) أنه لم يقتل أحد من الأنبياء في وطنه، فكيف يقتلونني؟» قوله حين خرج من السامرة: الحق بجلجال، إنه لم يكرم أحد من الأنبياء في وطنه. فهذا دليل على أنه ما جعل نفسه إلا نبيا. وكقوله في إنجيل مرقس^(١): إن رجلاً أقبل عليه وقال: أيها المعلم الصالح، أي خير أعمل لأنال الحياة الدائمة؟ فقال له المسيح: لم قلت لي صالحاً؟ إنما الصالح الله وحده. وفي إنجيل يوحنا: أن اليهود لما أرادوا القبض عليه وعلم بذلك، رفع بصره إلى السماء، وقال: «قد دنا الوقت يا إلهي! فشرفني لديك، واجعل لي سبيلا إلى أن أملك كل

(١) سأنقل هاهنا ما جاء في الكتاب المقدس، ترجمة دار الكتاب المقدس وقد اعتمدت هذه الترجمة في هذا الكتاب وهي الترجمة المعتمدة في الكنيسة المرقسية (الرسمية للأقباط في مصر) إنجيل مرقس الإصحاح ١٠/١٧-١٨ «وفيما هو خارج إلى الطريق ركض واحد وجثا وسأله: أيها المعلم الصالح ماذا أعمل لأرث الحياة الأبدية. فقال له يسوع: لماذا تدعوني صالحا. ليس أحد صالحا إلا واحد هو الله». والمقصود بالصالح هنا الصالح الكامل كما لا تامل. ويسوع ﷺ ينفي عن نفسه ذلك .

ما تملّكتي الحياة الدائمة، وإنما الحياة الباقية أن يؤمنوا بك إلهاً واحداً. وبالمسيح الذي بعثت، فقد عظمتك على أهل الأرض، واحتملت ما أمرتني به فشرفني لديك»^(١). وكفى بذلك تذلاًّ لله وعبودية، وسؤالاً واعترافاً، واثتماراً بأمر الله سبحانه وتعالى. وكقوله لتلاميذه: لا تدعو لكم أبا في الأرض، فإن أباكم الذي في السماء وحده. وفي إنجيل لوقا^(٢) حين أحيا الميت بباب مدينة، قام حين أشفق لأمه، لشدة حزنها عليه، فقال الناس: «إن هذا نبي عظيم. وإن الله يفيدك منه». فلو كان المسيح ادّعى أنه إله، لما قيل عنه خلاف ما ادعاه في معرض الشكر والتصديق. وكقوله في إنجيل يوحنا: «لست أقدر أن أفعل من ذاتي شيئاً، لكنني أجيبكم بما أسمع، لأنني لست أنفذ إرادتي، بل إرادة الذي بعثني»؛ وكقوله في إنجيل يوحنا أيضاً لليهود: «قد عرفتموني وموضعي، ولم آت من ذاتي، ولكن بعثني بالحق وأنتم تجهلونني؛ فإن قلت إنني أجهله، كنت كاذباً مثلكم. وأنا أعلم أنني نبيه، وأنه بعثني».

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١٧/١-٨ «تكلم يسوع بهذا ورفع عينيه نحو السماء وقال: أيها الأب قد آتت الساعة، مجدّ ابنك ليمجدك ابنك أيضاً. إذ أعطيته سلطاناً على كل جسد ليُعطي حياة أبدية لكل من أعطيته. وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك ويسوع المسيح الذي أرسلته... أنا أظهرت اسمك للناس... والآن علموا أن كل ما أعطيتني هو من عندك... وهم علموا يقيناً أنني خرجت من عندك وآمنوا أنك أنت أرسلتني». وفي هذه الترجمة حقٌّ وباطل فأما الحق فهو قوله: وهذه هي الحياة الأبدية أن يعرفوك أنت الإله الحقيقي وحدك. ويسوع المسيح الذي أرسلته» وأما الباطل وهو أيضاً قابل للتأويل أيها الأب مجدّ ابنك ليمجدك .. الخ .

(٢) إنجيل لوقا الإصحاح ٧/١٢-١٧: «فلما اقترب إلى باب المدينة إذا ميت محمول ابن وحيد لأمه، وهي أرملة.. ولما رآها الرب تحنّ عليها وقال لها: لا تبكي. ثم تقدم ولس النعش وقال: أيها الشاب، لك أقول قم. فجلس الميت وابتدأ يتكلم فدفعه إلى أمه، فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد قام فينا نبي عظيم» وفيه أيضاً قال عنه يحيى بن زكريا: بل ماذا خرجتم لتظنوا أنبياء؟ نعم أقول لكم وأفضل من نبي» .

وكقوله لليهود : «إن كنتم بني إسرائيل، فاقتفوا أثره، ولا تريدوا قتلي، على أنني رجل أديت لكم الحق الذي سمعته من الله تعالى، و غير أنكم تَقْفُونَ آثار آبائكم». وقال : «لو أن أباكم الله، لحفظتموني، لأنني رسول منه خرجت مقبلاً ، ولم أُقبل من ذاتي، ولكن هو بعثني إليكم، لكنكم لا تقبلوا وصيتي». وفي الإنجيل أنه كان يوماً يمشي في أسطوان سليمان، فأحاطت به اليهود، وقالوا له : «إلى متى تُخفي أمرَكَ؟ فإن كنت المسيح الذي يُنتظر أعلمنا بذلك»، ولم يقولوا : «إن كنت الله ولا الرب». وفيه أن اليهود أرادوا القبض عليه، فبعثوا إليه الأعوان، وأن الأعوان رجعوا إلى قوادهم ، فقالوا لهم : ألم تأخذوه؟ فقالوا : ما سمعنا آدمياً أنصف منه. فقالت اليهود : وأنتم أيضاً مخدوعون . أترون أنه آمن به أحد من القواد، ومن رؤساء أهل الكتاب؟ إنما آمن به من الجماعة من يجهل الكتاب. فقال لهم يونس القس: أترون أن كتابكم يحكم على أحد قبل أن يُسمع منه؟ فقالوا له : اكشف الكتاب ترى أنه لا يجيء من جَلجال نبي قط: فلو ظهر عنه دعوى غير أنه بشر رسول، لما قالت الأعوان : ما سمعنا آدمياً أنصف منه، ولا قالت اليهود: إنه لا يجيء من جَلجال نبي قط، وكقوله لتلاميذه إنه ستأتي ساعة يظن كل من يقتلكم «أنه يقرب إلى الله تعالى قُرْبَاناً، لأنه لم يعرف الله ولا أنا». وفي رسائل بولس : «يسوع المؤمن عند من خلقه». وقوله حكاية عن جبريل لأم المسيح : «إنك ستعقلين جبلا، وتلدن ابناً ، ويدعى اسمه يسوع : هذا يكون عظيماً، ومعظماً لربه الإله، كرسى داود أبيه». وقال بولس الرسول: «عندهم إله سيدنا يسوع المسيح، يعطيكم روح الحكم والبيان. وقال : «أناشُدك الله وسيدنا يسوع المسيح، والملائكة المصطفين» ، وقوله: «إن هذا الرسول عظيم، اختار

إيماننا يسوع الذي صنعه مثل موسى» وكقوله كما زعموا : «إلهي إلهي، لماذا تركتني»، وقوله يستطيع أن تقرأ عيني هذه الساعة. وكقوله : «الآن كل شيء بقدرتك ، أجرجني هذا الكأس الذي ليس كإرادتي يكون، بل كما تريد أنت». وكقوله : «جرعت نفسي الآن، فماذا أقول يا رباي ، فسلمني من هذا الوقت». وقوله وقد سئل عن الساعة : إنما ذلك اليوم وتلك الساعة، فلا تعلمها الملائكة ولا الأمم، إلا الله وحده^(١) . وقوله لتلاميذه : «آمنوا بالله، وآمنوا بي» . وكقوله للذي سأله ماذا أصنع لأعمل أعمال الله تعالى ؟ هذا هو عمل الله : أن يؤمنوا بمن أرسله . وجاء في زيور داود عليه السلام خطاباً من الله : «إنه سيولد لك ولد أدعى له أبا، ويدعى لي ابناً : فقال داود : اللهم ابعث جاعل السنة، كي يعلم الناس أنه بشر»^(٢) .

«المفهوم من ذلك أن الله أطلع داود على من سيدعى بالمسيح، فقال : «اللهم ابعث جاعل السنة يعلم الناس أنه بشر» وأن دعوى الربوبية له ما كان إلا بعد رفعه وموت حوارتيه بنحو من ثلاث مئة سنة، ولا أعلم الناس أنه بشر بعده إلا النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك قول المسيح في الإنجيل : «اللهم ابعث البارقليط، ليعلم الناس أن الناس بشر» .

(١) إنجيل مرقس الإصحاح ١٣/٢٢ : «وأما ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلم بها أحد ولا الملائكة الذين في السماء إلا الأب» وهو أيضا موجود في إنجيل متى ٢٤/٣٦ وفي إنجيل لوقا الإصحاح ٢١/٢٤-٢٦ أن الساعة لا تأتي إلا بغتة .

(٢) في المزمور الثاني ٧-٩ : «إني أخبر من جهة قضاء الرب قال لي : أنت ابني (على المعنى المجازي) أنا اليوم ولدتك (أيضا مجاز) وفي المزمور (٦/٢٠) : «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه . يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه، وهو نبوة بالمسيح، وبأن الله سيخلصه . وهو عكس ما يقوله النصراني من أن يسوع أهين ويصق في وجهه وصلب مع لص وقاطع طريق . ولا توجد في مزامير داود الموجودة الآن ما ذكره البوصيري فالعلها قد حذفت . وهو أمر يتكرر لديهم .

وفي الزبور : «سَلِّني لأعطيك الشعوب ترعاهم» وقول بولس : «فأله واحد هو، والواسطة بين الله وبين الإنسان يسوع المسيح» وقوله : «وليغف بعضكم عن بعض، كما عفا الله تعالى عنكم بالمسيح» عليه الصلاة والسلام . انتهى كلام البوصيري .

وقد جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٦ / ٥ - ١٤ : «وأما الآن فأنا ماض إلى الذي أرسلني، ليس أحد منكم يسألني : أين تمضي؟ لكني قلت لكم هذا قد ملأ الحزن قلوبكم. لكني أقول لكم الحق : إنه خير لكم أن أنطلق ، لأنه إن لم أنطلق لا يأتيكم المعزي (وترجمتها باليونانية البارقليط Paraclete أو البارقليطوس Paracletos) . ولكن إن ذهب أرسله إليكم. ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطيئة، وعلى برٍّ، وعلى دينونه، وأما على برٍّ فلأنني ذاهب إلى أبي ولا تروني أيضا . وأما على دينونه فلأن رئيس هذا العالم قد دين» .

«إن لي أمورا كثيرة أيضا لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن . وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق . لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأموار آتية. ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» .

وللأسف فإن الأناجيل تختلف اختلافا كثيرا . وكل ترجمة للإنجيل تأتي بكلام مختلف، ففي ترجمة دار الكتاب المقدس (أقباط مصر - القاهرة) جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح ١٤ / ١٥ - ٣١ «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي . وأنا أطلب من الأب فيعطيك معزيا آخر ليملك معكم إلى الأبد . روح الحق الذي لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه . وأما أنتم فتعرفونه لأنه ماكن معكم ويكون فيكم . لا

أترككم يتامى. إنني آتيت إليكم. بعد قليل لا يراني العالم. وأما أنتم فتروني. إنني أنا حي وأنتم ستحيون.. الذي عنده وصاياي ويحفظها فهو الذي يحبني. والذي يحبني يحبه أبي وأنا أحبه وأظهر له ذاتي... الكلام الذي تسمعونه ليس لي بل للأب الذي أرسلني . بهذا كلمتكم وأنا عندكم. وأما المعزي، الروح القدس، الذي سيرسله الأب باسمي فهو يعلمكم كل شيء ويذكركم بكل ما قلته لكم. سلاما أترك لكم.. لا تضطرب قلوبكم ولا تهرب.. لو كنتم تحبونني لكنتم تفرحون لأنني قلت أمضي إلى الأب، لأن أبي أعظم مني..» لا أتكلم أيضا معكم كثيرا لأن رئيس هذا العالم يأتي وليس لي فيه شيء» .

وفي الإصحاح ١٥ من إنجيل يوحنا / ٢٦، ٢٧ : «ومتى جاء المعزي الذي سأرسله أنا لكم من الأب، روح الحق الذي من عند الأب ينبثق فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم لأنكم معي في الابتداء». والبيريكليتوس (البارقليط) Periclytos (الأكثر حمدا) تحولت إلى الباراكليتوس Paraclytos التي ترجمت بالمعزي. والأولى اليونانية تعني الأكثر حمدا.. والأكثر حمدا هو أحمد أي البيريكليتوس .

قال تعالى في القرآن الكريم : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ .

[الصف: ٦]

وقد اختار المترجمون للإنجيل كلمة المعزي باللغة العربية، وكلمة Comforter باللغة الإنجليزية وما يوازيها باللغات الأخرى. وأضافوا إلى ذلك شرحا لكلمة المعزي من عند أنفسهم «الروح القدس» . وهي

إضافة متأخرة لأنها لا توجد في النص اليوناني كما يقول أحمد ديدات - رحمه الله - في كتابه «الإسلام والمسيحية»^(١) . وأن كلمة الروح القدس مقحمة في النص. ولا يستقيم الكلام بها ولا معها. ووصفه يسوع بقوله : «وأما متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق. لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية» وهو كلام واضح ينطبق على محمد ﷺ فقد كان يأتيه الوحي وكل ما يسمعه يتكلم به وهو وحي أوحى الله به إليه بواسطة الملك جبريل، ولا يقول شيئاً من عند نفسه . ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْوَحْيُ يُوحَى ﴾ (٤) عِلْمُهُ شَدِيدُ الْقُوَى (٥) ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى (٦) ﴿ [النجم : ٤-٦] . ولا ينطبق الكلام عن الروح القدس. وعندهم الروح القدس هو الأقبوم الثالث لله. أى أن الله هو بذاته الذي يأتي إليهم. وهو كلام غير مقبول لا عقلا ولا منطقاً .

ويعود البوصيري - رحمه الله - إلى النظم فيقول :

يَتَنَاوَلُ الْمَشْرُوبَ وَالْمَأْكُولَ	أَسْمِعْتُمْ أَنَّ الْإِلَهَ لِحَاجَةٍ
وَيَرُومُ مِنْ حَرِّهِ الْهَجِيرِ مَقِيلًا (٢)	وَيَنَامُ مِنْ تَعَبٍ وَيَدْعُو رِيَّةُ
صَرَفًا لَهُ عَنْهُ وَلَا تَحْوِيلًا	وَيَمَسُّهُ الْأَلَمُ الَّذِي لَمْ يَسْتَطِعْ
مَنْ كَانَ بِالتَّدْبِيرِ عَنْهُ كَفِيلًا	يَالَيْتَ شِعْرِي حِينَ مَاتَ بِرُغْمِهِمْ
مِنْ بَعْدِهِ أَمْ أَثَرَ التَّعْطِيلِ	هَلْ كَانَ هَذَا الْكُونُ دَبَّرَ نَفْسَهُ
تُخْزَوُا يَهُودًا الْأَخِيذَ الْبِرْطِيلِ (٣)	أَجْزُوا الْيَهُودَ بِصَلْبِهِ خَيْرًا وَلَا
وَأَرَاهُ كَانَ الْقَاتِلَ الْمُقْتُولَ	زَعَمُوا الْإِلَهَ فَدَى الْعَبِيدِ بِنَفْسِهِ

(١) Ahmed Deedat: The Choice : Islam and Christianity J. 1994, Ahmed Bageda (١) Family Trust, Jeddah PP51-57.

وكما يقوله القس عبد الأحد داود في كتابه Prof Abdul Ahad Dawud: Mohammad in the Bible.

(٢) الهجير: الهاجرة وهو شدة الحر عند انتصاف الشمس في كبد السماء وهو وقت الزوال.

(٣) البرطيل : الرشوة .

أَيَكُونُ قَوْمٌ فِي الْجَحِيمِ وَيَصْنُطَفِي
وَإِذَا فَرَضْتُمْ أَنْ عَيْسَى رَبِّكُمْ
وَأَجَلَ زُوحًا قَامَتِ الْمَوْتَى بِهِ
فَدَعُوا حَدِيثَ الصَّلْبِ عَنْهُ وَدُونَكُمْ
شَهِدَ الزُّيُورُ بِحِفْظِهِ وَنَجَاتِهِ
أَيَكُونُ مَنْ حَفِظَ الْإِلَهَ مُضِيْعًا
أَيَجُوزُ قَوْلُ مَنْزَرِهِ لِإِلَهِهِ
يَقْرَعُهُمُ الْبُوصِيرِيُّ تَقْرِيْعًا شَدِيدًا لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا يَسُوعَ ﷺ هُوَ اللَّهُ
وَكَيْفَ يَحْتَاجُ الْإِلَهَ لِلْأَكْلِ وَالشَّرْبِ (وبالتالي يحتاج إلى إفراغ ذلك
بالبول والبراز). وهو ما جاء في قوله تعالى : ﴿ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا
رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نَبِّئُ
لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴾ (٧٥) [المائدة : ٧٥] .

ويقول لهم البوصيري كيف ينام هذا الإله من تعب، ويهرب من حرِّ
الهجير ويقيل تحت شجرة ، ويمسّه الألم الذي لم يستطع صرفه عنه
ولا تحويلا. وخاصة أنهم يزعمون أنه صُلبَ وتألم وعُذِّبَ وأهين
وبصقوا في وجهه، وسخروا منه، وعلَّقوه على خشبه «وكل من علَّق
على خشبة ملعون» عندهم، وكان يصرخ ويصيح ويقول : إلهي إلهي لم
شبقنتي، أي لماذا تركتني!! فكيف يدعو الإله إذا كان هو نفسه الإله ..
وكيف مات الإله وبقي ثلاثة أيام ميتا .. ومن كان يدبر الكون ما دام ربُّ
العالمين قد قتل ، لأن عقيدة نيقية تنصُّ على أنه لا يمكن تصور فصل
الثلاثة، فالثلاثة واحد، والواحد ثلاثة وقتل يسوع هو قتل الله ذاته،
فكيف يستقيم أن يُقتل رب العالمين وإله جميع المخلوقين، ويبقى ميتا
(١) الكلبيم : موسى ﷺ والخليل إبراهيم ﷺ. ويزعمون أن الأنبياء جميعا في النار حتى
صُلبَ يسوع ثم قام فذهب وأخرجهم جميعا منها .

مصلوباً، ثم يدفن في القبر ولا يخرج منه إلا في اليوم الثالث. فمن كان يدبر أمر العالم في تلك الأيام الثلاثة. وهل بقي الكون كله بدون إله في تلك الأيام؟ ما أسخف تلك العقول وأشد ضلالها !!

يقول البوصيري :

يا ليت شعري حين مات بزعمهم من كان بالتدبير عنه كفيلاً
هل كان هذا الكون دبر نفسه من بعده أم أثر التعطيل

وإذا كان صلب يسوع هو أمر قد رتبته الإله يسوع نفسه، فلماذا يسبُّون اليهود قتلة المسيح، بل ينبغي لهم أن يشكروهم على ذلك، لأنه لولا الصلب، لم يظهر حسب زعمهم ملكوت الرب يسوع، حسب قولهم الفاسد. يقول البوصيري :

اجزوا اليهود بصلبه خيراً ولا تخزوا يهوذا الآخذ البرطيل
زعموا الإله فدى العبيد بنفسه وأراه كان القاتل المقتول

فيسخر منهم ويقول لهم: عليكم أن تجزوا اليهود على فعلتهم تلك .
وأما يهوذا الإسخريوطي الذي خان سيده وباعه بثلاثين من الفضة (البرطيل = الرشوة) فلماذا يلومونه، فهو قد عجل لهم ما كانوا يبحثون عنه ويريدونه ويريده حسب زعمهم المسيح نفسه. وقد ظهرت بالفعل في أواخر القرن العشرين نفس الدعوة (وهي من يهود) وتقول لهم إن يهوذا إنما قام بعمل جليل وهو تعجيل صلب المسيح ليظهر ملكه الأبدى... إلخ.

وزعموا أن عيسى بعد صلبه ذهب إلى الجحيم حيث وجد هناك آدم ونوح وإبراهيم وموسى وجميع الأنبياء فأخرجهم من الجحيم ، ولولاه

ليبقوا هناك في الجحيم إلى أبد الأبدين. ولهذا يسخر منهم اليهود اليوم ويقولون لهم : إن يهوذا قتل نفسه وانتحر قبل موت يسوع (وهو ما ورد في الأناجيل) حتى إذا ذهب يسوع إلى الجحيم لإخراج الأنبياء منها أخرجهم معهم . لأنه حسب زعمهم سيخرج كل من كان في الجحيم!!

يقول البوصيرى :

أ يكون قوم في الجحيم ويصطفى منهم كليما رينا وخليلا
والكليما هو موسى والخليل هو إبراهيم عليهما السلام. وزعموا
أنهما كانا في النار فأخرجهما منها يسوع وأخذ البوصيرى بيكتهما :
وإذا فرضتم أن عيسى ريكما أفلم يكن لفدائكم مبدولا
أى لماذا لم تفدونهم إذا كان هو إلهكم. بل تزعم الأناجيل أن
الحواريين الإحدى عشر الباقين فروا منه وأنكروا معرفته بما في ذلك
الصخرة (بطرس) .

ثم يقول البوصيرى :

وأجل روحا قامت الموتى به عن أن يرى بيد اليهود قتيلا
حاشا أن يكون روح الله الذي أقام الموتى أن يكون قتيلا بيد اليهود
أخس وأحق عباد الله ، قال تعالى عنهم فى كتابه العزيز : ﴿ فَبِمَا
نَقَضْتُمْ مِيثَاقَهُمْ وَكَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتَلْتُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ
بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا (١٥٥) وَكَفَرْتُمْ وَعَوْلَيْهِمْ عَلَى
مَرْيَمَ بَهْتَانًا عَظِيمًا (١٥٦) وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا
قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ

عِلْمِ إِلَّا اتَّبَعَ الظَّنَّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا (١٥٧) بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٥٨) ﴿ [النساء : ١٥٥ - ١٥٨] .

ثم يقول لهم البوصيري دعوا حديث الصلب هذا ، وخذوا من كتبكم ما جاء فيها موافقا للقرآن الكريم فإن فيه الهدى والنور. وقد شهد الزبور بحفظ مسيحه :

شهد الزبور بحفظه ونجاته افتجعلون دليله مدخولا
أ يكون من حفظ الإله مضيعة أو من أشيد بنصره مخذولا

وفي المزمور (٦/٢٠) : «الآن عرفت أن الرب مخلص مسيحه. يستجيبه من سماء قدسه بجبروت خلاص يمينه». وهو كلام واضح من داود عليه السلام بأن الله سينجي مسيحه ويخلصه من عار الصلب. ويرسل له ملائكة من سماء قدسه تتقذه من فضيحة الصلب مع لص وقاطع طريق.

وقد نص البوصيري على كلام داود، حيث قال :

أَوْجَلْ مَنْ جَعَلَ الْيَهُودُ بِرِزْمِكُمْ شَوْكَ الْقِتَادِ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا
وَمَضَى بِحَمْلِ صَلْبِهِ مُسْتَسْلِمًا لِمَمُوتٍ مَكْتُوفِ الْيَدَيْنِ ذَلِيلًا
كَمْ ذَا أَبْكْتَكُمْ وَلَمْ تَسْتَنْكِفُوا أَنْ تَسْمَعُوا التَّبْكِيَتَ وَالتَّخْجِيلًا
ضَلَّ النَّصَارَى فِي الْمَسِيحِ وَأَقْسَمُوا لَا يَهْتَدُونَ إِلَى الرَّشَادِ سَبِيلًا
جَعَلُوا الثَّلَاثَةَ وَاحِدًا وَلَوْ اهْتَدُوا لَمْ يَجْعَلُوا الْعَدَدَ الْكَثِيرَ قَلِيلًا
عَبَدُوا إِلَهًا مِنْ إِلَهِ كَائِنَا ذَا صُورَةٍ ضَلُّوا بِهَا وَهَيُوتَى

يسخر منهم البوصيري - رحمه الله - ويكتمهم ويقرعهم : أتجعلون الإله الجليل أضحوكة وهزواً لليهود حيث ألبسوه تاجا من الشوك وأعطوه سيفا من الخشب، ساخرين منه، لأنه يزعم أنه المسيح، ملك

اليهود. والمسيح عندهم سيأتي ويملك ويكون له تاج من الذهب والجوهر وسيف محلى من الذهب، ويملك به اليهود العالم بأكمله.. فكيف يزعم يسوع أنه المسيح وهو تحت حكم الرومان، واليهود وأورشليم كلها تحت حكم الرومان، فالمسيح إذن كاذب مخادع ساحر وابن زنا (أعوذ بالله من هذه الأوصاف). وحكم عليه السنهدين (محكمة اليهود) بأنه مجذّف وكافر ويستحق الإعدام بالصلب فوضعوا القيود وكبلوه، وألبسوه ثوبا قرمزيا رمزا وسخرية به وكأنه ملك اليهود، وأعطوه سيفًا من خشب، ووضعوا على رأسه تاجًا من شوك (القتاد) وبصقوا في وجهه، ثم صلبوه مع لص وقاطع طريق. والقصة بحذافيرها في الأناجيل الأربعة مع اختلاف بينها في التفاصيل.

ويسخر منهم البوصيري : كيف يكون رب العالمين مُكبلاً مُهانًا ذليلاً ييصق عليه اليهود؟ وكيف تحوّل الإله الواحد الأحد إلى ثلاثة : الأب والابن والروح القدس. والثلاثة واحد وليسوا منقسمين، بل هم كلهم واحد. ولم يكن أحدٌ منهم قبل الآخر، بل كلهم هو ذات الإله القديم الخالق البارئ المصور!! وإليك نص ما جاء في كتاب تاريخ الأمة القبطية^(١) : إن الجامعة المقدسة والكنيسة الرسولية تحرّم كل قائل بوجود زمن لم يكن ابن الله موجودا فيه، وأنه لم يوجد قبل أن يولد، وأنه وجد من لا شيء، أو من يقول : أن الابن وجد من مادة أو جوهر غير الأب. وكل من يؤمن أنه خلق أو من يقول أنه قابل للتغيّر ويعتريه الدوران» .

والإيمان النيقوي (نسبة إلى مؤتمر نيقية) ينصُّ على الآتي (نؤمن

(١) كما ينقله عنه الشيخ محمد أبو زهرة في كتابه القيم «محاضرات في النصرانية» ص ١٢٦.

بإله واحد : الله الأب كلى القدرة، خالق كل شيء، ما يرى وما لا يرى. ونؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله، المولود من الأب، إله من إله، نور من نور، إله حق من إله حق. مولود غير مخلوق، من ذات الجوهر مثل الأب، به خلق الكل ، ما في السموات وما في الأرض، الذي من أجلنا نحن البشر، ومن أجل خلاصنا، نزل وتجسّد وعاش بين الناس، الذي تألم، وفي اليوم الثالث قام وصعد إلى السموات. ويأتي ليدين الأحياء والأموات !!

وهي عقيدة وضعت على مراحل وابتدأها بولس بقصة الصلب والفداء وأن يسوع صار هو اللعنة والخطيئة ليفتدينا من اللعنة والخطيئة وهو ابن الله، ولكنه أقل من الأب، وهو يسمع للأب ويطيع، وهو بكر الخلائق. أى أنه مخلوق. ولكن هذه العقيدة تطورت في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ ليتحول يسوع إلى مولود غير مخلوق، من جوهر الأب . مساو له .

وفي عام ٢٨١ في مؤتمر القسطنطينية تمت إضافة «ونؤمن بروح القدس» واكتمل التثليث. ثم وضعت مقدمة الأمانة في مؤتمر أفسس عام ٤٣١ وفيها : «نعظمك يا أم النور الحقيقي، ونمجّدك أيتها العذراء المقدّسة، والدة الإله، لأنك ولدت لنا مخلص العالم، أتى وخلص نفوسنا. المجد لك يا سيدنا وملكننا المسيح فخر الرسل، إكليل الشهداء، تهليل الصديقين، ثبات الكنائس، غفران الخطايا . نبشر بالثالوث المقدس. لاهوت واحد، نسجد له ونمجّده. ياربّ ارحم، ياربّ بارك . آمين»(١) .

(١) تاريخ الأقباط لركي شنودة (ج١/١٧٨، ١٧٩) ومجموعة الشرع الكنسي جمع حنانيا إلياس ص ٨٢-٩٠ نقلا عن د. محمود قدح محقق كتاب «تخجيل من حرّف التوراة والإنجيل» للقاضي أبي البقاء الجعفري المتوفى في سنة ٦٦٨هـ.

ويسخر البوصيري منهم قائلاً :

جعلوا الثلاثة واحداً ولو اهتمدوا لم يجعلوا العدد الكثير قليلاً
عبدوا إلهاً من إله كائناً ذا صورة، ضلّوا بها وهيولى
وقد ضلّوا بعبادة الصورة والهيولى. والهيولى كلمة يونانية تعنى المادة
الأولية لكل شيء أى طينة العالم .

قال البوصيري نثراً :

«في زبور داود ﷺ : «إن الله تعالى نجى مسيحه واستجاب له من
سماء قدسه»^(١) وكذلك قوله «إن الله يوصي ملائكته بك ليحفظوك»
فإذا لم يكن ذلك الحفظ وتلك النجاة من الصلب والقتل، فماذا يكون؟
وليس عند النصارى ولا اليهود خبر يأتون به، ولا رواية صحيحة، أن
المسيح صلب، فإن أحداً ما حضره من أصحابه عندما أخذ شبهه، ولا
كانت اليهود يعرفونه، وإنما دلّهم عليه رجل يقال له يهوذا، ويسمونه
يودنس (يهوذا الأسخريوطي)، وكان فيمن آمن بالمسيح وارتد» .

قلتُ : ويهوذا الأسخريوطي هذا حسب زعمهم، هو أحد الحواريين
الإثني عشر وقد خان يسوع مقابل مبلغ زهيد (ثلاثين شيكلاً من
الفضة) وقد جاءت قصته في الأناجيل الأربعة. ففي إنجيل متى
(٥٤-١٤/٢٦) «حينئذ ذهب واحد من الإثني عشر الذي يدعى يهوذا
الأسخريوطي إلى رؤساء الكهنة (من اليهود) . وقال ماذا تريدون أن
تعطوني وأنا أسلمه إليكم فجعلوا له ثلاثين من الفضة. ومن ذلك
الوقت كان يطلب فرصة ليسلمه... ولما كان المساء اتكأ (يسوع) مع
الإثني عشر. وفيما هم يأكلون قال : الحق أقول لكم إن واحداً منكم

(١) هذا الكلام موجود في الزمور (٦/٢٠) وفي المزمور ١/١١٠ .

يسلمني . فحزنوا جدا . وابتدأ كل واحد منهم يقول (سائلا) : هل أنا هو يا رب ؟ فأجاب وقال : الذي يغمس يده معي في الصحفة هو يسلمني ... فأجاب يهوذا مُسَلِّمُهُ وقال : هل أنا هو يا سيدي؟ قال له : أنت قلت

قال البوصيري : «وفيما هو يتكلم إذا يهوذا أحد الإثني عشر قد جاء ومعه جمع كثير بسيوف وعصي من عند رؤساء الكهنة وشيوخ الشعب . والذي أسلمهُ أعطاهم علامة قائلا : الذي أقبلهُ هو هو . أمسكوه . فللوقت تقدم إلى يسوع . وقال : السلام يا سيدي ، وقبَّلهُ . فقال له يسوع : يا صاحب لماذا جئت ؟ حينئذ تقدموا وألقوا الأيادي على يسوع ، وأمسكوه . وإذا واحد من الذين مع يسوع مدَّ يده واستلَّ سيفه وضرب عبد رئيس الكهنة فقطع أذنه . فقال له يسوع : رُدَّ سيفك إلى مكانه . لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يُهلكون . أتظن أني لا أستطيع أن أطلب إلى أبي فيقدم لي أكثر من اثني عشر جيشا من الملائكة . فكيف تكمل الكتب ، إنه هكذا ينبغي أن يكون» .

أما يهوذا فقالوا : إنه انتحر وقتل نفسه . وزعموا أنه فعل ذلك قبل أن يصلب يسوع لأنه يعرف أن يسوع سيذهب إلى الجحيم بعد صلبه ويخرج جميع من فيها . فلذا سبق بنفسه وذهب إلى الجحيم حتى يخرج يسوع من النار كما سيفعل بجميع الأنبياء والمرسلين وكل من في الجحيم ، حيث يقوم حسب زعمهم بإخراجهم .. ورواياتهم مضطربة ومناقضة للعقل وسخيفة .

قال البوصيري : «وأعطوه (أي يهوذا) على تعريفهم به (أى المسيح) ثلاثين درهماً ، (شاقلا من الفضة) ، ثم بدا له ، وردَّ الدراهم وندم ، وأن

اليهود جاءوا إلى المكان الذي فيه المسيح فخرج إليهم رجل، فقالوا له : أنت يسوع، فقال : نعم^(١) . فأخذوه ومضوا ، وكانوا يستفهمونه ويقولون : أنت هو المسيح؟ فيقول : أنتم تقولون ، فمضوا به يوم الجمعة، وقالت النصارى: إنه صلب في يوم ... في الساعة التاسعة، وقالت اليهود : إنه أقام عندهم محبوساً أربعين يوماً وهم يستخبرونه ويسألونه إن كان هو هو، ويظهر لهم آية فلم يجيبهم إلى ما سألوه، لا في حال أخذه ولا في حال صلبه، وقالت النصارى: إن يودنس^(٢) الذي دل عليه اليهود خنق نفسه ندمًا، وتأولوا له أنه قصد أن يموت قبل المسيح ليدخل النار، فإذا مات المسيح مضى إلى الجحيم فخلصه من جملة بني آدم وبنيه، فإنهم كانوا بزعم النصارى منذ آدم وإلى ذلك اليوم في الجحيم، نبيهم ورسولهم، ومؤمنهم وكافرهم، وإنه أخرج الجميع وخلصهم. وصلبوه، فما من اليهود من عرف المسيح، ولا من أصحابه من حضره حيًا ولا ميتًا على زعمهم، وصدقوا فيه قول واحد مرتد، ثم إنه عُدِمَ فقالوا : خنق نفسه، وتأولوا. وما يدريك أن الله ألقى شبه المسيح على ذلك الذي دل عليه بذنبه وكفره. والله أعلم .

ثم انتقل البوصيري إلى النظم :

ضلَّ النَّصَارَى وَالْيَهُودُ فَلَا تَكُنْ بِهِمْ عَلَى سُبُلِ الْهُدَى مَدْتُولَا
وَالْمُدْعُو التَّثْلِيثِ قَوْمٌ سَوَّغُوا مَا خَالَفَ الْمَنْقُولَ وَالْمَعْقُولَا

وذكر البوصيري أنهم اختلفوا اختلافا كبيرا في قصة صلبه وقيامته. وقد ذكر المولى سبحانه وتعالى ذلك قال عز من قائل : ﴿ وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ ﴾ .

(١) في الأناجيل : أنتم تقولون :

(٢) في الأناجيل الموجودة حاليا : يهوذا .

قال البوصيري :

«أي شبه كان ، والله أصدق القائلين بقوله : ﴿وَإِنَّ الَّذِينَ اِخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ﴾ وما أخرج أمره عن ذلك . وكذلك إخبارهم عن قيامه من القبر عن امرأتين مريم المجدلية ومريم أم يعقوب ، أخبرتا أنهما أتيتا إلى القبر فوجدتا فيه رجلاً قال لهما إن يسوع المصلوب قام ولحق بجلجال ، وأخبارهم في ذلك وفي عقائدهم مثل ذلك . هذه الأخبار كلها هذيانية . انتهى كلام البوصيري .

قلتُ : وقد اختلفت قصة قيامة المسيح في الأناجيل اختلافا كبيرا . ففي إنجيل مرقس ولوقا ومتى أن يسوع صلب ودفن يوم الجمعة وفي إنجيل يوحنا يوم الخميس . وفي فجر يوم الأحد اكتشفت النسوة خلو قبره من الجسد . وهناك اختلاف كبير بين عددهن وأسمائهن . ثم ظهر يسوع لمريم المجدلية في رواية ولعدد منهن في رواية أخرى . ولم يتم الإعلان عن قيامة المسيح بين أتباعه إلا بعد مرور خمسين يوما من حدوثها . ورفعته إلى السماء كما تقول رسالة الأعمال التي كتبها لوقا (بعد ٦٠ عاما من رفع يسوع) . يقول الباحث المسيحي كيرد^(١) : إن أول شهادة عن القيامة لم تعطها الأناجيل لكنها جاءت من رسائل بولس وعلى وجه الخصوص رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح ١٥ .

وينتقد د . نينهام في كتابه «القديس مرقص»^(٢) ما جاء في إنجيل مرقص (مارك) من أن مريم المجدلية ومريم أم يعقوب وسالوما اشتروا حنوطا ليذهبن إلى القبر ويدهن جسد يسوع . وأن السبب الذي تعزى له زيارة هؤلاء النسوة غير محتمل ألبتة ، والواقع أن رواية مرقس تقول : إن جسد يسوع لم يدهن ألبتة خلافا لما جاء في إنجيل يوحنا . ويقول :

G.B. Caird: Saint Luke, Penguin Books, 1963 P 255. (١)

D.Ninehom : Saint Mark, Penguin Books, 1963 P 443, 444. (٢)

«يبدو أن وصف مرقس محض خيال، إذ أنه يصور لنا في وصفه ما يعتقد أنه قد حدث» .

وقد ذكرت في كتابي «دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية»^(١) ما جاء في كتب علماء النصرانية المحدثين من الشك في هذه الروايات واضطرابها وتناقضها، مما أدى ببعض الباحثين الغربيين إلى الشك في وجود شخص يسمى المسيح يسوع الممجّد وأنه شخصية وهمية لا وجود تاريخي لها. وقد ذكرول ديورانت في كتابه قصة الحضارة ج٣/ ٢٠٢، ٢٠٣ أن عددا من الباحثين المسيحيين يشككون في وجود شخصية المسيح ومن هؤلاء، بولينج بروك Bolyng Broke وجماعته، ومنهم فولني Volney الذي أعلن شكه ذلك في وجود المسيح في كتابه خرائب الإمبراطورية (١٧٩١) والعالم الألماني فيلاندر (Wei-land) الذي قابله نابليون وسأله عن إيمانه بوجود شخص المسيح فأعلن شكه في ذلك . وقرر برونس باور Bruns Bauer سنة ١٨٤٠ أن يسوع لا يبدو أن يكون أسطورة لا وجود لها، وهي مجرد تجسيد للطقوس الدينية في القرن الثاني بعد الميلاد. وأنكرت المدرسة الهولندية حقيقة وجود يسوع التاريخية، وأنه قصة أسطورية جميله اخترعها آباء الكنيسة ومن هؤلاء بيرسون Perison ونابر Naber وماترهاس Matrhas . وفي إنجلترا وصل إلى نفس النتيجة آرثر دروز Arthur Drews وسميث (W.B. Smith) وروبرتسون (Jm Robertson) . وانتشرت فكرة أن المسيح أسطورة في ألمانيا بشكل واسع سنة ١٩٠٦ . ومنذ القرن الثامن عشر الميلادي ظهرت هذه الفكرة وازدادت في القرن التاسع عشر ولقيت رواجاً كبيراً عند الباحثين في القرن العشرين .

(١) د. محمد علي البار : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية ، دار القلم دمشق ٢٠٠٦ ص ١٢٥ - ١٢٢ .

البوصيري واليهود

وينتقل البوصيري إلى اليهود بعد أن فضح النصارى وبدأ في فضح اليهود ومثالبهم وعقائدهم وتحريفهم للتوراة وكتب الأنبياء، فقال نظماً:

والعابِدُونَ العِجْلَ قَدْ فَتَنُوا بِهِ
وَدَوَا اتِّخَاذَ المرْسَلِينَ عَجُولًا
فَإِذَا أَتَتْ بُشْرَى إِلَيْهِمْ كَذَبُوا
بِهَوَى النُّفُوسِ وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا
وَكَفَى اليَهُودَ بَأْنَهُمْ قَدْ مَثَلُوا
مَعْبُودَهُمْ بِعِبَادَةِ تَمَثِيلًا
وَبِأَنَّ إِسْرَائِيلَ صَارَعَ رَبَّهُ
وَرَمَى بِهِ شُكْرًا لِإِسْرَائِيلًا
وَبِأَنَّهُمْ رَحَلُوا بِهِ فِي قُبَّةِ
إِذْ أَرْمَعُوا نَحْوَ الشَّامِ رَحِيلًا

عبادة العجل :

وبدأ بذكر عبادة اليهود للعجل :

والعابِدُونَ العِجْلَ قَدْ فَتَنُوا بِهِ وَدَوَا اتِّخَاذَ المرْسَلِينَ عَجُولًا

وقد قصَّ الله سبحانه وتعالى عتوَّ بني إسرائيل وعبادتهم للعجل في مواقع متعددة من سور القرآن الكريم أطولها في سورة الأعراف وفي سورة طه .

قال تعالى : ﴿ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَى مِنْ بَعْدِهِ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ (١٤٨) وَلَمَّا سَقَطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (١٤٩) وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي أَعَجَلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعُّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١٥٠) قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ

(١٥١) إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيِّئًا لَهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذَلَّةٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُفْتَرِينَ (١٥٢) ﴿ [الأعراف : ١٤٨-١٥٢].

وفي سورة طه ترد تفاصيل جديدة حيث يذكرهم الله بالآلته عليهم
ونجاتهم من فرعون وقومه، وإنزال المن والسلوى عليهم في الصحراء
ثم يذكر قصة عبادتهم العجل . قال تعالى : ﴿ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنْجَيْنَاكُمْ
مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّاءَ وَالسَّلْوَى (٨٠)
كُلُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي وَمَن يَحِلَّلْ عَلَيْهِ
غَضَبِي فَقَد هَوَى (٨١) وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لَّن تَابٍ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى (٨٢) وَمَا
أَعَجَلْتُكَ عَنْ قَوْمِكَ يَا مُوسَى (٨٣) قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ عَلَيَّ أَتْرَى وَعَجَلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ
لِنَرْضَى (٨٤) قَالَ فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَعْدِكَ وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ (٨٥) فَرَجَعَ
مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدًّا حَسَنًا أَفَطَالَ
عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدْتُمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي (٨٦)
قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا وَلَكِنَّا حَمَلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ
أَلْقَى السَّامِرِيُّ (٨٧) فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَهُ خُورٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ
مُوسَى قَنَسِي (٨٨) أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا
(٨٩) وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي
وَأَطِيعُوا أَمْرِي (٩٠) قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَاكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى (٩١) قَالَ يَا
هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا (٩٢) أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي (٩٣) قَالَ يَا بَنُوؤُمَّ لَا
تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي (٩٤) قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ (٩٥) قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ
قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي (٩٦) قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي

ظَلَّتْ عَلَيْهِ عَاكِفًا لُنْحَرَقْنَهُ ثُمَّ لَنَسْفَنَهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ [طه ٨٠ - ٩٨] .

وهكذا يصف القرآن الكريم كيف عبد بنو إسرائيل العجل بعد أن نجاهم الله من فرعون وبطشه، وبعد ما رأوا الآيات العجيبة المتتالية أمام أعينهم ولكن ما أن جاوزوا البحر حتى قالوا لموسى ﷺ عندما رأوا قوما يعكفون على أصنام لهم: يا موسى اجعل لنا إلهًا كما لهم آلهة. قال تعالي ﴿ وَجَاوَزْنَا بِبَنِي إِسْرَائِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَى قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَى أَصْنَامٍ لَهُمْ قَالُوا يَا مُوسَى اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَتَّبِعُوا مَا هُمْ فِيهِ وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضْلُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ [الاعراف : ١٣٨ - ١٤٠]

واستمرت رغبتهم في عبادة الأوثان وما كاد موسى ﷺ يذهب للقاء ربه حتى قام بنو إسرائيل بعبادة العجل الذي صنعه لهم السامري حيث جمعوا له الحليّ والذهب الذي سرقوه من المصريين عند خروجهم من مصر عندما أخذوه منهم عارية بزعم أنهم سيحتفلون بأحد أعيادهم، وبهذه الطريقة سرق بنو إسرائيل ذهب المصريين بعد أن أخذ كل جار من جاره المصري حليّة عارية ترد. ثم هربوا من مصر وما كادوا يخرجون منها ويجاوزون البحر بعد غرق فرعون حتى طلبوا من موسى أن يعبدوا الأوثان كما يفعل عبدة الأوثان. وبخروج موسى للقاء ربه استغلوا الفرصة وصنع لهم السامري العجل المسبوك من الذهب ثم قذف فيه من التراب الذي مسّه حافر دابة جبريل ﷺ فانطلق العجل يخور بصوت عال مسموع فجئن به بنو إسرائيل وعبدوه. ﴿ وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ ﴾ . ولم يسمعوا مقالة هارون ﷺ وشغبوا عليه شغبًا شديدًا ولم يبق مع هارون إلا فريق منهم. وخشي

هارون أن تقوم الحرب بين الفريقين فكظم غيظه حتى يرجع إليهم موسى. كما أن الغالبية العظمى منهم اتجهت إلى عبادة العجل واستضعفوا هارون عليه السلام ولم يسمعوا له قولاً. فلما رجع موسى ألقى الألواح وأخذ يجر رأس أخيه فاعتذر له هارون قائلاً ﴿ يَا بَنُوَّام لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ وقال له : ﴿ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضَعَّفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلَا تُشْمِتُ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلَنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ فقال موسى عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ .

ثم توجه بخطابة إلى السامري الذي صنع لهم العجل والذي قال ﴿ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾ أي أثر حافر دابة جبريل فنبذها في العجل فتحرك العجل وصار له خوار فجئن به بنو إسرائيل وعبدوه وذبحوا له، ورقصوا ولعبوا أمامه .

وعاقب الله السامري بعقوبة عجيبة وهي أن يصاب بالحمى الشديدة بمجرد أن يلمسه أي إنسان. بل إن الحمى تصيبهما معا، قال (أى موسى) ﴿ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ (أي لا يمسنى أحد) ﴿ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّنْ تَخْلَفَهُ ﴾ (أي في يوم القيامة حيث مصيره جهنم). ﴿ وَانظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَّنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ .

وعاقبهم الله سبحانه وتعالى على ذلك بأن يقتل الذين لم يعبدوا العجل إخوانهم وأقاربهم الذين عبدوا العجل فجاءت غمامة ففعلوا ذلك. قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَرِّئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَرِّئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (٥٤) ﴾ [البقرة : ٥٤] .

التوراة المحرفة تتهم هارون بأنه صنع لهم العجل :

لقد بلغت الوقاحة والافتراء باليهود حدودا لا يتخيلها العقل، فقد اتهموا نبي الله هارون بأنه هو الذي صنع لهم العجل وعبده معهم. جاء في سفر الخروج (الإصحاح ٣٢ / ١-٣٠) ما يلي : «ولما رأى الشعب أن موسى أبطأ في النزول من الجبل اجتمع الشعب على هارون. وقالوا له : قم، اصنع لنا آلهة تسير أمامنا، لأن هذا الرجل الذي أصعدنا من أرض مصر لا نعلم ماذا أصابه؟ فقال لهم : انزعوا أقراط الذهب التي في آذان نسائكم وبنيتكم وبناتكم واثتوني بها (وهي التي سرقوها من المصريين عند خروجهم من مصر بأمر الرب حسب زعمهم الفاسد) فنزع كل الشعب أقراط الذهب التي في آذانهم وأتوا بها إلى هارون. فأخذ ذلك من أيديهم وصوّره بالأزميل وصنعه عجلا مسبوكا فقالوا : هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر. فلما نظر هارون بنى مذبحا أمامه (أي أمام العجل) ونادى هارون : غدا عيد الرب (أي العجل) فبكرّوا في الغد وأصعدوا محرقات وقدموا ذبائح . وجلس الشعب للأكل والشرب ثم قاموا للعب» .

وقد قام كثير من الفنانين والرسامين في أوروبا برسم عبادتهم للعجل وهي لوحات فنية في أشهر المتاحف العالمية .

«فقال الرب لموسى : اذهب ، انزل لأنه فسد شعبك الذي أصعدته من أرض مصر. زاغوا سريعا عن الطريق الذي أوصيتهم به . صنعوا عجلا مسبوكا وسجدوا له وذبحوا له . وقالوا: هذه آلهتك يا إسرائيل التي أصعدتك من أرض مصر . وقال الرب لموسى : رأيتُ هذا الشعب، وإذا هو شعب صلب الرقبة، فالآن اتركني ليحامي غضبي عليهم

وأفنيهم، فأصيرك شعباً عظيماً. فتضرّع موسى أمام الرب إلهه وقال :
لماذا يا رب يحمي غضبك على شعبك؟... ارجع عن حمو غضبك واندم
على الشرُّ بشعبك... فندم الربُّ على الشرُّ الذي قال إنه يفعله بشعبه.
وهي صورة وقحة وحقيرة . فهارون هو الذي يصنع لهم العجل
ويأمرهم بعبادته وتقديم القرابين له .. وموسى يطلب من الربُّ أن يندم
على غضبه على هذا الشعب العاصي العنيد الكافر.. فما يملك الربُّ
إلا أن يندم على نيته فعل الشرُّ بشعبه. ألا ما أحقر هؤلاء اليهود. وما
أحقر توراتهم المحرّفة !!



من أباطيل التوراة المحرفة

يتحدث البوصيري - رحمه الله - بعد ذلك عن بعض ما في التوراة من أباطيل وضلالات ووصفهم لله تعالى وكأنه بشر، به صفات كل البشر. وسنشرح بعد ذلك هذه الصفات الثلاث التي كتبها البوصيري - رحمة الله عليه رحمة الأبرار .

قال البوصيري :

« ١- وفي التوراة ما يدل على التبديل : أن الله تعالى كالإنسان شخص وجوارح .

٢- وفيها أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب ، فضرب به يعقوب .

٣- وفيها أن الله عزَّ وجلَّ لما أمرهم بالتوجه إلى الشام، وعدهم أن يتوجه معهم، وأمرهم أن يعملوا له قُبَّة على صورة كذا، ينزل فيها في سيره معهم. ثم أن موسى قال : يا ربُّ، إن هذه الأمة القاسية، رقابها لا تمضي إلى الشام حتى تمضي معها كما وعدتها، فقال الله تعالى : نعم اعملوا لي قُبَّة، وعمل موسى القُبَّة، وسماها قُبَّة العهد، ونزل فيها من عرشه، وسار معهم في داخل القُبَّة، ينزل بنزولهم، ويرحل برحيلهم. هذا نصُّ ما ترجموه من التوراة. وتتمة الحديث ما معناه أنهم حملوا أموالاً إلى موسى ﷺ ، وتولى إنفاقها على القبة، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبع مئة رطل، فاتهموا موسى حتى سمعوا صوتاً من الهواء يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العُمد . انتهى كلام البوصيري .

صفات الله سبحانه وتعالى كما أوردتها التوراة المحرّفة :

ما يقوله علماء الكتاب المقدس :

قرر علماء الكتاب المقدس أن الأسفار الخمسة (التوراة، البنتاتوك)

ترجع إلى أربعة مصادر رئيسية، وهي النص اليهودي أو الوثيقة اليهودية والتي يذكر فيها اسم الله باسم يهوه (يهوا). ويظهر الله في هذه النصوص بصورة بشرية مجسمة (فسمعا وقع خطى الرب الإله وهو يتمشَّى في الجنة عند نسيم النهار) (التكوين ٨/٣) وظهر الرب بصورة إنسان ليعقوب ومعاركة يعقوب لله (حسب زعمهم). ويظهر الله كإله يعيش مع الإنسان ويتعامل معه بصورة مباشرة وكأنه بشر ويسمى هذا النص بالنص العبري. ويحدد زمنه إلى القرن التاسع قبل الميلاد في حدود سنة ٨٥٠ قبل الميلاد (عاش موسى في القرن الثالث عشر قبل الميلاد). وكل علماء الكتاب المقدس يقرُّون منذ القرن التاسع عشر الميلادي بأن لا علاقة لموسى بما يسمى التوراة أو كتب موسى الخمسة (البناتوك) وأنها كتبت بعد وفاته بمئات السنين. وأنه لم يبق من كلام موسى سوى الوصايا العشر. وهذا يكفي لإلغاء الجدل والخصام الطويل بين علماء المسلمين الذين يقولون بأن التوراة قد حُرِّفت وبين أهل الكتاب الذين كانوا يقولون : إنها لم تُحرف. وكل علماء الكتاب المقدس (التوراة والإنجيل) يقرُّون منذ القرن التاسع عشر الميلادي بأن لا علاقة لهذه الكتب لا بموسى ولا ببعيسى عليهما السلام، بل كتبت بأيدي كُتَّاب كثيرين مجهولين ، وأن هذه الكتب قد بُدِّلت وغيِّرت مرارا على مدى القرون والأزمان.

(٢) النص الإلهيمي (الوثيقة الإلهيمية) حيث يذكر اسم الله باسم ألوهيم. وكانت هذه التسمية شائعة في مملكة الشمال (إسرائيل) وعاصمتها شكيم (السامرة، نابلس) ، وزمانها بعد الوثيقة اليهودية وترجع إلى القرن الثامن قبل الميلاد (في حدود سنة ٧٧٠ ق-م)، وأسلوبها أكثر اعتدالا. ولا يظهر الرب في صورة بشرية مجسمة، بل هو رب العالمين .

يقول الأب ديشو : «لقد تكونت أسفار موسى الخمسة من أقوال موروثة لأمم مختلفة، جمعها محررون، وضعوا تارة ما جمعوا جنباً إلى جنب، وطورا غيَّروا من شكل الروايات بهدف إيجاد وحدة مركبة، تاركين للعين أموراً غير معقولة وأخرى متنافرة»^(١) .

ويقول الباحث اليهودي إدمون جاكوب في كتابه «العهد القديم»^(٢) : ليس هناك نص واحد للعهد القديم، بل نصوص كثيرة، ففي القرن الثالث قبل الميلاد ، كان هناك - على الأقل - ثلاث مُدُونات للنص العبري للتوراة وهي (١) «النصُّ الماسوري (أي المحقق) (٢) النصُّ السامري (٣) النصُّ الذي استخدم جزئياً في الترجمة اليونانية (التي قيل إنها كتبت في عهد بطليموس في الإسكندرية) . ويقرُّ الباحث أن النصوص العبرية ضاعت أثناء غزوات نبوخذ نصر وما بعدها من نكبات، وأنه لم يبق سوى النصُّ اليوناني. ثم ترجم ذلك النصُّ إلى العبرية.. وأن أقدم نصُّ عبري كامل لم يظهر إلا على يد عائلة ابن آشير في طبرية في القرن التاسع للميلاد (أي بعد ظهور الإسلام بقرنين من الزمان).

ويذكر الباحث والكاتب المشهور ول ديورانت في كتابه الموسوعي «قصة الحضارة»^(٣) : «أن شريعة موسى (أى التوراة) لم يبق منها سوى الوصايا العشر. وما عدا ذلك فقد ضاع واندثر ولم نجد له أي أثر» . وأن التوراة كتبت من جديد في زمن الملك يوشياهو سنة ٦٢٢ قبل الميلاد وما بعدها ، بسبب ضياع التوراة التي جاء بها موسى^(٤) .

(١) موريس بوكاي : القرآن والتوراة والإنجيل والعلم الحديث ص ٧-٢٩ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) ول ديورانت : قصة الحضارة ج ٢ / ٢٨٥ .

(٤) قصة الحضارة ج ٢ / ٢٧١ .

وقد جاء في الدراسة القيمة التي وضعتها لجنة من الفاتيكان واتحاد الكنائس العالمي والتي نقلتها الرهبانية اليسوعية (لبنان) من الترجمة المسكونية الفرنسية للكتاب المقدس^(١) : «أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولاً، لكنهم (على كل حال)، لم يكونوا منفردين ، لأن الشعب كان يساندتهم... معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمناً طويلاً بين الشعب. وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد مهم أو قليل الأهمية. لا، بل أحدث الأسفار ما هي أحياناً إلا تفسير وتحديث لكتب قديمة...» ولم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحياً من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة، .

صفات الله سبحانه وتعالى في التوراة المحرفة :

يقرر البوصيري - رحمه الله - أن اليهود في توراتهم المحرفة قد جعلوا الله يتصف بصفات البشر. وهذا دليل واضح على تحريفهم لكتاب الله وتبديلهم له .

قصة خلق آدم كما ترونها التوراة المحرفة :

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٢٦/١ - ٢٧) :

«وقال الله نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا.. فخلق الله الإنسان على صورته. على صورة الله خلقه ذكراً وأنثى» .

(١) الكتاب المقدس، إصدار الرهبانية اليسوعية ، بيروت دار المشرق ١٩٨٥، كتب الشريعة الخمسة، المقدمة .

ولهذا يعتقد اليهود والنصارى بأن الله له صورة بشرية. وقد قام الفنان مايكل أنجلو برسم في كنيسة السيستين في الفاتيكان تصور هذا المقطع من سفر التكوين. وصوّر الله (تعالى الله عن ذلك) بصورة رجل قوي كث اللحية، مفتول العضلات، يخرج من بين يديه آدم بصورة مطابقة تماما لله (تعالى الله عن ذلك) ولكنه أصغر حجما. وقد رسم هذه اللوحة الفنية مايكل أنجلو (الرسام والنحات الإيطالي في عصر النهضة) على سقف الكنيسة وهو معلق على سقالات لمدة أربع سنوات. وجعل الله (تعالى الله عن ذلك) على صورة زيوس، كبير آلهة اليونان، كما تصوره الفنانون اليونان حيث وضعوا له التماثيل الضخمة. وهو على صورة بشرية. وقد قلّدها مايكل أنجلو، وأصبحت تحفة فنية. ويزور هذه الكنيسة (السيستين) في الفاتيكان ملايين السياح سنويا. وزرتها مرتين، وفيها رسوم لكبار الفنانين مثل روفاييل بالإضافة إلى مايكل أنجلو، وكلها تصور مقاطع من سفر التكوين وبقية الأسفار الخمسة.

الرب يتعب ويستريح في اليوم السابع حسب زعمهم:

«فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً» (التكوين الإصحاح ٢/٢-٣). ولهذا صار السبت مقدّسا تجب فيه الراحة ويحرم فيه العمل. والسبت أى اليوم السابع صار مقدسا لليهود، وكذلك الشهر السابع والسنة السابعة. وإذا كان لديك عبد وهو من اليهود فلا بد أن يعتق في العام السابع. وتترك الأرض دون زراعة في العام السابع. وهكذا الإجازة السببية في الجامعات اليوم. يكون لكل مدرس وأستاذ في الجامعة إجازة سنة بعد مضي ست سنوات.

وقد انتشرت هذه التقاليد اليهودية إلى الجامعات في البلاد الإسلامية (عربًا وعجمًا) ويسمونها الإجازة السبتية (Sabbatical leave). ومع ذلك فإن اليهود الذين يزعمون تقديس السبت تحايلوا على العيد يوم السبت، ويتحايلون الآن لزراعة الأرض في فلسطين المحتلة في العام السابع، فيقومون بعمل عقد بيع صوري لأحد العرب من سكان فلسطين، ليقوم هو بزرع الأرض، مقابل أجر معين، ويأخذونهم المحصول.. وهم لا يكفون عن هذه الأساليب المعوجة مع رب العالمين ومع الناس. وقد وصف المولى سبحانه وتعالى أصحاب القرية (أيله = إيلات) الذين صادوا السمك يوم السبت بحيلة في أكثر من سورة من سور القرآن الكريم، ومنها ما جاء في سورة الأعراف . قال تعالى : ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرْعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٣) وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (١٦٤) فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ (١٦٥) فَلَمَّا عَتَبُوا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (١٦٦)﴾ [الأعراف: ١٦٣-١٦٦] .

الربُّ يخشى آدمَ ويمنعه من الأكل من شجرة المعرفة حسب زعمهم :

«وأوصى الرب الإله آدم قائلًا من جميع شجرة الجنة تأكل أكلا. وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها. لأنك يوم تأكل منها تموت موتا» سفر التكوين الإصحاح ٢/١٦، ١٧) .

وهم في ذلك يضاهئون ما عند الأمم السابقة وبالذات قصة زيوس كبير الآلهة عند اليونان الذي منع البشر من الأكل من شجرة المعرفة، فجاء بروميثوس (وهم من نسل الآلهة والبشر) فأخذ النار المقدسة، نار المعرفة، وأعطاهما للبشر، فغضب كبير الآلهة زيوس وعذب بروميثوس عذابا شديدا في أسطورة اهتم بها الأوربيون اهتماما شديدا ووضعوا لها المسرحيات والقصائد الشعرية واللوحات الفنية والرسوم والنحت والقطع الموسيقية^(١).

وأكل آدم من شجرة المعرفة حسب زعمهم بسبب حواء التي أغرته بذلك. وحواء بدورها أغرتها الحية، فصارت الحية وحواء ملعونتين من أجل ذلك، وكذلك لعن آدم حسب قولهم وطرد من الجنة، ولكنه لم يمت كما هدده الرب. ولذلك يزعم النصارى أن العقوبة التي لم تنفذ، جعلت آدم ونسله ملعونين حتى قام الرب بإرسال ابنه الحبيب، وهو جزء من ذاته (مولود غير مخلوق) بصورة بشرية، وجعله يتعذب على الصليب وبهان ويصق في وجهه، حتى يتحمل عنا اللعنة ويتحمل عنا الخطيئة.. فقتل وصلب من أجل أن يفتدينا. ولذا يسمى الفادي ويسمى الخروف (الخاروف) لأنه ذبح على الصليب حتى يفتدينا من اللعنة فصار هو ملعونا، كما يقول بولس في كلام سبق ذكره.

وعندما أكل آدم وحواء من شجرة المعرفة «انفتحت عيناها وعلمتا أنهما عريانان، فخاطبا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مأزر. وسمعا صوت الرب الإله ماشيا في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجرة الجنة. فنادى الرب الإله آدم، وقال له: أين أنت؟ فقال: سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأنني

(١) انظر كتابي: العلمانية جذورها وأصولها الفصل الرابع لمعرفة هذه التفاصيل.

عريان فاخبتأت. فقال: من أعلمك أنك عريان. هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم: المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت. فقال الرب الإله للمرأة: ما هذا الذي فعلت؟ فقالت المرأة: الحية غرّتني فأكلت فقال الربُ الإله للحية لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية... وقال للمرأة تكثيرا أكثر أتعب حيلك، بالوجع تلدين أولادا، وإلى رجلك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك، وقال لآدم: لأنك سمعت قول امرأتك وأكلت من الشجرة التي أوصيتك لا تأكل منها: ملعونة الأرض بسببك» التكوين (٦/٣-١٩).

وهي صورة قميئة للإله الذي لا يعلم أين آدم؟ وتصوره بصورة رجل يمشي في أرض الجنه باحثا عن آدم ، ولا يعرف ما يفعل آدم حتى يسأله عما جرى . وتجعل القصة الذنب كله على حواء لأنها أغرت زوجها وتجعلها تتعذب في حملها وولادتها. وتكون دائما تحت سيطرة الرجل.

الربُّ يخاف من آدم :

«وقال الربُّ الإله هو ذا الإنسان قد صار كواحدٍ منا عارفا الخير والشر. والآن لعله يمدُّ يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضا ويأكل ويحيا إلى الأبد. فأخرجه الربُّ الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها. فطرد الإنسان. وأقام (الرب) شرقي جنة عدن (الملائكة) الكروبيم، ولهيب سيف متقلب لحراسة طريق شجرة الحياة» سفر التكوين (٢٤/٢٢/٣).

وهي صورة حقيرة جداً تصور المولى سبحانه وتعالى بصورة فظيعة، فهو يخاف من آدم ويمنعه من شجرة المعرفة، ثم ها هنا يجتمع

بملائكته وكانهم مجموعة من الآلهة في جبل الأولب (اليونان) يكلمهم بأن الإنسان قد أكل من شجرة المعرفة، وأنه يريد أن يأكل أيضا من شجرة الحياة فيصير كواحد منا (أي معشر الآلهة) فطرد الإنسان من الجنة. وأقام حراسة مشددة من الملائكة الكروبيم على شرقي جنة عدن التي فيها شجرة الحياة، ولهيب سيف متقلب لتأكيد الحراسة على هذه الشجرة حتى لا يتحول البشر إلى آلهة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

الربُّ حسب زعمهم يحقد على البشر ولا يريد لهم متوحدين بل يبلبل لسانهم ويفرقهم على الأرض.

جاء في سفر التكوين : الإصحاح ١١/٩-١٠ .

«وكانت الأرض كلها لسانا واحداً ولساناً واحدة.. وقالوا : هلم نبني لأنفسنا مدينة وبرجا رأسه بالسماء. ونصنع لأنفسنا اسماً لئلا نتبدد على وجه كل الأرض، فنزل الربُّ لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم بينونهما . وقال الربُّ : هوذا شعب واحد ولسان واحد لجمعهم، وهذا ابتداءؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه. هلمَّ ننزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددهم الرب من هناك على وجه كل الأرض، فكفوا عن بنيان المدينة. لذلك دعي اسمها بابل لأن الربُّ هناك بلبل لسان الأرض. ومن هناك بددهم الرب على وجه كل الأرض» .

وهي صورة وقحة لله رب العالمين لا يمكن أن تخطر إلا على بال يهود الحقراء، حيث يصورون الربُّ سبحانه وتعالى بأنه حقود على البشر لا يريد وحدتهم ولا تجمعهم ولا أن يكون لهم لسان واحد، ولا

مدينة واحدة. بل يصورون الله - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وكأنه من آلهة الأولب ينزل هو ومجموعة من الآلهة معه لينظر ماذا يفعل الإنسان فيفتاض عندما يجدهم متحابين لهم لسان واحد، وبينون مدينة عظيمة فيقول الربُّ حسب زعمهم الكاذب : «هو ذا شعب واحد ولسان واحد لجميعهم. وهذا ابتداؤهم بالعمل. والآن لا يمتنع عليهم كل ما ينوون أن يعملوه» فيخاف أن ينافسوه في ملكه أو أن ينزعوا منه سلطانه - تعالى الله عن ذلك - فيقول الربُّ حسب زعمهم للآلهة الأخرى التي معه: هلمَّ نزل ونبلبل هناك لسانهم حتى لا يسمع بعضهم لسان بعض. فبددَّهم الربُّ من هناك على وجه كل الأرض فكفوا عن بنيان المدينة! يا للصورة القميئة الحقيرة. ولكأن هذا الرب الرجل الأوربي المستعمر وهو يدبّر «سياسة فرق تسد» ليستعمر شعوب الأرض ويستولى على خيراتها. ويبدد تلك الشعوب ويجعلها تعادى بعضا ويضرب بعضها رقاب بعض، وهي سياسة مستمرة إلى اليوم كما نراها في العراق وأفغانستان وفلسطين والسودان والصومال... إلخ .

التجسيم الفظيع في التوراة وأسفار الأنبياء :

الرب يستيقظ من نومه : جاء في سفر زكريا (الإصحاح ٢ / ١٠ - ١٣) : «ترنمى وافرحي يا بنت صهيون. هأنذا آتى وأسكن في وسطك، يقول الرب... والرب يرث يهوذا نصيبه في الأرض المقدسة، ويختار أورشليم بعد . اسكتوا يا كلُّ البشر قدام الرب لأنه استيقظ من مسكن قدسه» .

رؤية الرب : تتكرر رؤية الرب من البشر في كل الأسفار ومن ذلك ما جاء في سفر أشعيا (١/٦-١١) يقول أشعيا : «في سنة وفاة عزيا الملك

رأيتُ السيّد الربَّ جالسا على كرسي عالٍ مرتفع وأذبالا تملأ الهيكل. السرافيم (جنس من الملائكة المقربين) واقفون فوقه. لكل واحد ستة أجنحة. باثنين يغطى وجهه، وبأثنين يغطى رجليه (أى وجه الرب ورجلي الرب) وبأثنين يطير. وهذا ينادى ذاك وقال: قدّوس قدّوس. ربّ الجنود مجده ملاً الأرض فاهتزت أساسات العتب من صوت الصارخ وامتلاً البيت دخاناً...»

وليس أشعيا وحده هو الذي رأى الربَّ، فأدم وابنه القاتل قايين (قاييل) ونوح وإبراهيم وإسحاق ويعقوب (وصارعه أيضا) وكل الأنبياء، وموسى والسبعين من مشايخ إسرائيل وأخت موسى مريم.. وكل هؤلاء قد رأوا الربَّ عيانا وكلموه كفاحا .

ففى سفر التكوين (الإصحاح ٤) تقبّل الرب قربان هايبيل الذي قدّم ذبيحة (والربُّ عندهم يعشق الذبائح والمحارق) وقدّم قايين من أثمار الأرض فلم يقبل منه الثمار فاغتاظ قايين جدا. وقال الرب لقايين : لماذا اغتظت ولماذا سقطت وجهك.. وقتل قايين أخاه هايبيل بسبب ذلك.. فقال الربُّ لقايين : أين هايبيل أخوك؟ قال قايين : لا أعلم. أحارس أنا لأخي، فقال الربُّ : ماذا فعلت ؟ صوت دم أخيك صارخ إلى من الأرض. فالآن ملعون أنت فى الأرض التي فتحت فاهها لتقبّل دم أخيك من الأرض». وأصدر الرب أمره بعدم قتل قايين وكل من قتله، فسبعة أضعاف يُنتقم منه. فخرج قايين من لدن الرب. وسكن فى أرض نود شرقي جنة عدن» .

وهو أمر غريب فكيف يطرد قايين من جنة عدن إذا كان أبوه قد طُرد من قبل منها ولم يولد قايين وإخوته إلا فى الأرض، بعيدا عن الجنة !! ثم إن قايين هذا الملعون تزوج وأنجب، ومن نسله لاماك الذي

قتل أيضا رجلا بريئا. فقال له الربُّ : إنه ينتقم لقاين سبعة أضعاف وأما لاماك فسبعة وسبعين.. وكذلك منع أن يمسه أحد بأذى .. وهذا كله هذيان .

رؤية هارون وبنى إسرائيل للرب :

وجاء في سفر الخروج (٩/٢٤-١١) : «ثم صعد هارون وإبيهو وسبعون من شيوخ إسرائيل. ورأوا إله إسرائيل، وتحت رجله منصّة من العقيق الأزرق الشفاف، وكذات السماء في النقاوة. ولكنه لم يمد يده إلى أشرف بنى إسرائيل فرأوا الله وأكلوا وشربوا» وهكذا تزعم التوراة المحرفة أن موسى وهارون رأوا الله (تعالى الله عن ذلك) ثم لم يكتفوا بذلك بل صعد هارون ومعه سبعون من أشياخ إسرائيل ورأوا الله عيانا وأكلوا وشربوا عنده!!

والتجسيم البشع وتصوير الله بصورة الإنسان منتشر بدرجة غير متصورة في جميع أسفار العهد القديم وخاصة ما يُسمى بأسفار موسى الخمسة (التوراة، الشريعة، البنتاتوك) وهي التكوين، الخروج، اللاويين، العدد والتثنية. وهي بدون رب غير مقتصرة عليها، بل هي موجودة في جميع أسفار العهد القديم. وتتميز أسفار التوراة بمزيد من هذه الصور البشرية لله - سبحانه وتعالى - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ، كما تتميز التوراة الموجودة بعدم ذكر اليوم الآخر مطلقا. وليس فيها أي ذكر لدعوة الأنبياء للناس إلى عبادة الله ما عدا دعوة موسى لبنى إسرائيل لتوحيد ربّ إسرائيل فقط.. وفي مقابل ذلك سيعطيهم أرضا تفيض لبنا وعسلا. وعليهم فقط أن يقدموا له اللحم المشوي الذي يحبه جدا، فإذا ما شمّ رائحة الشواء - حسب زعمهم الكاذب-

يعطيهم الأموال والصحة والنصر على أعدائهم وسلب أراضيهم، وإذا لم يفعلوا ذلك أو عبدوا آلهة أخرى معه، ضربهم بالأمراض والطاعون والقحط وتسلط الأعداء عليهم. وليس في التوراة أي ذكر لليوم الآخر بل إن كثيرا من الأسفار الأخرى مثل سفر الجامعة وسفر الأمثال (منسوبان إلى سليمان عليه السلام) ليس فيهما أي ذكر لليوم الآخر بل الموت هو نهاية المطاف. وفي سفر أيوب تجديف وكفر صريح بالله سبحانه وتعالى، واتهامه بالظلم. وأما نشيد الإنشاد فشعر غزلي فاضح على طريقة الأدب المكشوف. وليس فيه أي ذرة من الأخلاق والأدب. وقد استعرضت الكثير من هذا الغناء في كتابي «الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم»^(١) فليرجع إليه من يريد المزيد من التفصيل .

مصارعة يعقوب لله - حسب زعمهم الكاذب :

قال البوصيري : «وفيها (أي التوراة) أن الله سبحانه تصارع مع يعقوب، فضرب به يعقوب» .

قلتُ : جاء في التوراة المحرّفة في سفر التكوين (الإصحاح ٣٢/٢٣-٣٢) :

«ثم قام (أي يعقوب) في تلك الليلة وأخذ امرأته وجارتيه وأولاده الأحد عشر وعبر مخاضة يبوق^(٢) . أخذهم وأجازهم الوادي وأجاز ما كان له . فبقى يعقوب وحده وصارعه إنسان حتى طلوع الفجر . ولما رأى أنه لا يقدر عليه (أي على يعقوب) ضرب حُقَّ فخذَه (أي فخذ يعقوب) .

(١) محمد علي البار : الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم، دار القلم دمشق والدار الشامية بيروت ١٩٩٠ .

(٢) أي ينفخ بالبوق . وكثيرا ما يتكرر هذا الفعل لديهم . والبوق لديهم للدعوة للصلاة وللإجتماع وللانتصار على الأعداء . وكان يعقوب مسافرا من أرض خاله لابان في العراق وعائدا إلى فلسطين .

فانخلع حُقَّ فخذ يعقوب في مصارعته معه . وقال (أى هذا الإنسان) :
أطلقنى لأنه قد طلع الفجر . فقال (أى يعقوب) لا أطلقك إن لم
تباركني . فقال له : ما اسمك فقال : يعقوب ، فقال : لا يدعى اسمك
فيما بعد يعقوب بل إسرائيل^(١) ، لأنك جاهدت مع الله والناس
وقدرت . وسأل يعقوب وقال : أخبرني باسمك فقال : لماذا تسأل عن
اسمي . وباركه هناك .

فدعا يعقوب اسم المكان فنيئيل^(٢) قائلا : لأنني نظرت الله وجهها
لوجه ونجيت نفسي . وأشرق له الشمس إذ عبر فنوئيل وهو يجمع
على فخذة» .

وتصور التوراة يعقوب عليه السلام بصور متناقضة فهو الأثير لدى أمه
رفقه ، وتربيته وكأنه فتاة ، بينما أخوه التوأم الذي ولد قبله وهو العيص
(عيسو) كان قويا رجلا يذهب للصيد . ومع هذا استطاع بمكر أن يأخذ
منه البكورية . كما أن رفقه ويعقوب تأمرا على إسحاق عندما شاخ
وعمي ليجعل البركة كلها ليعقوب ويحرم منها أخاه عيسو . وتزعم
التوراة سفر التكوين (الإصحاح ٢٧/١-٤) «أن إسحاق لما شاخ وكلت
عيناه عن النظر دعا ابنه عيسو وقال له : إنني قد شخت ، فالآن خذ
جعبتك وقوسك وأخرج إلى البرية وتصيد لي صيدا . واصنع لي أطعمة
كما أحب وائتني بها حتى تباركك نفسي قبل أن أموت» فلما خرج
عيسو للصيد جاءت رفقه وطلبت من يعقوب أن يذبح جديين جيدين
وصنعتهما له كما يحب .. وأمرته أن يحضرها إلى أبيه ويزعم أنه
عيسو ، ووضعت على جسمه جلد الجدى حتى يكون ملمسه مشعرا كما

(١) إسرائيل : الأسر ، والأزر هو القوة (اشدد به أزرى) و ئيل معناه : الله (سيحانه وتعالى) .
والمقصود بذلك القوى بالله . وقيل عبد الله . ولكن اليهود جعلوه الذي صارع الله وقدر .

(٢) فتنيئيل : فتني : بمعنى نظر و ئيل هو الله بالعبرية أي نظرت الله .

عيسو ، ولبس ثياب عيسو . ثم جاء يعقوب وقال : يا أبي : فقال إسحاق هأنذا . من أنت؟ فقال يعقوب : أنا عيسو برك، قد فعلت كما أمرتني . قم واجلس وكل من صيدي لكي تباركني نفسك» وشك إسحاق في الصوت فقال له : تقدم لأجسك يابني . فتقدم يعقوب فجسسه فقال : الصوت صوت يعقوب ولكن اليدين يدا عيسو لأن يدي يعقوب كانتا مشعرتين (بجلد الجدى) كيدي عيسو» وضمه إسحاق فوجد ريح عيسو (ثياب عيسو). فأكل الجددين الكاملين وشرب كمية كبيرة من الخمر . وبعد أن أكل أكلا لما وشرب حتى سكر - حسب زعمهم - قال ليعقوب وهو يظنه عيسو «فليعطك الله من ندى السماء، ومن دسم الأرض، وكثرة حنطه وخمر، ليستعبد لك شعوب ، وتسجد لك قبائل. كن سيدا لإخوتك، وليسجد لك بنو أمك، ليكن لاعنوك ملعونين. ومباركون مباركين» .

ثم جاء عيسو بصيده وقدمه إلى أبيه قائلا : «ليقم أبي وليأكل من صيده حتى تباركني نفسك. فقال له إسحاق أبوه : من أنت ؟ قال : أنا ابنك برك عيسو. فارتعد إسحاق ارتعادا عظيما جدا وقال : فمن هو الذي اصطاد صيدا وأتى به إليّ فأكلت من الكل قبل أن تجيء وباركته؟ نعم ويكون مباركا. فعندئذ صرخ عيسو صرخة عظيمة جدا ومرة جدا وقال لأبيه : باركني أنا أيضا يا أبي فقال : إسحاق قد جاء أخوك بمكر وأخذ بركتك» وصاح عيسو : أما بقيت لي بركة؟ فقال إسحاق إنني قد جعلته سيدا عليك ودفعت إليه جميع إخوته عبيدا وعضدته بحنطة وخمر فماذا أصنع لك يا بني؟ وظل عيسو المسكين يطلب من أبيه البركة وأخيرا أعطاه إسحاق بركة هي أشبه باللعنة، قال : «هو ذا بلا دسم الأرض يكون مسكنك، وبلا ندى السماء من فوق. وبسيفك تعيش ولأخيك تستعبد» .

وهي صورة حقيرة جداً لا يقوم بها إلا هؤلاء الأحبار من اليهود بأكاذيبهم وافترائهم على الله وعلى رسله وأنبيائه .

ورغم ذلك نرى يعقوب يهرب من أخيه عيسو بعد وفاة أبيهما إسحاق. ويذهب إلى العراق إلى خاله لابان ليتزوج لديه، والذي خدعه وأعطاه ابنته ليًا السمينة والقبيحة الشكل، بدلا من رفقه الجميلة، مقابل أن يعمل لديه سبع سنوات ثم أعطاه رفقه مقابل سبع سنوات أخرى. وبقي كل واحد منهما يخدع الآخر. وعندما غادر يعقوب أرض العراق عائداً إلى فلسطين لحقه لابان خاله متهما إياه بسرقة آلهة الذهب التي يعبدها. وكانت رفقه قد سرقتها فأقسم يعقوب بهذا القسم الوثني الشركي قائلاً : «إله إبراهيم وآلهة ناحور وآلهة أبيهما يقضون بيننا» (التكوين ٣١/٥٢) .

ثم قام يعقوب - حسب زعمهم - بمصارعة الله طوال الليل حتى أخذ منه العهد بأرض تفيض لبنا وعسلا بالقوة .

ولما وصل يعقوب إلى أرض فلسطين ذهب لمقابلة أخيه عيسو وقدم له الهدايا الكثيرة وسجد له سبع مرات إلى الأرض وأمر زوجته وجميع من معه أن يسجدوا لعيسو واعتذر عيسو عن قبول الهدايا الكثيرة جداً، فقال يعقوب المنافق - حسب زعمهم : «خذ هذه الهدايا من عبدك، لأجد نعمة في عيني سيدي. إن وجدت نعمة في عينيك تأخذ هديتي من يدي. لأنني رأيت وجهك كما يرى وجه الله فرضيت عليّ . خذ بركتي التي آتى بها إليك» (التكوين ٣٣/١-١٢) . وانظر إلى هذا النفاق حتى يجعل أخاه عيسو في مقام الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - وسجد له سبع مرات، وتملقه واعتبر نفسه عبداً له وهو مناقض تماماً لكل ما سبق من غثاء ومن بركة مزعومة من إسحاق..

وكلها صور مادية حقيرة لا تمثل سوى أحبار يهود الحقراء الذين كتبوا هذه التوراة المحرفة .

مسير الله معهم أثناء التيه وسكنه في الخيمة (قبة الزمان) :

قال البوصيري : «وفيها (أى التوراة) أن الله عزَّ وجلَّ لما أمرهم بالتوجه إلى الشام (فلسطين) وعدهم أن يتوجه معهم، وأمرهم أن يعملوا له قبة على صورة كذا (كان القدماء يسمونها قبة الزمان وفي الترجمات المعاصرة تسمى خيمة الاجتماع)، ينزل فيها في سيره معهم. ثم إن موسى قال : يا رب إن هذه الأمة القاسية رقابها لا تمضى إلى الشام حتى تمضى معها كما وعدتها، فقال الله تعالى : نعم، اعملوا لي قبة. وعمل موسى القبة وسماها قبة العهد. ونزل فيها (الربُّ) من عرشه ، وسار معهم في داخل القبة، ينزل بنزولهم ، ويرحل برحيلهم. هذا نص ما ترجموه من التوراة وتتمة الحديث ما معناه أنهم حملوا أموالا إلى موسى ﷺ ، وتولى انفاقها على القبة، وأنهم حسبوا ما أنفق عليها فعجز ألف رطل وسبعمائة رطل (من الفضة) ، فاتهموا موسى حتى سمعوا صوتا من الهواء يخبر أن ذلك الوزن انصرف في القبة ورأس العمدة . انتهى كلام البوصيري.

الشرح والتعليق

مرحلة التيه :

عندما رفض بنو إسرائيل قتال العماليق ودخول الأرض المقدسة عاقبهم الله بالتيه في الصحراء لمدة أربعين سنة . قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَآتَاكُمْ مَا لَمْ يَأْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ (٢٠) يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي

كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿٢١﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا فِيهَا قَوْمٌ جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنُذْخِلُهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ ﴿٢٢﴾ قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٣﴾ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَنُذْخِلُهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَادْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرِقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ﴿ [المائدة : ٢٠-٢٦] .

وقد جاء في تفسير ابن كثير عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه قال : «فتاهوا في الأرض أربعين سنة يصبحون كل يوم يسكرون ليس لهم قرار. ثم ظلل الله عليهم الغمام في التيه، وأنزل عليهم المن والسلوى.. ثم كانت وفاة هارون عليه السلام ، ثم بعده بثلاث سنين وفاة موسى الكليم عليه السلام . وأقام الله فيهم يوشع بن نون نبيا خليفة عن موسى بن عمران». وفي هذه المدة مات كل الجيل الذي خرج من مصر وكان ابن عشرين سنة فصاعدا. ولم يبق منهم سوى يوشع بن نون وكالب بن يفته (وهما الرجلان اللذان ذكرهما الله في سورة المائدة) فلما انقضت الأربعين سنة وجاء جيل جديد خرج بهم يوشع بن نون فقاتل العماليق وغيرهم فتصره الله عليهم .

خيمة الاجتماع :

وقد جاء في سفر الخروج (الإصحاح ٢٣/٧-١٧) : «وأخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة بعيدا عن المحلة، ودعاها خيمة الاجتماع. فكان كل من يطلب الرب يخرج إلى خيمة الاجتماع. وكان

جميع الشعب إذا خرج موسى إلى الخيمة يقومون ويقفون كل واحد في باب خيمته وينظرون وراء موسى حتى يدخل الخيمة. وكان عمود السحاب إذا دخل موسى الخيمة ينزل ويقف عند باب الخيمة ويتكلم الربُّ مع موسى. فيرى جميع الشعب عمود السحاب واقفا عند باب الخيمة. ويقوم كل الشعب ويسجدون، كل واحد في باب خيمته. ويتكلم الربُّ موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه. وإذا رجع موسى إلى المحلة كان خادمه يشوع بن نون الغلام لا يبرح من داخل الخيمة .

«وقال موسى للربُّ : انظر، أنت قائل لي، اصعد هذا الشعب. وأنت لم تعرّفني من ترسل معي... وانظر أن هذه الأمة شعبك. فقال (أي الرب): وجهي يسير فأريحك . فقال (أي موسى) : إن لم يسر وجهك (أي معنا) فلا تصعدنا من ها هنا.. فمتاز أنا وشعبك عن جميع الشعوب الذين على وجه الأرض. فقال الربُّ لموسى : هذا الأمر أيضا الذي تكلمت عنه أفعله لأنك وجدت نعمة في عيني وعرفتك باسمك» .

وهكذا يفترون على الله الكذب ويزعمون أن الرب كان يمشى معهم في فترة التيه كعمود من سحاب بالنهار، وعمود من نور بالليل، ويسكن معهم في خيمة الاجتماع، ويتكلم مع موسى وجها لوجه كما يكلم الرجل صاحبه .

بناء مسكن الرب - حسب زعمهم :

وجاء أيضا في سفر الخروج (٢٥/١-٣٩) : وكلم الرب موسى قائلا: كلم بني إسرائيل أن يأخذوا لي تقدمه... ذهب وفضة، ونحاس، واسما نجوني وأرجوان وقرمز ، وبوص ، وشعر معزى ، وجلود كباش محمرة، وجلود تخس، وخشب سنط، وزيت للمنارة، وأطياب لدهن المسحة

وللبخور العطر، وحجارة جزع، وحجارة ترصيع للرداء والصدرة، فيصنعون لي مقدسا لأسكن وسطهم بحسب جميع ما أنا أريك من مثال المسكن، ومثال جميع أنيته هكذا تصنعون. فيصنعون تابوتا من خشب السنط طوله ذراعان ونصف وعرضه ذراع ونصف وارتفاعه ذراع ونصف وتغشيه بذهب نقي من داخل ومن خارج. وتصنع عليه إكليلا من ذهب حوالية، وتسبك له أربع حلقات من ذهب وتجعلها على قوائمه الأربعة.. وتصنع عصوين من خشب السنط وتغشيهما بالذهب... وتصنع غطاء من ذهب... وتصنع مائدة من خشب السنط وتغشيهما بذهب نقي وتصنع لها إكليلا من الذهب حوالية... وتصنع صحافها وصحونها وكاساتها من ذهب نقي تصنعها.. وتصنع منارة من ذهب نقي...» ويذكر تفاصيل شديدة التعقيد في صنع التابوت والمائدة والمنارة التي توضع فيها الشموع وكلها من الذهب الخالص حتى تليق بمسكن الرب.. ثم إن الإصحاح ٢٦ من سفر الخروج ذكر تفاصيل المسكن فتصنعه من عشر شقق بوص مبروم واسمانجوني وأرجوان وقرمز. بكروبيم (أى صورة ملك) صنعه حائك حاذق الصنعة». وتفاصيل مملة وطويلة لهذا السكن الإلهي!!

ثم في الإصحاح ٢٧ تفاصيل صنع المذبح الذي يقرب فيه للرب الضحايا واللحم المشوي الذي يحبُّه الربُّ جدا - حسب زعمهم.. وأن يكون هارون وبنوه هم الذين يحقُّ لهم دخول المذبح والكهانة فيهم وحدهم. والتقدمات عن طريقهم، وإلا فإن الربُّ سيفضب عليهم ويبيدهم لأنه يحبُّ أن يأكل اللحم المشوى من يد هارون وأبنائه!! لهذا لا بد أن يكون الكاهن هو هارون وأبناؤه.. ثم وصف لثياب الكهان وأرديتهم الموشاه بالذهب.. إلى آخر التفاصيل المملة .

وفي الإصحاح الثلاثين من سفر الخروج تفاصيل أخرى لإيقاد البخور وأنواع كفارات الخطيئة وقرون ذبيحة ملطخة بالدم تكون دائماً في المذبح ويوقد لها البخور ليل نهار. وتفصيل عن صنع مرحضة (مرحاض) من النحاس لهارون وبنيه!! ويغسل هارون وبنوه أيديهم وأرجلهم عند دخولهم إلى خيمة الاجتماع لئلا يموتوا !!

إنهاء بناء مسكن الرب حسب زعمهم :

وفي سفر الخروج ٣٩/٣٢-٤٢ «فكمل كلُّ عمل مسكن خيمة الاجتماع. وصنع بنو إسرائيل بحسب كل ما أمر الربُّ موسى . هكذا صنعوا وجاءوا إلى موسى بالمسكن الخيمة وجميع أوانيها وألواحها... فباركهم موسى» .

وفي سفر الخروج ٤٠/١-٢٨ «وكلم الرب موسى في الشهر الأول، في اليوم الأول من الشهر تقيم مسكن خيمة الاجتماع. وتصنع فيه تابوت الشهادة وتستر التابوت بالحجارة، وتدخل المائدة وترتب ترتيبها.. وتدخل المنارة وتصعد سرجها»... إلخ إلخ. «ثم غطت السحابة خيمة الاجتماع وملاً بهاء الرب المسكن، فلم يقدر موسى أن يدخل خيمة الاجتماع لأن السحابة حلت عليها وبهاء الرب ملاً المسكن (كلام متناقض مع ما سبق من أن موسى يكلم الرب وجها لوجه كما يكلم الإنسان صاحبه). وعند ارتفاع السحابة عن المسكن كان بنو إسرائيل يرتحلون في جميع رحلاتهم. وإن لم ترتفع السحابة لا يرتحلون .

وفي سفر اللاويين الإصحاح الأول : «ودعا الربُّ موسى وكلمه من خيمة الاجتماع».. وذكر تفاصيل القرايين التي ينبغي أن تقدم له على المذبح وكيفية رش الدسم وكيفية سلخها وتقطيعها وحرقها حتى يسعد

الربُّ باللحم المشوى!! وهناك تفاصيل مملة عن أنواع المحارق Holo Caust التي يحبها الربُّ ويسعد بها. وأنواع الذبائح وأنواع التقدّمات .

وفي سفر العدد الإصحاح الأول : «وكلم الرب موسى في خيمة الاجتماع في أول الشهر الثاني في السنة الثانية لخروجهم من أرض مصر قائلاً أحصوا كل جماعة بني إسرائيل بعشائرتهم» وكان الإحصاء خرافياً: الرجال فوق سن العشرين الذين يحملون السلاح ستمائة ألف عدا سبط اللاويين لأنهم للكهانة ولا يحاربون ولا يحملون السلاح. هذا عدا النساء والأطفال أقل من ٢٠ عاماً. ويبلغ اللاويون ٢٢,٠٠٠ (اثنتان وعشرون ألفاً من الرجال فوق سن العشرين) .

وفي سفر العدد الإصحاح السابع : «ويوم فرغ موسى من إقامة المسكن (مسكن الرب) ومسحه وقدسّه.. قَرَّبَ رؤساء إسرائيل جميع قرايبتهم للرب» بتفاصيل مملة جداً جداً .

وفي سفر العدد الإصحاح التاسع / ١٥-٢٢ «وفي يوم إقامة المسكن غطت السحابة المسكن خيمة الشهادة. وفي المساء كان على المسكن كمنظر نار إلى الصباح. هكذا كان دائماً السحابة تغطيه ومنظر النار ليلاً. ومتى ارتفعت السحابة عن الخيمة كان بنو إسرائيل يرتحلون. وفي المكان حيث حلت السحابة هناك كان بنو إسرائيل ينزلون» .

وفي سفر العدد (الإصحاح ١١/٢٤-٣٠) : «فخرج موسى وكلم الشعب بكلام الرب وجمع سبعين رجلاً من شيوخ الشعب وأوقفهم حوالي الخيمة فنزل الربُّ في سحابة وتكلم معه، وأخذ من الروح الذي عليه وجعل على السبعين» فلما حلت عليهم الروح تنبأوا ولكنهم لم يزيدوا» وهكذا صاروا حسب زعمهم أنبياء أيضاً .

وفي سفر العدد (٦/٢٠-٧) «فأتى موسى وهارون من أمام الجماعة إلى باب خيمة الاجتماع وسقطا على وجهيهما فترأى لهما مجد الرب» .

موت هارون :

وفيه أن الرب حسب زعمهم غضب على هارون وعزله عن الكهانة وولاه ابنه ليعازر بدلا منه وأصعده على جبل هور ليموت هناك مغضوبا عليه من الرب (سفر العدد ٢٠/٢٤-٢٩) .

موت موسى :

وفي سفر العدد (١٢/٢٧-٢٣) «قال الرب لموسى: اصعد إلى جبل عباريم هذا وانظر الأرض التي أعطيتُ بني إسرائيل. ومتى نظرتها تضم إلى قومك أنت أيضا كما ضمُّ هارون أخوك. لأنكما في برية صين عند مخاصمة الجماعة، عصيتما قولي». وفي سفر التثنية (١/٣٤-٨) : «وصعد موسى من عربات موآب إلى جبل نبو (وهو موجود ومعروف في الأردن بالقرب من مدينة مادبا وعليه كنيسة) إلى رأس الفسحة الذي قبالة أريحا فأراه الرب جميع الأرض من جلعاد إلى دان (رأيت ذلك بنفسي عندما صعدت إلى هذا المكان في الأردن وترى تحتك أريحا وتمتد إلى داخل فلسطين حسب وجود السحاب أو الضباب الذي يمنع الرؤية).. ثم قال لموسى : قد أريتك إياها بعينك ولكنك إلى هناك لا تعبر (بسبب عصيانه الرب في برية صين حسب زعمهم).. ومات موسى هناك ولم يعرف أحد قبره» مغضوبا عليه من الرب - حسب زعمهم- ليموت بحسرتة وهو يرى أرض الميعاد، فلسطين، دون أن يدخلها. وحرِّم منها كما حرم الجبل بأجمعه الذي خرج من مصر

والذين تاهوا في البرية لمدة أربعين عاما. ولم يدخلها إلا من كان دون العشرين عند الخروج من مصر مع يشوع بن نون وكالب بن يفينه اللذان قادا عمليات الفتح !!

الله يسير أمام بني إسرائيل ليلا ونهارا :

تزعم أسفار التوراة المحرفة أن الله عندما أتاهم في الصحراء (برية صين) لم يتركهم بل كان معهم ليل نهار ليدلهم على الطريق لأنهم شعبه وابنه البكر الأثير لديه، لهذا كان يسير أمامهم في الطريق في عمود من سحب نهارا وعمود من نار ليلا لمدة أربعين سنة، ومع ذلك لم يستطع أن يهديهم سواء السبيل .

جاء في سفر الخروج (الإصحاح ١٣/٢٠، ٢١) : «وارتحلوا من سكوت ونزلوا في أيثام في طرف البرية. وكان الرب يسير أمامهم نهارا في عمود سحب ليهديهم في الطريق، وليلا في عمود نار ليضيء لهم، لكي يمشوا نهارا وليلا. لم يبرح عمود السحاب نهارا وعمود النار ليلا من أمام الشعب» ورغم ذلك مكثوا أربعين سنة في هذا التيه !!

التناقض حول بناء بيت الرب :

جاء في سفر صموئيل الثاني ٧/١-٢٩ أن داود (ويسمونه الملك ولا يعتبرونه نبيا) قال للنبي ناثن : انظر إني ساكن في بيت من أرز وتابوت الله ساكن داخل الشقق. فقال ناثن للملك: افعل كل ما بقلبك لأن الرب معك. وفي تلك الليلة كان كلام الرب إلى ناثن قائلا : اذهب وقل لعبدي داود : هكذا قال الرب : أنت تبني لي بيتا لسكنائي، لأنني لم أسكن في بيت منذ يوم أصعدت بني إسرائيل من مصر إلى هذا اليوم. بل كنت أسير في خيمة وفي مسكن. في كل ما سرت مع جميع بني

إسرائيل هل تكلمت بكلمة إلى أحد قضاة إسرائيل الذين أمرتهم أن يرفعوا شعبي قائلاً : لماذا لم تبناوا لي بيتاً من الأرز. وسرَّ الربُّ باقتراح داود ببناء بيت له ليرتاح من وعناء السفر وقال عنه : «هو يبني بيتاً لاسمي وأنا أثبت كرسي مملكته إلى الأبد. أنا أكون له أباً وهو يكون لي ابناً.. فدخل الملك داود وجلس أمام الربِّ وقال : من أنا يا سيدي الربُّ وما هو بيتي حتى أوصلتني إلى ها هنا... وأية أمة على الأرض مثل شعبك إسرائيل الذي سار الله ليفتديه لنفسه شعباً ويجعل له اسماً.. والآن أيها الربُّ، أقم إلى الأبد الكلام الذي تكلمت به عن عبدك وعن بيته وأفعل كما نطقت» وتمت المقايضة، داود يبني بيتاً للرب ليسكن فيه ويرتاح، والربُّ يثبت عرش مملكته إلى الأبد له ولنسله إلى أبد الأبدين!!

ورغم ذلك لم يستطع داود أن يقوم ببناء بيت الربِّ ووصَّى ابنه سليمان ليقوم بهذه المهمة بعده. ولكن المهم أن المقايضة تمت : داود يبني بيتاً للرب ليرتاح فيه ويسكن بعد التجوال. والربُّ يثبت كرسي مملكته إلى أبد الأبدين !!

الفلسطينيون يأسرون الرب حسب زعمهم :

ورغم ذلك كله فإن الفلسطينيين استطاعوا أن يأسروا الربِّ وبقي عندهم في أشدود مأسوراً سبعة أشهر!! ذلك لأن الربِّ - حسب زعمهم- يخرج معهم في التابوت ويهبهم النصر إلا أنه في إحدى المرات غفل عن ذلك وانتصر الفلسطينيون وأخذوه أسيراً معهم !!

ففي سفر صموئيل الأول ١١/١/٤ «وخرج إسرائيل للقاء الفلسطينيين للحرب ونزلوا عند حجر المعونه وأما الفلسطينيون فنزلوا

في أفيق.. واشتبكت الحرب فانكسر إسرائيل أمام الفلسطينيين.. وقال شيوخ إسرائيل لماذا كسرنا اليوم الرب أمام الفلسطينيين لناخذ لأنفسنا من شيلوه تابوت عهد الرب فيدخل في وسطنا ويخلصنا من أعدائنا فأرسل الشعب إلى شيلوه وحملوا من هناك تابوت عهد رب الجنود الجالس على الكروبيم.. وكان عند دخول تابوت عهد الرب إلى المحلة أن جميع إسرائيل هتفوا هتافا عظيما حتى ارتجت الأرض. فسمع الفلسطينيون صوت الهتاف .. وعلموا أن تابوت الرب جاء إلى المحلة فخاف الفلسطينيون لأنهم قالوا قد جاء الله إلى المحلة.. من ينقذنا من يد هؤلاء الآلهة القادرين.. تشددوا وكونوا رجالا أيها الفلسطينيون.. فحارب الفلسطينيون وانكسر إسرائيل وهربوا كل واحد إلى خيمته . وكانت الضربة عظيمة جدا . وسقط من إسرائيل ثلاثون ألف رجل . وأخذ تابوت الله .

وفي الإصحاح الخامس من سفر صموئيل الأول : «فأخذ الفلسطينيون تابوت الله إلى أشدود» ولكن الرب ضربهم بالبواسير والأوجاع . ولما رأى أهل أشدود الأمر كذلك قالوا : لا يمكث تابوت إله إسرائيل عندنا لأن يده قست علينا . وكلما نقلوه إلى مكان ضربهم بالبواسير ثم بالفئران ، ولذا قرر الفلسطينيون إعادة تابوت الرب إلى بنى إسرائيل .

«وكان تابوت الله في بلاد فلسطين سبعة أشهر.. فوضعوا الرب على عجلة واحدة جديدة تجرها بقرتان ومعه أمتعة من ذهب، بواسير من ذهب وفئران من ذهب وأطلقوا العجلة فاستقامت البقرتان في الطريق إلى طريق بيت شمس (أرض إسرائيلية) وكان أهل بيت شمس يحصدون حصاد الحنطة عندما رأوا التابوت مقبلا وفرحوا برؤيته

فشققوا خشب العجلة واصعدوا البقرتين محرقتين للرب. وأخرجوا تابوت الرب ومعه الذهب (بواسير من ذهب وفئران من ذهب). ورأى الإسرائيليون في بيت شمس الرب بأعينهم فضربهم، وأهلك منهم من أجل ذلك خمسين ألف رجل وسبعين رجلا (صموئيل الأول الإصحاح السادس) وناح كل بيت إسرائيل وراء الرب». وجاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح السادس :

«وجمع داود جميع المنتخبين في إسرائيل ثلاثين ألفا. وقام داود وذهب هو وجميع الشعب معه من بعله يهوذا ليصعدوا من هناك تابوت الله، الذي يدعى رب الجنود الجالس على الكروبيم فأركبوا تابوت الله على عجلة جديدة وحملوه من بيت أبينا داب..»

«وداود وكل بيت إسرائيل يلعبون أمام الرب بكل أنواع الآلات بالعيدان والرباب والدفوف والجنوك وبالصنوج.. وكان داود يرقص بكل قوته أمام الرب. وأشرفت ميكال بنت شاول (زوجة داود) من الكوة، ورأت الملك داود يطفر ويرقص أمام الرب فاحتقرته في قلبها وقالت له : ما أكرم ملك إسرائيل اليوم حيث تكشف اليوم في أعين إمائه وعبيده كما يتكشف أحد السفهاء» .

وهكذا عاد الرب من الأسر حسب زعمهم - وعزم داود على بناء بيت له وتمت المقايضة، داود يبني بيتا للرب ليسكن فيه ويرتاح من التجوال، والرب يثبت كرسي مملكة داود إلى الأبد. ولكن سليمان هو الذي بنى بيت الرب. وهو الذي يدعونه الهيكل، وقد أفاضت أسفار العهد القديم (مسفر الملوك الأول) في وصفه ونعته. «ووضع سليمان تابوت الرب في محراب الهيكل في قدس الأقداس تحت جناحي

الكروبيم - وملاً السحاب بيت الرب، ولم يستطع الكهنة أن يقضوا للخدمة بسبب السحاب، لأن مجد الرب ملاً بيت الرب. حينئذ تكلم سليمان : قال الرب أنه يسكن في الضباب. إني قد بنيت لك بيت سكنى، مكانا تسكناك إلى الأبد». سفر الملوك الأول (١٣-٦/٨) .

وقال سليمان للرب القابع أمامه في التابوت -حسب زعمهم الكاذب :

«يا أيها الربّ إله إسرائيل ليس إله مثلك في السماء من فوق ولا على الأرض من أسفل، حافظ العهد والرحمة لعبيدك السائرين أمامك بكل قلوبهم.. والآن أيها الرب إله إسرائيل، احفظ لعبدك داود ما كلمته به قائلًا : لا يعدم لك أمامي رجل يجلس على كرسي إسرائيل.. والآن يا إله إسرائيل فليتحقق كلامك الذي كلمت به عبدك داود» (سفر الملوك الأول ٨/٢٢/٢٩) .

ورغم ذلك تزعم هذه الأسفار أن سليمان زاغ عن عبادة الرب إله إسرائيل، وعبد الأوثان مع زوجاته الألف. وبنى لهن المعابد الوثنية. وجاء في سفر الملوك الأول «وكان في زمان شيخوخة سليمان أن نساءه أملن قلبه وراء آلهة أخرى. ولم يكن قلبه كاملاً مع الربّ إله كقلب داود. فذهب سليمان وراء عشتروت آلهة الصيدونيين، وملكوم رجس العمونيين. وعمل سليمان الشر في عيني الرب. ولم يتبع الربّ تماماً كداود أبيه» وهكذا تزعم التوراة المحرفة أن سليمان ﷺ عبد الأوثان وبنى المرتفعات والمعابد لكموش رجس الموآبيين ولولك رجس بني عمون. وهكذا فعل لجميع نساءه الغريبات اللواتي كن يوقدن ويذبحن لآلهتهن فغضب الربّ على سليمان لأن قلبه مال عن الربّ إله إسرائيل». وهكذا يزعمون كذباً وبهتاناً أن سليمان مات مغضوباً عليه

من الربِّ، عابدا للأوثان. وحاشاه من ذلك وإنما هي افتراءات أحبار يهود الذين سبّوا داود وسليمان واتهموهما بكل نقيصة لأنهما ضما إلى حاشيتهما جميع الأمم ودعوهم إلى الله فأمنوا، فغضب أحبار يهود الذين أرادوا أن يكون الأمر لهم وحدهم فاشتطوا في سبِّ داود وسليمان عليهما السلام

ثم ينتقل البوصيري إلى النظم فيقول موبخا لليهود بما زعموه من أنهم سمعوا كلام الله مباشرة: (وقد رأينا أنهم زعموا كذلك أن السبعين رأوه بأعينهم وأكلوا وشربوا عنده)، كما أنهم كانوا يضربون بالأبواق بصوت عالٍ حتى يسمعهم. ثم تحدث عن ندم الرب لخلقه آدم والبشر، وندمه على خلق قوم نوح، ثم قراره أن يغرق الأرض، ثم ندم بعد ذلك على إغراق الأرض .

وَيَأْنَهُمْ سَمِعُوا كَلَامَ إِلَهِهِمْ	وَسَبَّيْلَهُمْ أَنْ يَسْمَعُوا الْمُنْقُولَا
وَيَأْنَهُمْ ضَرَبُوا لِيَسْمَعَ رَبُّهُمْ	فِي الْحَرْبِ بَوَاقَاتِ لَهُ وَطَبُّوَلَا
وَيَأْنُ رَبِّ الْعَالَمِينَ بَدَا لَهُ	فِي خَلْقِ آدَمَ يَا لَهُ تَجْهِيَلَا
وَبَدَا لَهُ فِي قَوْمِ نُوحٍ وَأَنْتَنِي	أَسْفَا يَعْضُ بِنَاتِهِ مَذْهُولَا

ويعلق البوصيري على ذلك نشرًا فيقول: «وفيها (أي التوراه) أن جميع بني إسرائيل سمعوا كلام الله بلا واسطة كما سمعه موسى، فأبي فضيلة لموسى عليهم في ذلك». وهم قالوا: أشد من ذلك وهو أن السبعين من شيوخ إسرائيل رأوا الله جهرًا وسمعونا كلامه وأكلوا وشربوا عنده، وقد تقدم نصه .

وقال البوصيري: «ومما نسبوه إلى التوراة أن الله أمرهم أن يضربوا البوق في عسكرهم قليلا قليلا حتى يلقوا عدوهم فحينئذ

يضربون به بأشد ما يقدرون عليه لئسمعهم الله تعالى فيؤيدهم على عدوهم، كأن الله - تقدس وتعالى - إنسان سبحانه وتعالى عن قولهم».

وقد أوردنا ما جاء في كتب العهد القديم (التوراة والأنبياء) من أن الله يحضر معهم المعارك ويجلس رب الجنود في التابوت ليهب لهم النصر، ولكنه كما مرر معنا وقع بنفسه في الأسر بيد الفلسطينيين وبقي أسيرا عندهم في أشدود (قطاع غزة) لمدة سبعة أشهر حتى ضربهم بالبواسير وانتشار الفئران، فأعادوه إلى بني إسرائيل .

ندم الرب - حسب زعمهم - وإيادة الحياة من على الأرض في زمن نوح عليه السلام

قال البوصيري :

«ومما ترجموه فيها : أن الله تعالى ندم على خلق آدم، وخاف أن يأكل من شجرة الحياة، فيكون إلها مثله، ولذلك أخرجه من الجنة . وفيها : «ورأى أن كثرَ فساد الأدميين في الأرض فندم على خلقهم، فقال : سأذهبُ الأدمي الذي خلقتُ على الأرض والحشائش وطير السماء، لأنني نادم على خلقهم جداً» وفيما ذكر ندمه على ما فعل قوم نوح بلفظ أبشع من هذا في الباري سبحانه وتعالى، وأشد استحالة» .

التعليق والشرح :

تصور التوراة المحرفة وبقية أسفار العهد القديم الرب سبحانه وتعالى بأنه شخص كثير الندم، ليس له رأي واحد يستقر عليه، بل يغير رأيه عدة مرات في القضية الواحدة. ومن ذلك ما جاء في قصة آدم وندم الله على خلقه بعد أن أكل من شجرة المعرفة، وخوف الله (تعالى)

الله عن ذلك علوا كبيرا) من أن يأكل أيضاً من شجر الحياة، ويتحول آدم بالتالى إلى إله منافس للآلهة!!

وقد سبق استعراض ما ورد في التوراة في قضية آدم عليه السلام فلا داعى للإعادة .

وأما قصة قوم نوح فقد جاء في سفر التكوين استعراضها ونقتطف منها بعض المقاطع، ففي سفر التكوين (١/٦-٤) «وحدث لما ابتدأ الناس يكثررون على الأرض وولد لهم بنات أن أبناء الله رأوا بنات الناس أنهن حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا. فقال الرب: لا يدين روحي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر وتكون أيامه مائة وعشرين سنة. كان في الأرض طغاة تلك الأيام. وبعد ذلك أيضا إذ دخل بنو الله على بنات الناس وولدن لهم أولادا. هؤلاء هم الجبابرة الذين منذ الدهر ذوو اسم» .

وقد تعب شراح الكتاب المقدس في مفهوم أبناء الله وبنات الناس، فمنهم من قال: إنهم الملائكة وأن بنات الناس هم البشر. وهو يمثل ما هو عند اليونان حيث يتزوج الآلهة من جبال الأولب بالنساء من البشر فيولد لهم الجبابرة ، ومنهم بروميثوس سارق النار المقدسة كما أن منهم هيركليوس الذي صارع النسر الذي أرسله زيوس لنهش كبدي بروميثوس، وصرعه، ذلك لأن هيركليوس هو ابن كبير الآلهة زيوس من زناه بإحدى النساء من البشر حسب خرافاتهم وزعمهم. ونسل الآلهة من زواجهم مع البشر يسمون التيتانيك Titanic أى المردة ويتميزون بالقوة الخارقة بالنسبة للبشر .

وأما رجال التلمود من أحبار اليهود فيقولون : إن أبناء الله هم أبناء آدم وحواء، ذلك لأن روح الله كانت في آدم ، وآدم بالتالى ابن الله على

الحقيقة والمجاز، وكذلك كانت روح الله في حواء. ولذا كان أبناء وبنات حواء وآدم يسمون أبناء الله لأن فيهم جزءاً من روح الله. وزعموا كذباً أن آدم زنى بجنية تُسمى ليليت، وكانت عشيقته لأكثر من مائة عام، فأنجب منها أبناءً وبنات. وكذلك قامت حواء بخيانة زوجها وكان لها عشاق من الجن وانجبت منهم أبناء أو بنات. «فلما رأى بنو الله (أى أبناء آدم وحواء) أن بنات الناس حسنات فاتخذوا لأنفسهم نساء من كل ما اختاروا» وأدى ذلك إلى ولادة الجبابرة الذين هم منذ الدهر ذوو اسم كما تسميهم التوراة المحرفة. «وقال الرب لا يدين روعي في الإنسان إلى الأبد، لزيغانه هو بشر» فقرر الرب أن لا تبقى روحه في هذا الهجين الجديد المكون من أبناء الله وبنات الناس الذين خلقوا من تزواج آدم وزناه بالجنية ليليت، وزنا حواء مع الجن، حسب أكاذيبهم وزعمهم الفاسد .

«ورأى الرب أن شرَّ الإنسان قد كثر في الأرض، وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم. فحزن الرب أنه عمل الانسان في الأرض. وتأسف في قلبه. فقال الرب: أمحو عن وجه الأرض الانسان الذي خلقتة. الانسان مع بهائم ودبابات وطيور السماء لأنني حزنت أني عملتهم. وأما نوح فوجد نعمة في عيني الرب» (تكوين ٦/٥-٨) ولا تذكر التوراة سبباً لرضى الرب عن نوح .. ولعله كان من أبناء الله ولم يتزوج من بنات الناس. ولعله قدم قرابين اللحم المشوى الذي يحبه الرب حسب زعمهم حباً جما. ولكنه لم يدعو قومه لعبادة الله، ولم ينه عن الشر الذي كان فيهم. المهم أن الرب أمره أن يبني الفلك (السفينة) ثم أمره أن يدخل هو وزوجته وبنوه الثلاثة وزوجاتهم مع زوجين من كل بهيمة وحيوان وطائر على الأرض. وجاء الطوفان. وأغرق الله الأرض بمن فيها. وبعد عام توقف المطر ورسست السفينة على جبل أراارات

(على الجودي في القرآن) «وينى نوح مذبحاً للرب وأصعد محرقات على المذبح فتنسم الرب رائحة الرضا. وقال الرب في قلبه: لا أعود ألعن الأرض أيضاً من أجل الإنسان لأن تصور قلب الإنسان شرير منذ حداثته. ولا أعود أيضاً أميت كل حي كما فعلت. مدة كل أيام الأرض زرع وحصاد ويرد وحرّ وصيف وشتاء، ونهار وليل لا تزال، (سفر التكوين ٨/٢٠-٢٣) .

ووضع الله ميثاقه مع نوح «وقال الله : هذه علامة الميثاق الذي أنا واضعه بيني وبينكم وبين كل ذوات الأنفس الحيّة التي معكم إلى أجيال الدهر. وضعت قوسي في السحاب فتكون علامة ميثاق. بيني وبين الأرض. فيكون متى أنشر سحاباً على الأرض وتظهر القوس في السحاب أنني أذكر ميثاقي الذي بيني وبينكم وبين كل نفس حيّة في كل جسد. فلا تكون أيضاً المياه طوفاناً لتهلك كل ذي جسد. فمتى كانت القوس في السحاب أبصرها لأذكر ميثاقاً أبدياً بين الله وبين كل نفس حيّة في كل جسد على الأرض. وقال الله لنوح: هذه علامة الميثاق الذي أنا أقمته بيني وبين كل ذي جسد على الأرض» (التكوين ٩/١٢-١٧) .

وهكذا ندم الربُّ - حسب زعمهم - عندما خلق الإنسان ، وحزن وتأسف في قلبه كما تزعم التوراة المحرفة ثم ندم وحزن عندما أغرق الأرض بالطوفان، ووضع عهداً مع نوح وبنيه وكل ذي روح على الأرض أن لا يفرق الأرض بطوفان آخر. وبما أن الله كثير النسيان حسب زعمهم، فإنه وضع علامة يتذكر بها هذا العهد والميثاق. ووضع الله قوسه في السحاب (قوس قزح) فإذا رأى القوس تذكر أنه يجب عليه أن يحافظ على العهد ولا ينقض الميثاق، فيجعل الأرض تفرق بطوفان جديد. والغريب حقاً أن قوس قزح لا يظهر غالباً إلا بعد انتهاء المطر

فكيف يستفيد الربُّ من هذا القوس الذي وضعه في السحاب لكي يذكره بعهدته؟ وأي إله هذا الذي ينسى عهده ويحتاج إلى من يذكره به؟ إنها صورة قميئة لرب العالمين ترسمها هذه التوراة المحرفة التي كتبها أحيار يهود وافتروها على الله افتراء ﴿فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾ [البقرة : ٧٩] .

ثم ينتقل البوصيري إلى الشعر قائلا :

وَبَانَ إِبرَاهِيمَ حَـاَوِلَ أَكَلَهُ خُبْزًا وَرَامَ لِرِجْلِهِ تَغْسِيلا
وَبَانَ أَمَـوَالَ الطَّوَائِفِ حُلَّتْ لَهُم رِيَا وَخِيَانَةٌ وَغُلُولَا

الشرح والتعليق: ظهور الربِّ لإبراهيم عليه السلام حسب زعمهم: جاء في سفر التكوين ١٨/١-٥ «وظهر له (أي إبراهيم) الربُّ عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرِّ النهار، فرفع عينيه، ونظر وإذا ثلاثة رجال واقفون لديه. فلما نظر ركض لاستقبالهم من باب الخيمة وسجد إلى الأرض . وقال : يا سيِّد إن كنتُ وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك. ليؤخذ قليل ماء واغسلوا أرجلكم واتكئوا تحت الشجرة، فأخذ كسرة خبز فتسندون قلوبكم، ثم تجتازون لأنكم قد مررتم على عبدكم. فقالوا : هكذا تفعل كما تكلمت».

وهذه قطعة عسيرة على الفهم. وتبدأ بأن الربُّ قد ظهر لإبراهيم عند بلوطات ممرا، ثم يتحول هذا الرب فجأة إلى ثلاثة رجال.. وخاطبهم إبراهيم بالمفرد قائلا : «ياسيد إن كنتُ وجدتُ نعمة في عينيك فلا تتجاوز عبدك» وهو كلام واضح بأنه يخاطب الرب - حسب زعمهم الكاذب - ثم انتقل إلى مخاطبة الثلاثة وطلب منهم أن يغسلوا أرجلهم ويرتاحوا ويأتي لهم بالطعام بالفعل قام إبراهيم باعداد الطعام وأخذ عجلا رخصا وجيدا، وأعطاه للغلام، فأسرع

ليعمله، ووقف أمامهم حتى أكلوا وشبعوا. ثم بشره بأن سارة ستحبل في شيخوختها. وأخبروه أنهم سيهلكون قوم لوط. فتقدم إبراهيم وقال (للرب حسب زعمهم) : «أفتهلك البارَّ مع الأثيم. وأخذ يجادله : «أفتهلك المكان ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًّا الذين فيه. حاشا لك أن تفعل ذلك .. أن تميت البار مع الأثيم .. فقال الربُّ : إن وجدتُ في سدوم خمسين بارا في المدينة فاني أصفح عن المكان كله من أجلهم. فأجاب إبراهيم وقال : إني قد شرعت أكلّمُ المولى، وأنا تراب ورماد.. ربما نقص الخمسون بارًا خمسه.. وهكذا استمر إنقاص العدد حتى وصل إلى عشرة فقال الرب : لا أهلك من أجل العشرة. وذهب الربُّ عندما فرغ من الكلام مع إبراهيم ورجع إبراهيم مكانه، سفر التكوين (الإصحاح ١٨/٦-٣٣) .

وقام البوصيري بالتعليق على ذلك نثرا فقال :

«وفيهما أن إبراهيم كان يوماً قاعداً عند باب فسطاط الله تعالى، وأبصر ثلاثة رجال واقفين منه على مقربة، فخر إليهم ساجداً، وقال : يا هذا إن كنت راضياً عني فلا يحلف عندك حتى أسوق ما تغسلون به أرجلكم وتستقبلون حتى هذه الشجرة، وأقدم إليكم كسرة تقوّمون بها قلوبكم، وبعد هذا تذهبون . زعموا أن إبراهيم إنما دعا الثلاثة باسم الواحد، علماً بأنه الله سبحانه وتعالى، وجوّزوا على إبراهيم ﷺ أن يطعم الله خبزاً، ليقوي بها قلبه، ويغسل رجليه، تعالى وتقدس عن ذلك علواً كبيراً. وجعلت النصارى ذلك دليلاً على أن الثلاثة واحد، وهم الذين ذكرهم في القرآن بقوله تعالى وتقدس ﴿ هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴾ (٢٤) ﴿ [الذاريات : ٢٤].

سرقة اليهود لأموال وذهب المصريين بأمر الرب - حسب زعمهم :

قال البوصيري :

تزعم اليهود أن موسى ﷺ أمرهم أن يأخذوا أموال خزائهم من أهل مصر على سبيل الفدية، ثم قال لهم : يقول لكم اهربوا بها ففعلوا، وقالوا : هي أجرة سُخرتنا مع فرعون وليست أجرتهم على الضعفاء والمساكين والعامّة، إنما أجرتهم على فرعون الذي استخدمهم. وفي التوراة : «فلا تَزَنْ لأجل أن يباركك الرب إلهك». وفيها «لا تسرقوا ولا تكذبوا ولا يفجر المرء بأخيه» فتأولوا إزاء اليهود خاصة دون سائر بني آدم، وقد أخبر الله تعالى عنهم بذلك فقال : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيْنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ومن أقوالهم : «احفظ سبيلك، واصنع ما شئت». انتهى كلام البوصيري .

وقد أوردها البوصيري نظماً، فقال :

وبأن أموال الطوائف حُللتْ لهمُ رِباً وخِيانةٌ وغُلولا
وهو أمر عجيب، ولكن اليهود لا يتورعون عن شيء. وقد جاء في سفر الخروج (الإصحاح ١٢/٢٥-٢٦) «وفعل بنو إسرائيل بحسب قول موسى : طلبوا من المصريين أمتعة فضة وأمتعة ذهب وثيابا. وأعطى الربُ نعمةً للشعب في عيون المصريين حتى أعاروهم فسلبوا المصريين». وهكذا زعموا أن الربَّ قد أمرهم بسرقة المصريين، وساعدهم على تلك السرقة بأن أعطى الرب نعمةً للشعب في عيون المصريين، حتى يقبلوا أن يعيروهم الذهب والفضة والثياب الفاخرة، ليحتفلوا بعيدهم. وزعموا أن موسى أمرهم بذلك وأن الربَّ قد طلب من موسى أن

يبلغهم بقرار سرقة المصريين بأمر الربّ تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا . قال الربّ لموسى كما جاء في سفر الخروج (الإصحاح ٢/١١-٣) : «تكلّم في مسامع الشعب أن يطلب كل رجل من صاحبه (أي من المصريين) وكل امرأة من صاحبها (أي من المصريات) أمتعة فضة وأمتعة ذهب . وأعطى الربّ نعمة للشعب في عيون المصريين . وأيضا الرجل موسى كان عظيما جدا في أرض مصر في عيون عبيد فرعون وعيون الشعب» وذلك بعد أن أظهر العديد من المعجزات الباهرات .. وهكذا تمت سرقة المصريين بأمر الربّ حسب زعمهم .

وعندما أنزل الله على موسى اللوحين وفيهما الوصايا العشر وأولها وأهمها عبادة الله وحده وأن لا يشرك به شيئا . «أنا الرب الهك الذي أخرجك من بيت العبودية أرض مصر . لا يكن لك آلهة أخرى . لا تصنع لك تمثالا منحوتا ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الأرض من تحت وما في الماء من تحت الأرض لا تسجد لهن» وينقضها بعد ذلك بأن يأمر موسى بأن يصنع في خيمة الربّ وعلى التابوت صورة الملائكة الكروبيم ولهن أجنحة ويجعلها من الذهب الخاص، ويصور الحية من النحاس .. وهكذا يتم التناقض .

ثم إن الوصايا الأخرى : «لا تقتل، لا تزني، لا تسرق ، لا تشهد على قريبك شهادة زور، لا تشته بيت قريبك، لا تشته امرأة قريبك» .. كلها حولها أحبار بني إسرائيل إلي «لا تقتل أخاك اليهودي ، لا تسرق أخاك اليهودي» وهكذا ..

«لأخيك لا تقرض بربا .. للأجنبي لا تقرض إلا بالربا» وكفى بذلك ظلما وعدوانا وافتراء على الله . وإليك نص ما جاء في سفر التثنية (الإصحاح ٢٣/١٩-٢٠) : «لا تقرض أخاك بربا ربا فضة، أو ربا طعام،

أو ربا شيء مما يقرض برياً . للأجنبي تقرض برياً، ولكن لأخيك لا تقرض برياً، لكي يباركك الربُّ إلهك في كل ما تمتد إليه يدك في الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها» .

ثم قال البوصيري نظماً :

ويأنهم لم يخرجوا من أرضهم	فكانهم حسبوا الخروج دخولا
وحديثهم في الأنبياء فلا تسل	عنه وخل غطاءه مسندولا
لم ينتهوا عن قذف داود ولا	لوط فكيف بقذفهم زويلا
وعزوا إلى يعقوب من أولاده	ذكراً من الفعل القبيح مهولا
وإلى المسيح وأمه وكفى بها	صديقة حملت به ويتولا
ولن تعلق بالصليب بزعمهم	لعمنا يعود عليهم مكفولا

وقال معلقاً على هذه الآيات وشارحاً لها باختصار .

« ١- وفيها أن بني إسرائيل يمكثون في الأرض المقدسة إلى الانقراض، وإخراجهم منها دليل كذبهم على الله تعالى في كتبه .

٢- ترجموا في التوراة التي بأيديهم الآن من قذف الأنبياء الكرام الذين اصطفاهم الله تعالى ما لا يجوز ذكره ولا التتويه به، وذلك مما يدلُّ على كذبهم، فإن الله تعالى حيٌّ كريم، عصم أنبياءه، لا يذكر عنهم الفواحش في كتبه التي تقرأ على ممر الأزمان، تعالى الله وتقدس وتنزه عن ذلك علواً كبيراً .

٣- ومما يدل على كذبهم أنهم كتبوا في التوراة «ملعون ابن ملعون من تعلق بالصليب» تمهيداً لعذرهم بزعمهم أنهم صلبوا المسيح، وأنه ليس المسيح الذي شهدت به، وكذلك النصارى نسبوا إلى كتاب

عاموص النبي : إذا سُمِّرَ في ثلاثة أعواد، سر في الأرض. فقال صهيون (عبد لبدران الناموسي)، ونصب عليها علم الخلائق، حينئذ يتلف بني إسرائيل بالخزي والجوع». وكلام النصرارى في ذلك ضد كلام اليهود، وكلاهما باطل في حديث الصلب الذي ضلوا فيه بالشبه». انتهى كلام البوصيري .

قلتُ :

١- وقد أخرجهم الله من الأرض المقدسة مرات وأخرها على يد طيطس الإمبراطور الروماني سنة ٧٠ بعد الميلاد ولم يعودوا إليها إلا في القرن العشرين بتأمر الدول الغربية (أوربا والولايات المتحدة) وأقاموا دولة إسرائيل التي ستزول بإذن الله كما زالت سابقاتها .

٢- قذف الأنبياء الكرام عليهم السلام :

لقد قذف بنو إسرائيل في توراتهم المحرفة أنبياء الله، ووصفهم بكل نقيصة، وحاشا لأنبياء الله الكرام أن يكونوا كذبة ولصوصاً ومخادعين وزناة، كما تصفهم التوراة المحرّفة التي وضعها أخبار بني إسرائيل ، ليسوّغوا لأنفسهم الكذب والسرقة والمخادعة والمخاتلة والجبن وسرقة الآخرين، ومقارفة الفواحش ما ظهر منها وما بطن.

وقد تعفّف البوصيري رحمه الله تعالى عن أن ينقل ما جاء في كتبهم من هذا الفحش والغتاء والسبّ لأنبياء الله تعالى ورسله .

ولكن ناقل الكفر ليس بكافر. وسننقل بعض ما جاء في توراتهم وأسفارهم المقدسة التي يزعمون كذباً وبهتاناً أنها من الله سبحانه وتعالى .

نوح عليه السلام : قد وردت قصة نوح عليه السلام في سفر التكوين من التوراة

المحرفة ورغم أن التوراة ذكرت أن نوحا وجد نعمة في عيني الرب، إلا أنها لم تذكر أنه أنذر قومه ودعاهم إلى عبادة الله الواحد الأحد. بل كل ما تذكره عنه أنه قدّم محرقات (اللحم المشوي الذي يحبه الرب حسب زعمهم) فرضي عنه.

وبعد أن أغرق الله الأرض، قام نوح بزراعة الأرض «وابتدا نوح العمل على الأرض وغرس كرما. وشرب من الخمر فسكر وتعرّى داخل خبائه. فأبصر حام (ابن نوح) أبو كنعان عورة أبيه. وأخبر أخويه خارجا (أى خارج الخباء) فأخذ سام ويافت الرداء ووضعاه على أكتافهما. ومشيا إلي الوراء وسترا عورة أبيهما، ووجهاهما إلى الوراء، فلم يبصرا عورة أبيهما. فلما استيقظ نوح من خمره، علم ما فعل به ابنه الصغير فقال : ملعون كنعان. عبد العبيد يكون لإخوته.. مبارك الرب إله سام، وليكن كنعان عبدا لهم... ليفتح الله ليافت فيسكن في مساكن سام وليكن كنعان عبدا لهم». (سفر التكوين الإصحاح ٩/٢٧٢٠).

وهو أمر في منتهى الغرابة إذ اللعنة جاءت على كنعان ابن حام. وكنعان لا علاقة له بالقضية إلا أن الكنعانيين كانوا يسكنون فلسطين فأراد اليهود أن يأخذوا بلادهم فألفوا هذه القصة الحقيرة التافهة. ثم يزعمون أن الله جعل حام أسود اللون. وكل سكان إفريقيا من نسله، ولذا يجوز استعبادهم لأن الله أمر بذلك. وقد فرح بذلك العنصريون من البيض. وكانت سياسة جنوب إفريقيا العنصرية البغيضة تقوم على هذا التفسير الظالم والكاذب لهذه القصة المختلفة. ومثلها ما حدث في روديسيا (زيمبابوى) .. ومثلها تجارة العبيد الفظيعة والرهيبة التي قام بها الرجل الأوربي حيث أخذ من غرب إفريقيا خاصة إلى

الأمريكتين على مدى قرنين من الزمن أكثر من مائة مليون إفريقي، مات معظمهم في المناجم والثورات والتعذيب والأمراض.. وهذا هو الرجل الأبيض الذي يتشدد باسم حقوق الانسان، وقد كان تاريخه أسوأ تاريخ لحقوق الانسان وقتل الملايين في كل أصقاع الأرض واستعبدهم بناء على النظرات العنصرية التي أوجدها يهود في توراتهم المحرّفة .

وأما اليهود فهم إلى اليوم يعاملون الفلسطينين أسوأ معاملة، بل وأسوأ من معاملة البيض للأفارقة في جنوب إفريقيا، كما يقول الرئيس الأسبق للولايات المتحدة كارتر، والذي أثار ضجة كبرى بنشره كتابا يفضح فيه سياسة إسرائيل العنصرية البغيضة .
إبراهيم عليه السلام :

لا تذكر التوراة المحرفة شيئا عن دعوة إبراهيم قومه وأباه لعبادة الله الواحد الأحد ولا مجادلته معهم، ولا تحطيمه للأوثان إلا كبيرا لهم، ولا ما فعلوه به من إلقاءه في النار ولكنها تتحدث فقط عن إبراهيم الذي وجد نعمة في عيني الرب لأنه قدّم اللحم المشوي اللذيذ الذي يحبّه الرب حسب زعمهم - وقال الرب لإبرام: اذهب من أرضك ومن عشيرتك ومن بيت أبيك إلى الأرض التي أريك فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظم اسمك وتكون بركة» (سفر التكوين الإصحاح ١٢) .

وخرج إبراهيم من حاران (في سوريا) إلى أرض كنعان هو وزوجته ساراي وابن أخيه لوط بن هاران مع جميع ما لديهم من أغنام وأبقار ومقتنيات وعبيد. ونزل في شكيم (مدينة نابلس الحالية). وظهر الرب لإبرام، وقال : لنسلك أعطي هذه الأرض فبنى مذبحا للرب وقدم

اللحم المشوي اللذيذ الذي يحبُّه الرب حسب زعمهم. وكان إبراهيم ابن خمسة وسبعين سنة لما خرج من حاران.

وتزوج إبراهيم حسب زعمهم من أخته من أبيه سارة. ورغم أنها كانت عاقراً وعجوزاً إلا أنها حسب التوراة المحرفة كانت جميلة جداً. «وقد حدث جوع في الأرض فأنحدر إبرام إلى مصر.. وقال لساراي امرأته (التي قاربت التسعين عاماً) اني اعلم أنك امرأة حسنة المنظر فيكون إذا رآك المصريون أنهم يقولون هذه امرأته فيقتلونني ويستبقونك. قولي انك اختي ليكون لي خير بسببك وتحيا نفسي». وبالفعل أعجب المصريون بهذه الفاتنة التي بلغت من العمر عُتياً. «فأخذت المرأة إلى بيت فرعون فصنَّع إلى إبرام خير بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وإماء وإتن وجمال». (التكوين ١٢/١٠-١٦).

وهكذا تزعم هذه التوراة المحرفة أن إبراهيم تزوج أخته، ثم قدَّمها لفرعون مصر حتى يصير له خير بسببها. وصار له غنم وبقر وحمير وعبيد.. «وكان إبرام غنياً جداً في المواشي والفضة والذهب» بعد أن عرض زوجته لفرعون حسب زعمهم واشتغل ديوثاً ليكون له خير بسببها!! ألا لعنة الله على يهود.

وبعد مضي سنين طويلة يحدث جوع آخر ويقدم إبراهيم زوجته سارة لملك الفلسطينيين أبي مالك في منطقة جرار. ولما علم إبيمالك (أبو مالك) في الحلم أن سارة زوجة إبراهيم، قال له معاتباً، ماذا رأيت حتى عملت هذا الشيء (الفضيح وهو أن تقدم امرأتك للملك لكي يزني بها) فقال إبراهيم: وبالحقيقة هي أختي ابنة أبي، غير أنها ليست ابنة أُمي، فصارت لي زوجة» (التكوين ٢٠/١-٢٦).

وما أحقر هذه الصورة التي تعرض عن أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام .
وحاشا لإبراهيم خليل الرحمن أن يتزوج أخته من أبيه، ثم حاشا له أن يعرضها على الملوك ليزنوا بها وليكون له بذلك خيرا كثيرا أموالا، ذهباً وفضة وبقرا وعبيدا وإماء وأراضى .. إلخ .

وهي تصور أساليب أحبار يهود للاستيلاء على الأموال والثروات بواسطة نسائهم وحتى يبرروا لأنفسهم الديانة والخسة والحقارة والدناءة لوئثوا حياة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام بافتراءاتهم القذرة الحقيرة .. ومن غباوتهم أنهم قالوا : إن سارة كانت جميلة جدا وجذابة جدا رغم أنها عجوز قد قربت من التسعين عاما !! وعندما بشرت الملائكة إبراهيم بإسحاق كانت سارة ابنة تسعين سنة بالفعل. «وقال إبراهيم في قلبه : هل يولد لابن مئة سنة؟ وهل تلد سارة وهي بنت تسعين؟» إلا أن هذه العجوز - حسب زعمهم - تسحر عقل ابيمالك ملك جزار كما سحرت من قبل بجمالها الفتان عقل وقلب فرعون مصر. وسارة لم تذهب إلى جزار مع إبراهيم إلا بعد ولادة إسحاق وعلى ذلك يكون عمرها فوق التسعين بيقين .. فأى أساطير يكتبها هؤلاء الملاحدة من أحبار يهود .

سارة وإذلالها لهاجر : لقد أذلت سارة هاجر وخاصة بعد أن ولدت إسماعيل فغارت من ذلك غيرة شديدة حسب زعمهم- فقال لها إبراهيم : «هوذا جاريتك في يدك افعلي بها ما يحسن في عينيك» فأذلتها ساراي، فهريت هاجر من وجهها .. فقال لها ملاك الرب : ارجعي إلى مولاتك واخضعي لها» (التكوين الإصحاح ١٥) .

«ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت : اطرده هذه الجارية وابنها لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق.

فَقُبِحَ الكلامُ جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم : لا يقبح في عينيك من أجل الغلام ومن أجل جاريتك. في كل ما تقول لك سارة تسمع لقولها لأن بإسحاق يُدعى لك نسل» (التكوين ١٢-٩/٢١) وهكذا فإن الرب نفسه كما يزعمون يُقر الظلم ويأمر به، ويأمر إبراهيم بأن يسمع لزوجته سارة في ظلّمها لهاجر وابنها اسماعيل : «لأنه بإسحاق يُدعى لك نسل» وأما اسماعيل فلا يعد الوارث الحقيقي لك. وهذا كله من افتراءات يهود وكذب أحبار يهود .

وعندما ختن إبراهيم نفسه وابنه إسماعيل الذي كان عمره ثلاثة عشر سنة قبل أن تحمل سارة بإسحاق. دعا الله أن يحفظ إسماعيل قائلاً لله : «ليت اسماعيل يعيش أمامك. فقال الله : بل سارة تلدُ لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم معه عهدا أبديا لنسله من بعده.. عهدى أقيمه مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية. فلما فرغ من الكلام معه، صعد الله عن إبراهيم» (التكوين ١٧/١٨-٢٢) وهكذا تصور التوراة المحرفة الله جل جلاله بصورة بشرية لإنسان ظالم حقود - تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا - وهي صورة قميئة اخترعها أحبار يهود المجرمون .

إسحاق عليه السلام :

إسحاق يتزوج من رفقه بنت بتوئيل ابن ملكه الذي ولدته لناحور أخي إبراهيم. وقد أوصى إبراهيم رئيس خدمه واستحلفه قبل أن يموت أن يذهب بإسحاق إلى أورا الكلدانيين ويختار له زوجة من هناك. وأن لا يزوجه من الفلسطينيات. فذهب عبده وتعرّف على رفقه وتعرّف على أخيها لابان، وأخبرهم بما أمره به إبراهيم فرحبوا بفكرة

الزواج، وأعطاهم العبد الذهب الكثير والهدايا الفاخرة وأخذ رفقته معه إلى إسحاق في أرض فلسطين. وكان إسحاق ابن أربعين سنة لما اتخذ رفقة زوجة له.. وحملت رفقة بعد فترة من العقم بتوأم هما عيسو ويعقوب. وكان إسحاق ابن ستين سنة لما ولدتهما. (سفر التكوين ٢٤ و ٢٥).

«وحدث جوع في الأرض فذهب إسحاق إلى إبيمالك ملك الفلسطينيين إلى جرار» (يبدو أن لقب إبيمالك لكل ملك فلسطيني) وزعم إسحاق أن رفقته اخته «لأنه خاف أن يقول امرأتي.. لعل أهل المكان يقتلونني من أجل رفقته لأنها كانت حسنة المنظر وقدمها إسحاق حسب زعمهم لابي مالك، وبعد مدة رأى ملك الفلسطينيين إسحاق يلعب رفقته امرأته فدعا إسحاق وقال له: إنما هي امرأتك فكيف قلت: هي أختي فقال له إسحاق: لاني قلت لعلي أموت بسببها. فقال إبيمالك: ما هذا الذي صنعت بنا؟ لولا قليل لاضطجع أحد الشعب مع امرأتك فجلبت علينا ذنبا. فأوصى إبيمالك جميع الشعب قائلاً: الذي يمسُّ هذا الرجل أو امرأته يموت» سفر التكوين الإصحاح ٢٦.

وهكذا يزعمون أن إسحاق قدّم امرأته لملك الفلسطينيين لمجرد توهمه أنهم يقتلونه من أجلها. وكان موقف إبيمالك نبيلاً وأعطاه أموالاً كثيرة.

وتنتهي حياة إسحاق بأن يخدعه يعقوب ليأخذ البركة بدلا من أخيه عيسو، ومات إسحاق شبعان إياما بعد أن أكل جديين كاملين سمينين مع كمية وافرة من الخمر لتبارك نفسه ابنه يعقوب. وقد سبق ذكر هذه القصة عند التعرض للحديث عن مصارعة يعقوب للرب.

يعقوب عليه السلام :

تصفه التوراة المحرفة بمجموعة من الأوصاف الحقيرة :

- ١- يخدع خاله لابان ويسرق أغنامه .
- ٢- أخذ البكورية من أخيه عيسو مقابل إدام أحمر .
- ٣- خداعه لأبيه إسحاق بعد أن عمى ليأخذ البركة .
- ٤- خداعه لأخيه عيسو وسجوده له سبع مرات ونفاقه الفاضح مع أن البركة والعهد اللذين أخذهما من أبيه يجعله سيدا على إخوته، ويكونوا جميعا عبيدا له .
- ٥- زواج يعقوب من أختين خلال أسبوع واحد وهما ليتها (ليا) وراحيل ابنتا خاله لابان الذي خدعه وأعطاه ليتها الكبرى السمينه القبيحة بدلا من الصغرى الجميلة راحيل. فلما غضب يعقوب وعاتب خاله. قال له : امكث أسبوعا آخر ونزوجك بالصغرى راحيل مقابل خدمة أخرى لمدة سبع سنوات . وقد دخل على ليا بدون عقد ومكث معها السنين الطوال وأنجب منها بدون عقد زواج.
- ٦- سرقت راحيل تمثال أبيها من الذهب الذي كان يعبد. والمصيبة أن يعقوب حلف بجميع الآلهة الوثنية وباللّه أنه لم يسرق التمثال ولا يعرف عنه شيئا. «إله إبراهيم وآلهة ناحور وآلهة أبيهما يقضون بيننا» (سفر التكوين ٣١/٥٢) .
- ٧- سكنى يعقوب في أرض شكيم واقتراه جريمة قتل بشعة للفلسطينيين بعد خداعهم .

جاء في التوراة المحرّفة سفر التكوين الإصحاح ٣٤ أن دينا ابنة يعقوب زنت مع شكيم بن حمّور الحوي رئيس الأرض. و «تعلقت نفس الفتى حبًا بدينه ابنة يعقوب ، وأحبّ الفتاة ولاطفها . وكلم أباه قائلاً : «خذ لي هذه الصبية زوجة» .

وذهب حمّور إلى يعقوب وخطب ابنته دينا لابنه شكيم قائلاً : شكيم ابني قد تعلقت نفسه بابنتكم ، أعطوه اياها زوجة ، وصاهروننا ، تعطوننا بناتكم وتأخذون لكم بناتا . وتسكنون معنا ، وتكون الأرض قدامكم . اسكنوا واتجروا فيها وتملكوا بها» وعرض عليهم أن يدفع أي مهر من يطلبونه .

«فأجاب بنو يعقوب شكيم وحمورا أباه بمكر وتكلموا» وطلبوا منهم أن يختتوا لأنه لا يجوز لديهم تزويج الأغرل غير المختتن .. فحسن الكلام في عين حمور وابنه واختتن حمور وابنه وكل سكان القرية «فحدث في اليوم الثالث إذ كانوا متوجعين أن ابني يعقوب : شمعون ولاوي ، أخذ كل واحد سيفه وأتوا على المدينة بأمن وقتلا كل ذكر ، وقتلا حمور وشكيم بحد السيف . وأخذوا دينة من بيت شكيم . ثم أتى بنو يعقوب على القتل ونهبوا المدينة لأنهم نجسوا اختهم (بزواجهم منها) . غنمهم وبقرهم وحميرهم وكل ما في المدينة وما في الحقل أخذوه . وسبوا ونهبوا كل ثروتهم ، وكل أطفالهم ونسائهم وكل ما في البيت» سفر التكوين الإصحاح ٣٤ .

فأي حقارة أشد من هذه الحقارة وأي ظلم أشد من هذا الظلم . ومع ذلك فقد قام يعقوب باسترضاء الرب بتقديم اللحم المشوي الذي يحبّه الربُّ جدا . فأنزل الرب خوفه على الفلسطينيين ولم يتحركوا للانتقام من يعقوب وبنيه ..

وتكلم الربُّ مع يعقوب ووضع يعقوب حجرا وسكب عليه سكيبا وصبَّ عليه زيتا ودعا يعقوب المكان الذي فيه تكلم الله بيت إيل» وهكذا استطاع يعقوب وبنوه أن يخدموا شكيم وحمّور وأهل قريته فقتلواهم شرًّا قتلة ، ثم خدعوا الربُّ أيضا بأن قرَّبوا له القرابين، فقام بحمايتهم من أهل فلسطين وأيدَّهم على هذه الفعلة النكراء (الإصحاح ٣٥) .

اتهمهم للوط ﷺ بأنه زنى بابنتيه وهو سكران وحاشاه من ذلك :

بعد أن أهلك الله قوم لوط في سدوم وعمورة نتيجة فسقهم وفجورهم وفعالهم الفاحشة التي لم يعملها أحد من قبلهم قال تعالى :

﴿ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ (٨٠) إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ (٨١) وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَتَطَهَّرُونَ (٨٢) فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ (٨٣) وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ (٨٤) ﴾ [الأعراف : ٨٠-٨٤] وبعد أن طهر الله سبحانه وتعالى الأرض من رجسهم زعمت التوراة المحرفة أن لوطا ﷺ صعد من صوغر وسكن الجبل وابنتاه معه.. «وقالت البكر للصغيرة : أبونا قد شاخ، وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض. هلم نسق أبانا خمرا ونضطجع معه فنحبي من أبنينا نسلا. فسقتنا أباهما خمرا في تلك الليلة، ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها. ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة : اني قد اضطجعت البارحة مع أبي. هلم نسقيه خمرا الليلة أيضا فادخلي فاضطجعي معه، فنحبي من أبنينا نسلا. فسقتنا أباهما خمرا في تلك الليلة أيضا. وقامت الصغرى واضطجعت معه، ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها. فحبلت ابنتا لوط من أبيهما . فولدت

البكر ابنا ودعت اسمه موآب (أي ابن أبي) وهو أبو الموآبيين إلى اليوم. والصغيرة أيضا ولدت ابنا ودعت اسمه بن عمي، وهو أبو العمونيين إلى اليوم». (سفر التكوين الإصحاح ١٩/٣٠-٣٨).

وأي قاذورات ونتانات أشد من هذه القاذورات والنتانات التي يزعمها كتابهم المقدس (التوراة) .. ويتهم فيها كذبا وبهتاننا هذا النبي الكريم بالزنا بابنتيه تحت تأثير الخمر. وأي مستوى منحط من الأخلاق لدى هاتين البنيتين وحاشا أن تكونا كذلك. وانما هي سخائم وحقارات أحبار يهودا الذين زوّروا وكتبوا هذه القاذورات .

أبناء يعقوب وجرائمهم (حسب ما جاء في التوراة):

١- قَتَلُ شَكِيمَ وَحَمُورَ وَأَهْلَ بَيْتِهِ أَجْمَعِينَ وَنَهَبَ قَرِيَّتَهُمْ وَكُلَ مَا فِيهَا، بِحِيلَةٍ قَذْرَةٍ.

٢- رَأَوْبِينَ يَزْنِي بِامْرَأَةِ أَبِيهِ (بلهه) :

جاء في سفر التكوين الإصحاح (٢١/٢٢-٢٣) «وحدث إذ كان إسرائيل (يعقوب) ساكنا في تلك الأرض أن رأوبين - بكر يعقوب - ذهب واضطجع مع بلهة سرية أبيه، وسمع إسرائيل» ولكنه لم يفعل شيئا بل الغريب حقا أنهم زعموا أنه بارك رأوبين بعد فعلته الشنعاء، تلك قاتلا له : «رأوبين أنت بكرى، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة وفضل العز خائرا كالماء ، لا تتفضل، لأنك صعدت على مضجع أبيك. حينئذ دنسته ، على فراش صعد» سفر التكوين (الإصحاح ٤٩/٣-٤) .

٣- يهوذا يزني بكنته ثمارا زوجة ابنه عير :

يزعم سفر التكوين أن يهوذا ابن يعقوب عليه السلام قد زني بزوجة ابنه

ثامارا . مع العلم أن يهوذا يعتبر من أفضل أبناء يعقوب عندهم . وهو جد داود وجد المسيح كما يزعمون .

جاء في سفر التكوين (الإصحاح ٦/٣٨-٢٧) أن الله أمات عير بن يهوذا لأنه كان شريرا فقال يهوذا لابنه الثاني أونان : ادخل على امرأة أخيك وتزوج بها وأقم نسلا لأخيك . فدخل عليها أونان ولكنه استعمل العزل حتى لا يكون النسل لأخيه فأماته الرب أيضا!! وقال يهوذا لثامارا كته أقعدي أرملة في بيت أبيك حتى يكبر شيلة ابني.. فلما كبر شيله لم يزوجها منه، فصعدت ثامارا إلى طريق تمنه وتعرضت ليهوذا الذي ذهب ليجز غنمه فتغطت ببرقع فظنها زانية فواقعها، وأخذت منه رهنا خاتمه وعصابته وعصاه . فحملت من ذلك الزنا، فلما علم يهوذا أنها حامل قال يهوذا : أخرجوها فتحرق!! فقالت له : من الرجل الذي هذه له أنا حبلى .. حقق لمن الخاتم والعصابة والعصا هذه . فتحققها يهوذا وعرف جريمته فقال : هي أبر منى لاني لم أعطيها لشيله ابني» .

وولدت ثامارا من هذا الزنا فارص وزارح . وتحدر من فارص، ولد الزني، الملك داود ومن داود يسوع المسيح حسب زعمهم .

يعقوب يصف أولاده عند احتضاره حسب زعمهم :

جاء في سفر التكوين الإصحاح ١/٤٩ «ودعا يعقوب بنيه وقال اجتمعوا لأنبئكم بما يصيبكم في آخر الأيام ... رأوبين أنت بكري، قوتي وأول قدرتي، فضل الرفعة فضل العز، فاترا كالماء، لا تتفضل ، لأنك صعدت على مضجع أبيك . حينئذ دنسته . على فراشٍ صعد . شمعون ولاوي اخوان . الآت ظلم سيوفهما . في مجلسهما لا تدخل

نفسى، بمجمعهما لا تتحد كرامتى، لأنهما في غضبهما قتلا إنسانا وفي رضاها عقريا ثورا. ملعون غضبهما فإنه شديد وسخطهما فانه قاس. أقسمهما في يعقوب وأفرقهما في إسرائيل. يهوذا اياك يحمد اخوتك. يدك على قفا أعدائك. يسجد لك بنو أبيك. يهوذا جرو أسد. من فريسه صعدت يا ابني، جثا وركض كأسد وكلبوه. من ينهضه. لا يزول قضيب من يهوذا ومشترع من بين رجله حتى يأتي شيلون ، وله يكون خضوع شعوب.. (كل هذا المدح للزاني بكنته) زبولون عند ساحل البحر يسكن وهو عند ساحل السفن وجانبه عند صيدون. يساكر (اسم أحد أبنائه) حمار جسيم رابض بين الحظائر... وصار للجزية عبدا. دان يدين شعبه كأحد أسباط إسرائيل . يكون دان حية على الطريق، افعوانا على السبيل، يلسع عقبي الفرس فيسقط راكبه إلى الوراء. لخلاصك انتظرت يارب (يشكو من الحيه والثعبان دان). جاد: يزحمه جيش ولكنه يزحم مؤخره. أشير: خبزه سمين وهو يعطي لذات ملوك. نفتالي أيلة مسيبه يعطي أقوالا حسنة . يوسف غصن شجرة مثمرة... من إله أبيك الذي يعينك ومن القادر على كل شيء الذي يباركك... بنيامين ذئب يفترس . يأكل غنيمة في الصباح وعند المساء يقسمُ نهبا .

هذه وصية يعقوب لابنائهُ الاثني عشر. وهي على نقيض وصيته التي جاءت في القرآن الكريم قال تعالى : ﴿ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ (١٣٢) أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتَ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (١٣٣) ﴾ [البقرة : ١٣٢ - ١٣٣] .

اتهام داود عليه السلام بالزنا بحليلة جاره ثم تدبير مكيدة لقتل زوجها :

لقد وصفت الأسفار التي كتبها أحبار بني إسرائيل داود عليه السلام بكل نقيصه. وصوروه بأنه كاذب ومخادع وجبان وفي الوقت نفسه عند انتصاره يقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة ويفرمهم بنوارج من حديد، ويحرقهم في الاتون، ولم يتركوا جريمة من جرائم القتل والكذب والخداع والظلم إلا وألصقوها به. ولم يكتفوا بذلك كله بل اتهموه ظلما وعدوانا بأنه زنى بحليلة جاره وقائد جيشه أوريا الحثي، ثم دبر مكيدة لقتله.. جاء في سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١/٢-٥ «وكان في وقت المساء أن داود قام وتمشَّى على سطح بيت الملك، فرأى من على السطح امرأة تستحم، وكانت المرأة جميلة المنظر جدا. فأرسل داود رسلا وأخذها فدخلت عليه، واضطجع معها، وهي مطهرة من طمئتها. ثم رجعت إلى بيتها وحبلت المرأة فأرسلت إلى داود أنها حبلت». ولما كانت المرأة متزوجة من أحد قواده (أوريا الحثي) أرسل داود يطلب أن يأتي إليه أوريا ليتشاور معه في أمور الحرب، وأمره داود أن يذهب إلى بيته وأهله، فرفض الرجل باعتبار جنوده في المعركة، ولا يصح منه أن يتركهم في ذلك الوضع ويذهب هو ويرتاح في بيته ويغشى امرأته. فلما رأى داود اصراره على ذلك كتب معه خطابا إلى القائد الأعلى للجيش يوآب، قائلاً له : «اجعلوا أوريا في وجه الحرب الشديدة، وارجعوا من ورائه فيضرب ويموت» سفر صموئيل الثاني الإصحاح ١١. ولما كان أوريا شجاعا مقداما أمره القائد بأن يدخل مع كوكبة من الجنود والفرسان وسط العدو فلما فعلوا ذلك انسحب الجنود وتركوه يُقتل بيد الأعداء ، حسب أوامر داود بزعمهم الكاذب .

« فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجلها ندمت بعلمها . ولما مضت المناحة أرسل داود وضماها إلي بيته ، وصارت له امرأة وولدت له ابنا « هو سليمان وهكذا يتهمون داود عليه السلام بفعل الفاحشة وتديير جريمة قتل ، ويتهمون سليمان بأنه زنا ، عليهم لعائن الله المتتابعة .

أمنون بن داود يزني بأخته ثامار وأبشالوم ينتقم فيزني بنساء أبيه :

جاء في سفر صموئيل الثاني (الإصحاح ١٣-١٦) أن أمنون ابن داود أحب أخته من أبيه ثامار حُبًا شديدًا ، فسأل أمنون حكيم إسرائيل وصديق والده يوناداب بن شمعي (يقولون أنه أيضا أحد أخوة داود) ماذا يفعل في حُبِّ أخته ثامار (شقيقه أبشالوم) فقال له عمّه الحكيم : اضطجع على سريرك وتمارض . وإذا جاء أبوك ليراك فقل له : دع ثامار أختي تأتي وتطعمني لأكل من يدها . فذهبت ثامار إلى أخيها وعملت كعكا أمامه ثم اتته بالطعام إلى المخدع فقال لها : تعالي اضطجعي معي يا أختي . وقالت له : لا تعمل هذه القباحة ولكن كلم الملك (داود أبك) لأنه لا يمنعني منك (أى يزوجها إياه) ولكن أمنون اضطجع معها . ثم أبغضها أمنون بغضة شديدة مكان تلك المحبة الشديدة . فقالت له : طردك إياى هو أعظم من الآخر الذى عملته فاشتكت ذلك إلى شقيقها أبشالوم .

وانتقم أبشالوم من أبيه وخاصة بعد أن قامت الحرب بينهما . وقام أبشالوم وضاجع عشرا من نساء أبيه أمام بني إسرائيل ، حيث نصبوا له خيمة على السطح فضاجعهن الواحدة بعد الأخرى أمام جميع إسرائيل (صموئيل الثاني الإصحاح ١٦) .

وقام أدونيا بن داود بمضاجعة زوجة أبيه الشابة الجميلة أبيض

الشونية، ثم بعدما مات والده طلب من سليمان أن يزوجه إياها. وقد توسطت في ذلك، حسب قولهم بتشبع الزانية (زوجة أوريا الحثي) ووالدة سليمان (سفر الملوك الأول الإصحاح ١٣/٢-٢٢) وكلها أكاذيب وأباطيل وحقارات أحبار يهود يتهمون الأنبياء وأولادهم وأسراهم .

زواج الأنبياء - حسب زعمهم الكاذب - من الزانيات والعاهرات :

١- تزوج يوشع بن نون (يشوع) من راحاب الزانية التي خبأت الجاسوسين الإسرائيليين مكافأة لها على خيانتها وطنها وبني قومها. وقد ولد لراحاب الزانية من يشوع بنات كنّ جدات لثمانية من أنبياء بني إسرائيل، حسب زعمهم (سفر يشوع الإصحاح ٦) .

٢- تزوج النبي هوشع حسب زعمهم الكاذب من امرأة زانية باسم الرب وأمره لأن إسرائيل زنت وراء آلهة أخرى وتركت الرب الذي أنقذها من ظلم فرعون... إلخ لذا يأمر الرب حسب زعمهم أن يقوم هوشع بالزواج من زانية هي جومر بنت دبلايم. واليك أغرب نصّ يمكن أن تقرّاه : «أول ما كلم الرب هوشع، قال الرب : اذهب خذ لنفسك امرأة زنى وأولاد زنا، لأن الأرض قد زنت تاركة الرب. فذهب (هوشع) وأخذ جومر بنت دبلايم، فحبلت وولدت له ابناً» (سفر هوشع ١/٢، ٣).

وجاء في هذا السفر على لسان هوشع : «وقال لي الرب : اذهب أيضاً، أحبب امرأة، حبيبة صاحب وزانية، كمحبة الرب لبني إسرائيل وهم ملتفتون إلى آلهة أخرى.. فاشتريتها لنفسى بخمسة عشر شاقل فضة وبحومر ولثك شعير. وقلت لها : تقعدين أياما كثيرة لا تزني ، ولا تكوني لرجل (آخر)، وأنا كذلك» (سفر هوشع ٣-١/٣) .

٣- تزوج النبي عاموس (حسب زعمهم) من عاهرة معبد وثني، ولم يكتف بذلك، ولكنه مارس معها أيضا الطقوس الوثنية .

ويقول النبي عاموس ملك إسرائيل أمصيا : فالآن اسمع قول الرب :
 «أنت تقول لا تتبأ على إسرائيل ولا تتكلم على بيت إسحاق. لذلك قال
 الرب : امرأتك تزني في المدينة، وبنوك وبناتك يسقطون بالسيف،
 وأرضك تُقسَّم بالحبل، وأنت تموت في أرض نجسة، وإسرائيل يُسبى
 سبياً عن أرضه (عاموس الإصحاح ١٦/٧-١٧) .

المذابح والمجازر:

هذه أمثلة على بعض هذه المخازي والانتهاكات الفظيعة التي يتهمون
 بها أنبياء الله. ومن ذلك أنها تصور أنبياء الله ورسله بأنهم قتلة
 مجرمون مخادعون سفاكون متعطشون للدماء عندما ينتصرون فيقتلون
 من الطفل الصغير إلى الشيخ الفاني باسم الرب، تعالى الله عن ذلك
 علوا كبيرا. وحاشا لأنبياء الله أن يقتلوا النساء والأطفال، وأن يبيدوا
 الأخضر واليابس، وأن يقتلوا حتى الحيوانات والأبقار والأغنام.. حرب
 إبادة تامة للعنانيين ولليبوسيين ولسكان عمّان (العمونيين) وللكنعانيين
 والفلسطينيين إلخ.. لم يتركوا أحدا. ومع ذلك هم في منتهى الخسة
 والجبن والحقارة في حالات الضعف، وفي منتهى التجبر والغطرسة
 في حالات القوة والانتصار، وحاشا لأنبياء الله ورسله أن يكونوا كذلك.
 وقد وضعتُ في ذلك فصلين من كتابي «المدخل لدراسة التوراة
 والعهد القديم»، وهما «إقامة المذابح»، و«فصل الزنا والفواحش في
 التوراة وفي العهد القديم». وفي كتابي «الله والأنبياء في التوراة والعهد
 القديم» جاء في سيرة كل نبي ما ورد في الأسفار (المقدسة لديهم) من
 أكاذيب وافتراءات عن ذلك النبي. وهناك فصل عن يوشع بن نون
 وسفره وسميته «سفر المجازر» لكثرة المجازر الفظيعة التي وردت فيه.

وسيضيّق المجال جدا لو تتبعنا ذلك فهو قد استغرق كتابا كاملا. وسنكتفى ببعض الأمثلة فقط .

ففي سفر العدد (الإصحاح ٧/١٩-٧/٣١) في عهد موسى ﷺ في حرب مديان (مدين) «فتجندوا على مديان كما أمر الرب وقتلوا كل ذكر، وملوك مديان قتلوهم فوق قتلاهم.. وأحرقوا مدنهم بمساكنهم وجميع حصونهم بالنار وأخذوا كل الغنيمة والنهب من السلب والبهائم وأتوا إلى موسى .. فخط موسى على وكلاء الجيش رؤساء الألوفا ورؤساء المثات، وقال لهم موسى : هل أبقيتم كل أنثى حيه؟ فالآن اقتلوا كل ذكر من الأطفال وكل امرأة عرفت رجلا بمضاجعة» وترك لهم الابكار ليكونوا جوارى لهم .

وحاشا لموسى ﷺ أن يأمر بقتل الأطفال وقتل النساء. ولكن هذا من أكاذيبهم .

وفي سفر يشوع (يشوع بن نون) الإصحاح السادس عند فتح أريحا: «وحزموا كل ما في المدينة من رجل وامرأة من طفل وشيخ حتى البقر والغنم والحمير بحد السيف» (يشوع ٦/٢١) ويزعمون أن الرب قال لهم : «ويكون عند أخذكم المدينة أنكم تضرمون المدينة بالنار» ويصف الإصحاح الثامن من سفر يشوع مذبحه عاي وكيف قتل يشوع جميع سكان عاي، وجميع من شرد منها، وجميع النساء والأطفال والأبقار والأغنام .

وسفر يشوع هو سفر المذابح فبالإضافة إلى مذبحه أريحا ومذبحه عاي هناك مذبحه حبرون ولخيش وعجلون ومقيده وأورشليم... إلخ كلها ضربها، حسب زعمهم، يشوع بحد السيف وحرم (أي أباد وقتل) كل نفس حيّة فيها من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني .

وفي سفر التثنية (الإصحاح ٢٠) قال الرب لموسى (حسب زعمهم) :
«وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب إلهك نصيبا فلا تستبق
منها نسمة بل تحرمها تحريما (أى تقتل كل نفس حية من الطفل
الرضيع إلى الشيخ الفاني) الحيثيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين
والحويين واليبوسيين، كما أمرك الرب إلهك». (التثنية ٢٠/١٦-١٨) .

وفي سفر صموئيل الأول (الإصحاح الأول / ١٥) : «وقال صموئيل
(النبى) لشاول (وهو طالوت المذكور في القرآن الكريم فى سورة
البقرة) : إياي أرسل الرب لمسحك ملكا على شعبه إسرائيل. والآن
فاسمع صوت كلام الرب. هكذا يقول رب الجنود. إنى افتقدت ما عمل
عمالق بإسرائيل حين وقف له فى الطريق عند صعوده من مصر.
فالآن اذهب واضرب عمالق وحرّموا كل ما لهُ ولا تعف عنهم، بل اقتل
رجلا وامرأة، طفلا ورضيعا، بقرا وغنما، حملا وحمارا». وأى صورة
أشد قتامة وجرما من هذه الأوامر الربانية المزعومة التى تبىد الأطفال
والرضع والنساء والعجزة والشيوخ والحيوانات والبهائم» .

وفي سفر التثنية (الإصحاح ٢٠، ١/١٢) «قال الرب : هذه هى
الفرائض والأحكام التى تحفظون لتعملوها فى الأرض التى أعطاك
الرب إله آبائك لتمتلكها كل الأيام التى تحيون على الأرض : تخربون
جميع الأماكن» ويا لها من أوامر من الرب إلى موسى ﷺ . وكلها
كذب وبهتان .

أمثلة من مذابح داود حسب زعمهم الكاذب :

جاء فى سفر صموئيل الثانى (الإصحاح ٢٦/١٢-٣١)

«وحارب يواب (قائد جيش داود) ربة بني عمّون وأخذ مدينة المملكة،

وأرسل إلى داود لكي يأتي ويدخل المدينة، فجمع داود كل الشعب وذهب إلى ربّة وحاربها وأخذها، وأخذ تاج ملكهم عن رأسه ووزنه وزنة من الذهب مع حجر كريم، وكان على رأس داود. وأخرج غنيمة المدينة كثيرة جدا. وأخرج الشعب الذي فيها ووضعهم تحت مناشير ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمرهم في أتون الأجر (وأحرقهم أحياء). وهكذا صنع بجميع مدن بني عمّون ثم رجع داود وجميع الشعب إلى اورشليم» فأى صورة بشعة وقذرة ترسمها هذه الأسفار لنبي الله الكريم داود. إنها جرائم تتصاغر دونها جرائم جنكيزخان وهولاكو وهتلر وبيجن وشارون .

وقد وصفوا داود ﷺ بكل نقيصة وجعلوه كاذبا ومخادعا عند الضعف، جبّارا يقتل النساء والأطفال والشيوخ والعجزة عند القوة.. ولم يتركوا نقيصة إلا وألصقوها بداود ﷺ . واتهموه بالزنا بحليلة جاره وقتل زوجها كما تقدم .

وقامت الحرب والمؤامرات بين داود وشاول (طالوت) الملك الذي تزوج داود ابنته ميكال. والتجأ داود إلى ملك الفلسطينيين ملك جت، ويدعى أخيش بن معوك، فأكرم وفادته وجعله أحد قواد جيشه، رغم أن داود قتل قبل ذلك مائتي فلسطيني وجبّ مذاكيرهم وقدمها مهراً لميكال بنت شاول مسيح الرب!!

وكاد داود يقتل الفلسطينيين بالليل وكما يقول سفر صموئيل الأول الإصحاح ٢٧ «وضرب داود الأرض ولم يستبق رجلا ولا امرأة . وأخذ غنما وبقرا وحميرا وجمالا وثيابا» ثم يذهب إلى أخيش ملك الفلسطينيين، ويسجد له، ويقسم له أنه مخلص، ويراه كما يرى الله، وأنه إنما يغير على اليهود من قبيلة يهوذا (الملك شاول) وأنه يقتل من

بني إسرائيل أعداداً كبيرة كل ليلة.. وأن ملك جت صدّقه وسُرَّ بذلك. ولما عزم ملك جت على مهاجمة اليهود قال لداود : ارجع ولا تقا تل قومك معنا (وذلك بناء على نصائح قواد جيشه من الفلسطينيين الذين شكّوا في ولاء داود) فقال الملك الفلسطيني لداود حسب زعمهم : «حي هو الرب أنك مستقيم. وخروجك ودخولك معي في الجيش صالح في عيني لأنني لم أجد فيك شرّاً من يوم جنّت إليّ إلى اليوم، وأما في أعين الأقطاب فليست بصالح. فالآن ارجع بسلام، ولا تفعل سوءاً في أعين أقطاب الفلسطينيين. فقال داود لأخيش : فماذا عملت ؟ وماذا وجدت في عبدك من يوم صرتُ أمامك إلى اليوم ، حتى لا آتي وأحارب أعداء سيدي الملك» سفر صموئيل الأول ٢٩/٦-٩ .

ويعترف سفر صموئيل الأول أن العماليق عندما هجموا على محلة بني إسرائيل في صقلخ لم يقتلوا صغيراً ولا كبيراً وسبوا النساء وساقوا الجميع ومضوا في طريقهم.. وسُبيت امرأتا داود مع المسيبين فقام داود بملاحقتهم واستخلص منهم جميع الأسرى، وقتل العماليق رجالاً ونساءً، شيوخاً وأطفالاً، لم يترك منهم أحداً (سفر صموئيل الأول الإصحاح ٣٠) .

واستخدم داود الحيلة والكذب والخداع في حربه مع شاول. وعندما مات شاول أقام مناحة وحثاً على وجهه التراب ومزق ثيابه تظاهراً بالحزن على ملك إسرائيل ومسيحها (لأنه قد مسح النبي صموئيل بالزيت) .. وذلك كله حتى يكسب تعاطف بني إسرائيل ثم قامت الحرب بين داود وبين ايشبوشث بن شاول الذي عُين ملكاً بدلاً من أبيه واستطاع داود أن يُغري قائد جيش ايشبوشث بن شاول إلى صفّه فانضم قائد الجيش ابنير إلى داود ومعه فرقة كبيرة من الجيش

وبذلك استطاع داود أن ينتصر على ابن شاول ويأخذ الملك منه . ولكنه جازى ابنير في آخر حياته شرَّ الجزاء حيث أمر سليمان ابنه بأن يقتله عندما يستلم الحكم من أبيه . وهكذا فعل حسب زعمهم .

وأوضح البوصيري رحمه الله اتهامهم لهارون بعبادة العجل وصنعه وأن موسى صور الصور والتماثيل^(١) فقال شعرا :

وَجَنُوا عَلَى هَارُونَ بِالْعِجْلِ الَّذِي	نَسَبُوا لَهُ تَصْنُوبَهُ تَضْلِيلًا
وَبِأَنَّ مُوسَى صَوَّرَ الصُّورَ الَّتِي	مَا حَلَّ مِنْهَا نَهْيُهُ مَعْقُولًا
وَرَضُوا لَهُ غَضَبَ الْإِلَهِ فَلَأَعَدَا	غَضَبُ الْإِلَهِ عَدْوُهُ الضَّلِيلًا
وَبِأَنَّ سِحْرًا مَا اسْتَطَاعَ لآيَةٍ	مِنْهُ وَلَا اسْتَطَاعَتْ لَهُ تَبْطِيلًا
وَبِأَنَّ مَا أَبَدَى لَهُمْ مِنْ آيَةٍ	أَبَدُوا إِلَيْهِ مِثْلَهَا تَخْيِيلًا
إِلَّا الْبَعُوضَ وَلَا يَزَالُ مُعَانِدًا	لِلْإِلَهِ بِبَعُوضَةٍ مَخْنُولًا

قال البوصيري نثرا لشرح ما تقدم :

١- «وفي التوراة : أن هارون صاغ لهم العجل الذي عبده، وأمرهم أن يذبحوا له القرابين من دون الله تعالى، ففعلوا واتخذوا له عيداً، وجلسوا عنده يأكلون ويشربون ويتسابقون، فانظر هذا القول الذي لا يجوز نسبه إلى نبي اختاره الله تعالى لهداية خلقه . ولقد تحدثت مع بعض من أسلم منهم في ذلك، قال : ما عندهم خلاف في أن ذلك في التوراة منصوص، وإنما الحلّ الذي أحضروه إلى هارون كان فيه خاتم ذهب من خواتم يوسف الصديق عليه السلام عمل في طالع الثور

(١) قد أوضحنا ذلك فيما تقدم من افتراءاتهم على هارون وقصة عبادة العجل، كما تقدم في موضوع سكن الله في خيمة الاجتماع قبة الزمان وكيف صنعها موسى بأمر الرب وكيف صنع التابوت وزينه بالتماثيل الذهبية بصورة ملكين من الكروبيم . وأنه صنع تمثال حيّة من النحاس . وصنع التماثيل محرم تحريماً شديداً في نفس التعاليم التي جاء بها موسى .

وعليه صورة الثور، فلما سأل هارون الزينة وقلبها تصور منها العجل.
فانظر هذه الأقاويل، ما أضلُّ قائلها !

٢- وفي التوراة تحريم التصوير وعمل الأصنام، واللعنة لمن عمل ذلك والغضب عليه، ثم فيها أن موسى عمل صورة ملكين من الكروبيين من ذهب مفرغ، أجنحتها مبسوطة، ووجه كل منهما إلى الآخر، ونصبهما على صحيفة ذهب تسمى صحيفة التطهير بكلمة الله تعالى، ومن بينهما أنه أيضاً عمل صورة حية من نحاس .

٣- معناه أن اللعنة والغضب في التوراة على من صور الصور، وقد نسبوا إلى موسى عملها. وفي التوراة أن الله غضب على موسى وهارون، ومنعهما من الدخول إلى الأرض المقدسة ثم تكرر ذلك في السفر الخامس، فقال موسى : وغضب الله عليّ أنا، وحلف لا أدخل إلى الأرض الصالحة التي وهبها ريكم لكم .

وفيهما أن سحرة فرعون عملوا الآيات التسعة الأولى التي جاء بها موسى وأنهم ما قدروا أن يبطلوا شيئاً من آياته ولا أبطل شيئاً من سحرهم الذي جاءوا به، والله تعالى وتقدس قال : ﴿ مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيَّبِلُهُ ﴾ .

وقال البوصيري نظماً :

وَرَضُوا لِمُوسَى أَنْ يَقُولَ فَوَاحِشًا	خَتَمَتْ وَصِيَّتُهُ لَهْنٌ فَصُولًا
نَقَلُوا فَوَاحِشَ عَنْ كَلِيمِ اللَّهِ لَمْ	يَكُ مِثْلَهَا عَنْ مِثْلِهِ مَنْقُولًا
وَأَظْنُهُمْ قَدْ خَالَفُوهُ فَعُجِبْتُ	لَهُمُ الْعُقُوبَةُ بِالْخَنَا تَعْجِيلًا
وَشَكَّتْ رِجَالُهُمْ مَصَادِرَ ذَيْلِهَا	وَنَسَاؤُهُمْ غَيْرَ الْبُعُولِ بَعُولًا

ثم قال نثرا :

ومن التوراة عندهم أن موسى عليه السلام قال لبني إسرائيل في الوصية التي وصّاهم بها، فقال عند آخرها : وإن كفرتَ وحُدّتَ عن سبيله وعبدت الآلهة الأجنبية، يبتليك الله بدواهي مصر، ويضرب الجرب من جسدك الذي يصدر عنه الذيل بالجرب والحكاك الذي لا دواء له، وتتزوج زوجًا ويضاجعها غيرك. ولا خلاف أن بني إسرائيل عبدوا الآلهة، فإما أن يكون هذا القول باطلاً، أو يكون قد ابتلوا بما أوعدهم الله به من علمه القطم والقرن ، فإن الجرب والحكاك الذي لا دواء له وهو القطم، لأنه عين في مصدر الذيل من الجسد، وليس البواسير التي يؤلونها لأن البواسير مرض كالبرص والجُدَامِ، وكذلك أن يتزوج زوجة ويضاجعها غيره، فإن المقصود بذلك المعيرة في الموضعين، ولا معيرة في برص .

وتعالى الله عما يقولون ، وتنزهه في التوراة التي جعلها هدى ونوراً للإنسان كليم الله، عز وجل عن ذكر هذه الفواحش» . انتهى كلام البوصيري.

وقد تقدم مما ذكرناه من التوراة ما هو أشد فظاعة من هذه الأقوال. ولذا نكتفى بما سبق وقد كفر بنو إسرائيل مرات عديدة ففى عهد موسى عليه السلام عبدوا العجل، وطلبوا منه أن يجعل لهم آلهة كما كان لدى القوم الذين مروا عليهم وهم يعكفون على أصنام لهم بعد أن نجّاهم الله من فرعون وقومه. ثم إنهم عبدوا الأوثان والبعليم وعشتروت وملكوم، وارتدوا عن عبادة الله عشرات المرات في عهد القضاة الذين جاءوا بعد يوشع بن نون، واستمروا يحكمون لبني إسرائيل لمئات السنين. ثم في عهد الملكية بعد انقسام الدولة بوفاة

سليمان ﷺ إلى دولتين دولة الشمال إسرائيل وعاصمتها شكيم (نابلس = السامرة) ، ودولة الجنوب في أورشليم عبدوا الأوثان عشرات المرات، بل بلغت الوقاحة بهم أن زعموا أن سليمان ﷺ عبد الأوثان وبنى لها الهياكل وذبح لها وتقرب إليها من أجل مرضاة زوجاته. ففي هذا غنية عن الإفاضة وذكر الأمثلة العديدة التي تستغرق فصولاً أو كتاباً كاملاً .

ثم قال البوصيري رحمه الله نظماً :

لَعِنَ الَّذِينَ رَأَوْا سَبِيلَ مُحَمَّدٍ	وَالْمُؤْمِنِينَ بِهِ اضْلُ سَبِيلًا
أَبْنَاءُ حَيَّاتِ أَلَمَ تَرَانَهُمْ	يَجِدُونَ تَرِياقَ السُّمُومِ قَتُولًا
مُنْذُ فَارَقُوا الْعِجْلَ الَّذِي فَتَنُوا بِهِ	وَدَوَا اتِّخَاذَ الْأَنْبِيَاءِ عُجُولًا
فَإِذَا آتَى بِشَرِّ إِلَيْهِمْ كَذَبُوا	بِهَوَى النَّفُوسِ وَقَتَلُوا تَقْتِيلًا
أَخْلَوْا كِتَابَ اللَّهِ مِنْ أَحْكَامِهِ	عَدَوْا وَكَانَ الْعَامِرَ الْمَاهُولًا
جَعَلُوا الْحَرَامَ بِهِ حَلَالًا وَالْهُدَى	غَيًّا وَمَوْصُولَ التَّقَى مَفْصُولًا
وَدَعَاهُمْ مَا ضَيَّعُوا مِنْ فَضْلِهِ	أَنْ يَمْلَأُوهُ مِنَ الْكَلَامِ فُضُولًا
كَتَمُوا الْعِبَادَةَ وَالْمَعَادَ وَمَا رَعَوْا	لِلْحَقِّ تَفْجِيلًا وَلَا تَأْجِيلًا

لم يبق من التوراة والإنجيل إلا النزر اليسير:

قال الناظم :

اعلم أن علماء المسلمين ذكروا أن التوراة والإنجيل لم يبق فيهما الآن إلا ما اختاره ضلال النصارى واليهود، بعد الحذف والاستدراك، والتحريف والتبديل، فالله تعالى يقول : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾ . وكفى بذلك. واليهود مقررون أن سبعين كاهناً منهم اتفقوا على أن بدلوا من

التوراة ثلاثة عشرة حرفاً اعترفت اليهود بثلاثة حروف، ومن اعترف بذلك فما ينكر ما قيل عنه من جنسه، وفيما تقدم من نصوصهم الدالة على ذلك الكفاية . ومما يدل أيضاً على ذلك ما أذكره، وهو ما لا ينكره أحد من اليهود، وذلك أن التوراة بأيديهم الآن ليس فيها ذكر البعث والقيامة ولا الدار الآخرة ولا الجنة ولا النار، وكل ما ذكر من خير فيها إنما هو معجل في الدنيا ، فيجزون كما زعموا على الطاعة ينصر على الأعداء، وطول العمر، وطيب العيشة، وسعة الرزق، وطول المكث في الأرض المقدسة. ويجزون على الكفر والمعاصي بالموت ومنع قطر السماء ومنع الثمرة وظهور الأعداء عليهم، والشقاء والتعب والقروح والحميات والجرب واليرقان وريح السموم؛ وتكون السماء عليهم مثل النحاس، والأرض مثل الحديد، فينزل عليهم بدل المطر الغبار والظلمة، ويسفي عليهم التراب من السماء، ويكونون يلتمسون الشيء نصف النهار كما يلتمسه الأعمى لا يبصرونه ولا يستقيم لهم أمر، ويهربون ويُسبون، وتصيبهم عين سوء في ركبهم وفي سوقهم، ولا يكونون لهم شفاء. وليس في كتابهم ذم الدنيا ولا الزهد فيها، ولا وظيفة صلاة معلومة، بل فيها الأمر بالبطالة، والأكل والشرب، والقصف والغناء واللهو، كل هذا نصّ فيما يزعمون أنها التوراة، وأن موسى ﷺ قال لله عز وجل : أطلب إليك يارب أن ترسل في هذه الرسالة غيري، فاشتد غضب الله تعالى على موسى ﷺ وقال لله تعالى : «ولئن أنت غفرت لهم خطاياهم وإلا فامحني من سفرك الذي كتبت» : أي امحني من النبوة، وفيها أن بني إسرائيل يمتحنهم الله بأنبياء كذابين يأتون بالآيات والعجائب ، وأن الله تعالى يأخذ الأبناء بذنوب الآباء إلى ثلاثة خلوف، إلى غير ذلك مما يعلم كل ذي بصيرة أن ذلك القول لا يأتي عن الله تعالى مثله، وفي التوراة أن الله تعالى قال

لموسى : «أنا هو الذي أدخل يدك في حجرك وأخرجها مبروصة كالثلج» وإذا أخرجها مبروصة فأى آية منها، إذ بياض البرص، موجود في الناس، والله أخبرنا في محكم كتابه العزيز أنه قال: ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ تَخْرُجَ بَيْضًا مِنْ غَيْرِ سُوءٍ﴾ [النمل : ١٢] .

وفي التوراة عن اللوحين، أنهما منقوشان بأصبع، والله تعالى يقول : ﴿وَكُتِبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف : ١٤٥] وفي التوراة أن إسحاق هو الذبيح، وإنما الذبيح إسماعيل، ودليل ذلك أن النحر والذبح بمنى موطن إسماعيل، فإن قرون الكبش كانت معلقة في الكعبة من عهد إبراهيم عليه السلام إلى دخول الحجاج بن يوسف على عبد الله بن الزبير فحرقته. وفي التوراة أن الحية أغوت حواء في أكل الشجرة، فقال لها الله تعالى : سأجعل العداوة بين نسلك ونسلها، وترصدين أنت أبداً عقبها وترصد أبداً رأسك لتقطعه، إلى خبر كثير هو مثل خرافة. والله تعالى يقول : ﴿فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا﴾ [الأعراف : ٢٠] وفي التوراة أيضا عن نوح عليه السلام أنه رقد وأولاده أمامه فانكشفت عورته، فضحك ابنه حام من ذلك، فجاء ابنه سام وألقي قفاه إلى جهة عورة أبيه يمشى إلى وراء، حتى غطاها واستيقظ نوح عليه السلام ودعا على حام : سيسود لونك ويكون أولادك عبيداً لأولاد أخيك، إلى غير ذلك من أحاديث العجائز والصبيان. وفي التوراة أن سليمان بن داود عليه السلام ختم أمره بالسحر وعبادة الأوثان، وسب نساءه وبنيه وغير ذلك من الفواحش المنسوبة إلى الأنبياء وأبناء الأنبياء عليهم السلام، ما يمنع من تسطيره والنطق به الحياء من الله سبحانه وتعالى، والإشفاق على أعراض رسله الكرام المعصومة، صلوات الله تعالى عليهم أجمعين ..» انتهى كلام البوصيري.

قُلْتُ: وقد سبق أن ذكرت ما تعفّف عن ذكره البوصيري رحمه الله لأن ناقل الكفر ليس بكافر، وخاصة إذا أفاض في الردّ عليه وبيان عواره. وهذا ما فعلته فيما سبق من توضيح ما جاء في هذه الأسفار المحرفة التي كتبها هؤلاء الأخبار الحاقدون على أنبياء الله، والكافرون بما أنزل الله بغيا وعدوانا .

ثم تحدّث البوصيري - رحمه الله - نظما عن تناقضهم في السبت، وأن الله حرّم أي عمل في السبت وأن موسى أمر بقتل رجل عمل في السبت، ليوضّح لهم أهمية السبت.. والنصوص في أسفار التوراة كثيرة في تحريم العمل أو القتال في السبت. ومع ذلك يزعمون أن يوشع قاتل الفلسطينيين في يوم السبت ، وأن هارون ذبح في السبت كبشين. ومع ذلك يتحدثون أن أحكام التوراة لا تنقض ، وأي نبي جاءهم ينقض شيء من أحكامها يكفرون به ويحاربونه، كما فعلوا مع المسيح ﷺ عندما أبرأ المرضى والمقعدين يوم السبت، واعتبروا ذلك تجديفا وكفرا. كما أنكروا عليه إحياء ميت يوم السبت، ولم ينظروا إلى تلك المعجزات العظيمة بما ينبغي من التوقير . وأن السبت جعل للإنسان كما قال لهم يسوع، وليس الإنسان للسبت . ولكنهم قوم بهت .

عَجَبًا لَهُمْ وَالسَّبْتُ بَيْنَ عِنْدَهُمْ	لَمْ يَلْقَ مِنْهُ الْمَشْتَرُونَ مَقِيلًا (١)
هَلْأَعْصُوا فِي السَّبْتِ يَوْشَعَ إِذْ غَدَا	يَدْعُو جُنُودًا لِلوَعَى وَخُيُولًا
أَوْ خَالَفُوا هَارُونَ فِي ذَبْحٍ وَفِي	عَجْنٍ لَهُ لَمْ يُبَدِرْ عَنْهُ ذُكُولًا (٢)
أَوْ الْحَقُّوا بِهِمَا الْمَسِيحَ وَسَوَّغُوا التَّ	حَرِيمَ فِي الْحَالِيْنَ وَالتَّحْلِيلَا
أَوْ اثْبَتُوا النُّسْخَ الَّذِي فِي كُتُبِهِمْ	قَدْ نَصَّ عَنْ شَعْيَا وَعَنْ يُؤْيِيَلَا
أَوْ لَمْ يَرَوْا حُكْمَ الْعَتِيْقَةِ نَاسِخًا	أَحْكَامَ كُتُبِ الْمُرْسَلِينَ الْأَوْلَى

(١) المقيل ها هنا : الإقالة من البيع .

(٢) النكول : النكوص . وهو من علامات نفاقهم وجبنهم .

أهمية السبت :

قال الناظم :

وفي التوراة: «تمسكوا بالسبت ما دامت السموات والأرض»، وفيه من التخليط والتشديد ما لا يخفى. واليهود تقول : إن الله تعالى أمرنا بمعصية كل نبي ادعى ديناً يتضمن نسخاً لبعض ما شرعه في جميع الأيام المتصلة، وأمرهم بتضعيف المحاربة يوم السبت، وأن يلبثوا فيه إلى أن يجتمع الأئمة وسائر العساكر سبع مرات بأشد المحاربة، فقال في نص التوراة : «ويحيطون بالمدينة للقتال، ويتسورون عليها مرة واحدة ويصنعون ذلك في الستة أيام ، ويحمل سبعة أيام أبواق، والشمع بين يدي الصندوق، وفي اليوم السابع يحيطون بالمدينة سبع مرات والأئمة يضربون الأبواق. وفي التوراة يأمر هارون أن يذبح في يوم السبت كبشين أصيلين ابني سنة كاملة ومكيال سميد يعجن بالزيت، فأعجب لهذا التناقض: كون حكم التوراة أن لا ينقض السبت، وأي نبيّ جاءهم بما ينقض شيئاً من أحكامها لا يطاع، وقد أطاعوا أشعيا وهارون فيما نهوا، وحلّوا ما حرمت التوراة مع منعهم النسخ، وأنكروا على المسيح إحياء الميت في يوم السبت، وكفروا به، لأنهم أنكروا ما في الكتابين ولا وافقوا ما فيهما وكل من الثلاثة نبي». انتهى كلام البوصيري .

وقد تحدثتُ مختلف أسفار التوراة عن السبت وأهميته ففي سفر التكوين الإصحاح الثاني «وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل. فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل. وبارك الله اليوم السابع وقدّسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقا» (التكوين ٢/٢-٣) .

وهم يزعمون أن الله تعب فارتاح في يوم السبت (أى اليوم السابع) بعد أن خلق السموات والأرض، حسب زعمهم الكاذب. ولهذا قدّس الله السابع من الأيام، والسابع من الشهور والسابع من السنين. وإذا كان لك عبد من بني إسرائيل ففي العام السابع يعتق وإذا كان لليهودي أرض ففي العام السابع تترك دون فلاحه، وهكذا ..

وفي سفر التثنية (الإصحاح ١٢/٥-١٥) «احفظ يوم السبت لتقدسه كما أوصاك الرب إلهك. ستة أيام تشتغل وتعمل جميع أعمالك. وأما اليوم السابع فسبت للرب إلهك لا تعمل فيه عملاً ما. أنت وابنتك وابنتك وعبيدك وأمتك وثورك وحمارك، وكل بهائمك، ونزريك الذي في أبوابك لكي يستريح عبدك وأمتك مثلك.. لأجل ذلك أوصاك الرب إلهك أن تحفظ يوم السبت .

وفي سفر التثنية أيضاً (الإصحاح ١٥/١-١٣) «وفى آخر سبع سنين تعمل إبراء. وهذا هو حكم الإبراء. يبرئ كل صاحب دين يده مما أقرض لصاحبه. لا يطلب صاحبه ولا أخاه لأنه قد نودي بإبراء للرب. الأجنبي تطالب . وأما ما كان لك عند أخيك فتبريه يدك منه.. إذا بيع لك أخوك العبراني أو أختك العبرانية وخدمك ست سنين ففي السنة السابعة تطلقه حراً من عندك . وحين تطلقه حراً من عندك لا تطلقه فارغاً..» :

وكذلك تحفظ الأسبوع السابع «سبعة أسابيع تحسب لك من ابتداء المنجل في الزرع. تبتدي أن تحسب سبعة أسابيع. وتعمل عيد أسابيع للرب إلهك». (التثنية ٩/١٦) وكذلك الشهر السابع تقدسه (التثنية ١/١٦) .

وقد قام موسى حسب زعمهم بقتل رجل عمل يوم السبت. ورغم

ذلك جاء في سفر العدد (الإصحاح ٢٨/١-١٠) «وكلم الرب موسى قائلاً: أوصي بني إسرائيل وقل لهم: قرباني طعامي مع وقائدي (المقصود هنا الذبيحة التي تحرق فيشم الرب رائحة الشوى فيسعد بذلك جدا حسب زعمهم) رائحة سروري. تحرصون أن تقرّبوه لي في وقته. وقل لهم هذا هو الوقود الذي تقرّبون للرب: خروفان حوليان صحيحان لكل يوم محرقة دائمة. الخروف الواحد عمله صباحا والخروف الثاني بين العشاءين.. ودقيق ملتوت.. محرقة دائمة لرائحة سرور وقوداً للرب. وسكيبها ربع الهين للخروف الواحد. في القدس (أى قدس الأقداس المذبح) اسكب سكب مسكر للرب (لأن الرب يحب الخمر جدا حسب زعمهم مع أكل الخروف المشوى والدقيق والزيت والسمن)، والخروف الثاني عمله بين العشاءين كتقدمة الصباح (أى بالخمر أيضا) وكسكيبه عمله وقود رائحة سرور للرب. وفي يوم السبت خروفان حوليان صحيحان وعشران من دقيق ملتوت بزيت تقدمه مع سكبيه.

محرقة كل سبت فضلا عن المحرقة الدائمة وسكيبها:

ورغم أن العمل ممنوع يوم السبت والذبح ممنوع إلا أن الرب لا يتنازل حسب زعمهم الكاذب عن قربانه وطعامه «ورائحة سروري تحرصون أن تقرّبوه لي في وقته». باستمرار كل يوم صباح ومساء وأما يوم السبت فيضاف إلى ذلك خروفان آخران.

ودينهم كله بُني على تقديم اللحم المشوى السمين الذي يحبّه الرب جدا، ولكن لا بد أن يقدمه هارون أو أبناؤه، ثم بعد ذلك الأحبار من اللاويين، ولا يجوز أبدا أن يكهن إلا لاوي (وهم قبيلة موسى وهارون). ورغم أهمية السبت وعدم العمل فيه إلا أن الرب حسب زعمهم لا

يتنازل عن وجبته الشهية صباحا ومساء، بل وتتضاعف يوم السبت. وفي مقابل ذلك يعطيهم كل ما يريدون من مكاسب الدنيا، ومن نهب الآخرين، والتسلط عليهم، وذبحهم وقتلهم من الطفل الرضيع إلى الشيخ الفاني. أما إذا قصّروا في هذه الوجبات الساخنة التي يقدمونها للرب فإنه يغضب عليهم ويسلمهم إلى عدوهم. وهكذا تتم المقايضة لحم مشوى صباحا ومساءً أبد الدهر وتتضاعف يوم السبت، وفي الأعياد تتضاعف الكمية لتشمل الأبقار، وفي مقابل ذلك يهبهم الربُّ، ربُّ الجنود الجالس على الكروبيم، النصر على الأعداء وذبح النساء والأطفال وحرق المدن وسرقة كل الشعوب ودوسهم تحت أقدام إسرائيل. ويعطيهم الحياة الدنيوية الرغيدة مع الصحة والعافية.. وأما إذا أخلوا بوجباته وتقدماته وقرابينه فالويل لهم.. الأمراض والأسقام وتسلط الأعداء يكون مصيرهم وجزاءهم.

ولا ذكر مطلقا لليوم الآخر ولا الجنة والنار في أسفار التوراة الخمسة ولا سفر يشوع ولكن قد يأتي ذكرها في الأسفار المتأخرة جدا.. وإن كان التركيز دائما وأبدا على الحياة الدنيا، ولا حياة بعدها..

موقف اليهود من خاتم الأنبياء محمد ﷺ :

بعد أن فرغ البوصيري من توبيخهم على ما في توراتهم المحرفة من تناقضات وسخافات وحقارات وشتم للأنبياء عليهم السلام.. بل وسباً لله سبحانه وتعالى وتصويره بصورة بشر حقود يحب اللحم المشوي جدا، وهو رغم ذلك كثير الندم، وكلما فعل الشرَّ بشعبه يندم على ذلك. وينتقل البوصيري إلى استدراكاتهم على خير البرية محمد ﷺ وإنكارهم للنسخ، مع أن كتابهم ينسخ بعضه بعضا، وينقض بعضه

بعضاً. فتارة يمنعهم من الخمر، وتارة يأمرهم بشرب الخمر، وتارة يأمرهم بالذبائح والقرابين ويشدد فيها، وتارة يقول لهم قد شبعتم نفسي من القرابين.. لا أريد ذبيحة وإنما أريد رحمة. وهكذا في كل سفر من الأسفار تتناقض الأقوال عشرات المرات مما لا يسعه المقام (يمكن مطالعة ذلك في كتابي : الله والأنبياء في التوراة والعهد القديم لمزيد من التفصيل).

ثم قال البوصيري رحمه الله .

قَوْلًا عَلَى خَيْرِ الْوَرَى مَنَحُولًا (١)	أَفَيَأْتَفُ الْكُفَّارُ أَنْ يَسْتَدْرِكُوا
يَنْزُرُ الثَّرَى مِنْ أَدْمَعِي مَبْلُولًا	لَا دَرَّ دَرُّهُمْ فَإِنْ كَلَامَهُمْ
تُكَلَى وَمُوجَعَةٌ تُصْرِبُ عَوِيلًا	فَكَأَنَّنِي الْفَيْتُ مُقَلَّةٌ فَاقْدِرِ
وَرَمَوْا إِنَانًا بِالْأَذَى وَفُحُولًا	ظَنُّوا بِرَبِّهِمُ الظُّنُونُ وَرَسَلِهِ
فَالأَوْسِعَنَّهُمُ الْجِزَاءَ مَكِيلًا	إِنْ يَبْخَسُوهُ بِكَيْلِ زُورٍ حَقَّهُ
صِدْقِي وَلَسْنَا فِي الْكَلَامِ شُكُولًا (٢)	وَمِنَ الْغَيْبِيَّةِ أَنْ يُجَازَى إِفْكَهُمُ

قال الناظم :

«وفي التوراة : أن ملك الله قال لهاجر : إني أكثر ولدك، ولا يحصى عددهم لكثرتهم، وقال لها : إنك حامل، وستلدين غلاماً، وتدعين اسمه إسماعيل، فإن الله تعالى قد سمع تعبدك، ويكون هو وحش الناس، يده على كل يد، ويد كل به، ويحلى على سهمي وإخوته كلهم. وفي نسخة هذا الكلام : «ويكون عظيماً في الأمم»، وفي نسخة : «وتكون يده فوق الجميع، ويد الجميع مبسوطة إليه بالخضوع»، فهذه بشائر بمحمد ﷺ

(١) خير الوري : خير البشر والخلق، أي النبي محمد ﷺ . منحول : منسوب، ونحلّه القول : نسيه إليه .

(٢) الإفك : الكذب .

لأن إسماعيل لم يحل على سهم إخوته، ولا بسطوا أيديهم إليه بالخضوع، ولا كانت يده على أيديهم، ولا يده على كل يد، ولا يد كل به، لأن في التوراة أن إسماعيل وأمه خرجا منفيين مطرودين، ولم يورث إسماعيل مع إسحاق شيئاً، ولم يقل أحد إن إسحاق وولده خضعوا لإسماعيل وولده، ولم تزل الفتوة والملك في ولد إسحاق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فبسط بنو إسحاق حينئذ أيديهم بالخضوع له، وعلت يده وأيدي بنى إسماعيل على كل يد، وصارت يد كل بهم، فكان ذكر إسماعيل مقصود به ولده». انتهى كلام البوصيري .

قلتُ : جاء في سفر التكوين (الإصحاح ١٧/١-٨) «ولما كان إبرام ابن تسع وتسعين سنة ظهر الرب لإبرام. وقال له : أنا الله القدير. سر أمامي وكن كاملاً. فأجعل عهدي بيني وبينك وأكثرك كثيراً جداً. فسقط إبرام على وجهه وتكلم الله معه قائلاً : أما أنا فهو ذا عهدي معك، وتكون أبا لجمهور من الأمم. فلا يدعى اسمك بعد إبرام بل يكون اسمك إبراهيم، لأنني أجعلك أبا لجمهور من الأمم، وأثمرك كثيراً جداً وأجعلك أمماً. وملوك منك يخرجون. وأقيم عهدي بينك وبين نسلك من بعدك». وفي نفس السفر والإصحاح يأتي ما يناقض ذلك .

«وقال إبراهيم لله ليت إسماعيل يعيش أمامك. فقال الله بل سارة امرأتك تلد لك ابناً وتدعو اسمه إسحاق. وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده. وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه. ها أنا ذا أباركه وأثمره وأكثره كثيراً جداً. اثني عشر رئيساً يلدُ وأجعله أمة كبيرة. ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت في السنة الآتية . فلما فرغ من الكلام معه صعد الله عن إبراهيم» (التكوين ١٧/١٨-٢١) .

وقد ذكرنا من قبل هذا التجسيد الفظيع حيث يصورون الله وكأنه بشر يأتى ويكلم الأنبياء وغير الأنبياء، ويرونه بأعينهم، ثم إن إبراهيم قدّم له الأكل فأكل وشرب!! (وظهر له الرب عند بلوطات ممرا وهو جالس في باب الخيمة وقت حرّ النهار، ثم تحول الرب إلى ثلاثة. وغسلوا رجولهم وأقدامهم وأكلوا وشربوا ثم مرة أخرى تحول الثلاثة إلى واحد (على طريقة النصارى) وصعد الرب (التكوين ١٨/١-٨) .

وقد سبق ذكر إذلال سارة لهاجر وطردها وأن الرب أمر إبراهيم بأن يسمع لسارة في كل ما تقول لأنه بإسحاق فقط يدعى لك نسل!! (وإسحاق لم يأت بعد ولم تحمل به ساره) ومع هذا جاء أيضاً أن الرب قال لهاجر «تكثرين أكثر نسلك فلا يعدّ من الكثرة». وقال لها ملاك الرب ها أنت حبلى فتلدين ابناً. وتدعين اسمه إسماعيل لأن الرب قد سمع لمذلتك. وأنه يكون إنساناً وحشياً. يده على كل واحد ويد كل واحد عليه!!» (التكوين ١٦/٦/١٤) .

وقد ختن إبراهيم نفسه وإسماعيل عندما كان عمره ثلاثة عشرة سنة وكل أفراد بيته من الذكور ولم يكن إسحاق قد ولد بعد، فلما ولد إسحاق ختنه في اليوم الثامن. وصارت علامة العهد بين الله وبين إبراهيم ونسله علامة الختان .

وجاء أيضاً في هذه التوراة المحرفة : ورأت سارة ابن هاجر المصرية الذي ولدته لإبراهيم يمزح. فقالت لإبراهيم اطرده هذه الجارية وابنها، لأن ابن هذه الجارية لا يرث مع ابني إسحاق فقبح الكلام جدا في عيني إبراهيم لسبب ابنه. فقال الله لإبراهيم لا يقبح في عيني من أجل الغلام ومن أجل جاريتك . في كل ما تقول لك سارة تسمع لقولها. لأنه بإسحاق يدعى لك نسل. وابن الجارية أيضاً سأجعله أمة لأنه

نسلك». (التكوين ٩/٢١-١٣) . وهكذا قرر أحبار يهود الذين زوروا التوراة المحرفة أن يتحول رب العالمين إلى ظالم في صف سارة. «في كل ما تقول لك سارة اسمع لقولها لأنه بإسحق يدعى لك نسل» وهو كلام وضعه هؤلاء الأحبار المجرمون الكذبة الفسقة .

ويقول السفر المذكور (التكوين الإصحاح ٢١) أن إبراهيم صرف هاجر وابنها فتاهت في برية بير سبع (وهو خلاف ما هو معروف وما جاء في القرآن بأنه أسكنها بأمر الله بوادٍ غير ذي زرع في مكة المكرمة. ولا علاقة لذلك الأمر بقصة سارة وغيرها وظلمها حسب زعمهم) «وكان الله مع الغلام فكبر وسكن في برية فاران وكان ينمو رامي قوس. وأخذت له أمه زوجة من أرض مصر» (التكوين ٢١/٢٠/٢١). وفاران هي مكة ولكنهم يزعمون أنها في بئر سبع في جنوب فلسطين أو في سينا .

وبعد وفاة سارة أخذ إبراهيم زوجة اسمها قطورة وولدت له زمران ويقشان ومدان ومديان ويشباق وشوفا (التكوين ١/٢٥-٦) وأما بنو السراري فكانوا أيضا كثيرين. وهكذا خرجت أمم عديدة وقوية من الجنس السامي من إبراهيم عليه السلام وبنو إسماعيل اثنا عشر رئيسا حسب قبائلهم وسكنوا من حويلة إلى شور التي أمام مصر وكانوا أمة عظيمة جدا (التكوين الإصحاح ٢٥) .

وأما إسحاق عليه السلام فولد له توأم هما عيسو (العيص) ويعقوب . وقد مرَّ معنا كيف أخذ يعقوب العهد بمكر من أبيه الذي شاخ وعمى. وأنه سيكون سيّدا على إخوته ويكونوا عبيدا له . ولكن التوراة نفسها تقول: إن يعقوب هو الذي سجد سبع مرات لأخيه عيسو وقال له عندما أراك كأنما أرى الله وتملقه وداهنه وعبده. (وهذا كله كذب) وصار عيسو

أمة عظيمة أيضاً، رغم تنبؤات أبيه إسحاق الذي جعله عبداً لأخيه يعقوب حسب زعمهم. وعيسو هو أدوم ونسله هم الأدوميون وكان أبناؤه أمراء: أميرتيمان وأمير أومار ، وأمير صفو، وأمير قناز، وأمير قورح، وأمير جعثام ، وأمير عماليق.. وأخذ سفر التكوين الإصحاح ٢٦ يعدد أبناء عيسو من كل واحد من زوجاته العديديات وكيف أصبحوا ملوكاً وأمراء لإمارات متعددة في فلسطين والأردن ولبنان وسوريا وشمال الجزيرة العربية .

وخلاصة هذا الكلام أن هذه التوراة المحرفة متناقضة، متعارضة، فتارة تجعل العهد كله يذهب من إبراهيم إلى إسحاق ومن إسحاق إلى يعقوب (إسرائيل) ومن إسرائيل إلى بنيه. وهؤلاء هم شعب الله المختار، وبكره، وقررة عينه مهما عملوا وفجروا وعبدوا الأوثان. يعذبهم لكي يعودوا إليه. وهو لا يتركهم مهما تركوه، ولا يريد من أحد غيرهم أن يعبده فهو لهم وهم له. وجعلهم الله حسب زعمهم فوق جميع الشعوب.. وكل الشعوب تتمجد بلعق حذاء إسرائيل. ويكفيها فخراً أن تكون في خدمة ابن الله الأثير البكر إسرائيل الذي لا يعرف غيره ولا يهوى سواه .

وفى أحيان أخرى تذكر هذه الأسفار أن أبناء إبراهيم الآخرين أيضاً باركهم الرب وكثرهم وصاروا أمماً عظيمة وخاصة إسماعيل الذي أثنت عليه تلك الأسفار وإن كانت وصفته بأنه متوحش !! (يده على كل أحد ويد كل أحد عليه) .

ومن نسل إسماعيل محمد ﷺ سيد الكونين والثقلين .

إنكار اليهود ما ورد من بشارات بالنبي محمد ﷺ :

ثم قال البوصيري شعرا :

لَوْ يَصْنَدُقُونَ لَمَا أَتَتْ رُسُلٌ لَهُمْ
 إِنْ أَنْكَرُوا فَضَلَ النَّبِيُّ فَإِنَّمَا
 اللَّهُ أَكْبَرُ إِنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ
 طَلَعَتْ بِهِ شَمْسُ الْهِدَايَةِ لِلنُّورِ
 وَالْحَقُّ أَبْلَجُ فِي شَرِيْعَتِهِ الَّتِي
 لَا تَذْكُرُوا الْكُتُبَ السُّؤَالِفا عِنْدَهُ
 دَرَسَتْ مَعَالِمَهَا أَلَّا فَاسْتَخْبِرُوا
 تُخْبِرُكُمْ التَّوْرَةُ أَنْ قَدْ بَشَّرَتْ
 وَدَعَاةُ وَحْشِ النَّاسِ كُلِّ نَدِيَّةٍ
 تَجِدُوا الصَّحِيْحَ مِنَ السَّقِيْمِ فَطالَمَا
 مِنْ مِثْلِ مُوسَى قَدْ أَقِيْمَ لِأَهْلِهِ
 أَوْ أَنْ إِخْوَتَهُمْ بَنُو الْعِيصِ الَّذِي
 تَالَلَهُ مَا كَانَ الْمُرَادُ بِهِ فَتَى
 إِذْ لَنْ يَقُومَ لَهُمْ نَبِيٌّ مِثْلُهُ
 طَوِيِي مُوسَى حِينَ بَشَّرَ بِاسْمِهِ
 وَجِبَالُ فَارَانَ الرَّوَاسِي إِنَّهَا
 أَتَرَى الطَّبِيْبَ غَدًا يَزُورُ عَلِيْلًا
 أَرْخَوْا عَلَى ضَوْءِ النَّهَارِ سُدُولا
 وَكِتَابَهُ أَقْوَى وَأَقْوَمُ قِيْلًا
 وَأَبَى لَهَا وَصَفُ الْكَمَالِ أَفْولا
 جَمَعَتْ فِرْعَوْنًا لِلنُّورِ وَأُصُولا
 طَلَعَ النَّارُ فَاطْفَأُوا الْقِنْدِيْلًا
 مِنْهَا رُسُومًا قَدْ عَفَتْ وَطُلُولا
 قَدِمًا بِأَحْمَدَ أَمْ بِإِسْمَاعِيْلًا
 وَعَلَى الْجَمِيْعِ لَهُ الْأَيْدِي الطُّولَى
 صَدَقَ الْحَبِيْبُ هُوَى الْمَحِبِّ نُحُولا
 مِنْ بَيْنِ إِخْوَتِهِمْ سِوَاهُ رَسُولا
 نُقِلَتْ بِكَارَتِهِ لِإِسْرَائِيْلًا
 مُوسَى وَلَا عِيْسَى وَلَا شَمُوِيْلًا
 مِنْهُمْ وَلَوْ كَانَ النَّبِيُّ مَثِيْلًا
 وَلِسَامِعٍ مِنْ فَضْلِهِ مَا قِيْلًا
 نَالَتْ عَلَى الدُّنْيَا بِهِ التَّفْضِيْلًا (١)

(١) جبال فاران هي جبال مكة وإن كانت تفاسير الكتاب المقدس الحديثه تجعلها في سينا أو بالقرب منها، وهو خطأ متعمد . وقد جاء في التوراة : «جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران». وفي ترجمة أخرى : تجلي الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران» وواضح جدا أن جبال فاران غير جبال سيناء. «وتجلي الله من سيناء» إشارة إلى موسى، وساعير جبل الشام (فلسطين) إشارة إلى عيسى وفاران إشارة إلى محمد صلوات الله عليهم جميعا .

قال الناظم نثرا :

وكما أن في مواضع كثيرة من التوراة ذكر يعقوب، والمقصود به ولد يعقوب، فمن ذلك قوله في السفر الخامس : «يا إسرائيل، لأن تخشى الله ربك، وتسلك في سبيله، وتعمل له» فهذا خطاب لبني إسرائيل باسم أبيهم، وذلك قوله في السفر الخامس : «فَسَمَّنَ إِسْرَائِيلَ وَأَبْرَ وَجَمَعَ الْأَمْوَالَ وَنَسِيَ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَهُ، وَأَسَخَطَ السَّيِّدَ الَّذِي خَلَّصَهُ وَأَغْضَبَهُ بِالْإِنْسَانِ إِلَى ذَبْحِ الشَّيَاطِينِ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ لِقَوْمِ مُوسَى : «اسْمِعْ إِسْرَائِيلَ ثُمَّ احْفَظْ وَاعْمَلْ وَيَحْسَنْ إِلَيْكَ رَبِّكُمْ وَيَكْرَمُ وَيَنْعَمُ» وفي التوراة يقول لإبراهيم : «وفي إسماعيل قد سمعتك وباركته وكرّمته جداً جداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأعطيه شعباً جليلاً، وفي نسخة أخرى «وإسماعيل قد سمعت دعائك فيه، وباركت عليه، وعظّمته جداً جداً» وفي نسخة «طيباً طيباً» «وقل حمداً حمداً، وسيلد اثني عشر عظيماً، وأجعله لأمة عظيمة» فهل كانت لإسماعيل أمة عظيمة، لكن الأمة العظيمة لولده محمد ﷺ .

وفي التوراة : «فدعا ملكُ الله هاجرَ وقال لها : ما لكِ يا هاجرِ لا تخشي فإن الله قد سمع صوت الغلام حيث هو ، فقومي فاحملي الغلام وشُدِّي يديك به، فإنني جاعلة لأمة عظيمة» وفي التوراة : «هذه بركة موسى التي بارك بني إسرائيل قبل وفاته قال : جاء الله من طور سيناء، وأشرق لنا من ساعير، واستعلن من جبال فاران ومعه ربوة من الطهور من عن يمينه» وفي نسخة : «تجلّى الله من سيناء وأشرق من ساعير واستعلن من جبال فاران» فهذه إشارة نبوة عيسى ومحمد ﷺ . فإن الطور مكان خصّ الله فيه موسى بمناجاته، وساعير جبل الشام، منه ظهرت نبوة المسيح ﷺ بقرب الناصرة، وهي البلدة التي ولد

فيها، وفاران مكة لا يخالف في ذلك أحد من أهل الكتاب وفيها «أقبل السيد من سيناء، ومن البرّ تراءى لنا من جبال فاران ومعه الألف من الصالحين، ومعه كتاب باري وهو جيم الأجناس وجميع الصالحين في قبضته، ومن تدانى من قدميه يصيب من عمله». وفي السفر الخامس من التوراة، «قال الله لموسى بن عمران : إنني أقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك، أجعل كلامي على فيه، فمن عصاه انتقمته منه». وفي نسخة : «والله ربك يقيم نبياً من إخوتك فاسمع له كالذي سألت ربك في حوريت يوم الاجتماع حين قلت لا أعود أسمع صوت الله ربي لئلا أموت، فقال الله لي : نعم» «قالوا ، وسأقيم لهم نبياً مثلك من إخوتهم وأجعل كلامي في فمه فيقول لهم كل شيء أمرته، وأيما رجل لم يطع من تكلم باسمي فإني أنتقم منه». فإن قلت إن ذلك إنما هو يوشع بن نون، فقد قال الله في آخر التوراة : «لا يخلف من بني إسرائيل نبي مثل موسى». وفي نسخة : «لا يقوم في بني إسرائيل أحد مثل موسى». وفي نسخة أخرى : «مثل موسى لا يقوم في بني إسرائيل أبداً». وانظر إلى من هم إخوة إسرائيل ، فلا محالة أنهم العرب والروم. فأما بنو العيص فلم يكن منهم نبي سوى أيوب، وكان قبل موسى بزمان، فلا يجوز أن يكون هو الذي بشرت به التوراة، فلم يبق إلا العرب فهو محمد ﷺ . وقد قال الله سبحانه وتعالى في التوراة حين ذكر إسماعيل جد العرب، إنه يضع فسطاطه في وسط بلاد إخوته. فكفى عن بني إسماعيل بإخوة إسماعيل، كما كفى عن العرب بإخوة بني إسرائيل في قوله : «سأقيم لبني إسرائيل من إخوتهم مثلك». ولم يكن يوشع كفوًا لموسى، بل كان خادمًا له في حياته، مؤكدًا لدعوته بعد وفاته، ولكن كفوًا لموسى محمد ﷺ فإنه مماثل في نصب الدعوة،

والتحدي بالمعجزات، وشرع الأحكام، وإجراء النسخ علي الشرائع السالفة. وقوله أجعل كلامي في فمه إشارة إلى محمد ﷺ : معناه أوحى إليه من غير ألواح ولا صحف، لأنه أمة لا يقرأ الكتاب، ولا يخطه بيمينه .



تحريف الإنجيل (١)

وانتقل إلى الإنجيل فقال :

واستخبروا الإنجيل عنه وحاذروا من لفظه التَّحْرِيفَ والتَّبْدِيلَ

أسباب التحريف والتبديل وأدلة وجود التحريف

قال الناظم نثرا :

«ذكر بعض العلماء أن سبب التحريف والتبديل في الإنجيل، وفساد عقائد النصارى، أن الحواريين لما توفوا، وتفرَّق شمل النصارى، واختلفت أقوالهم، واستضعفوا حتى لا يوجد أحد منهم إلا قُتل ومُتَّلَّ به، بعد انقضاء أربعين سنة من رفع المسيح ﷺ تمادت أعمال دينهم إلى نحو ثلاث مئة سنة، وقيل مئتين وثلاثاً وثلاثين سنة، وفي ذلك الزمن اضطربت مملكة قسطنطين ملك الروم، فأراد أن يحملهم على شريعة ينظم بها سلوكهم، ويؤلف متفرقهم. فاستشار من لديه من أهل النظر، فوقع اختيارهم على أن يتعبد القوم بطلب دم، ليكون ذلك أقوى لارتباطهم معه، ويؤيد بجيشهم في نصره، فوجدوا اليهود يزعمون أن في بعض تواريخهم خبراً عن رجل كان منهم، هم أن ينسخ حكمة التوراة، ويتفرد بالتأويل فيها، فعمدوا إليه وهو في نفر ممن تبعه، وظفروا بواحد منهم، وشهد رجل واحد أنه ذلك المطلوب، فصلبوه وماعندهم تحقيق أنه ذلك المصلوب بعينه، إلا أن فقدهم إياه من حينئذ، فعمد قسطنطين إلى من وجد من أمة عيسى، وقد اختلفت دعائها بعد المسيح بأربعين سنة، فاستخرج قسطنطين ما تبقى رسم

(١) لقد تحدث البوصيري في بداية قصيدته «المخرج والمردود على النصارى واليهود» عن النصارى وتحريفاتهم وسخافة عقولهم بجعل عيسى ﷺ إلهاً . وقد تم شرح ما ذكره بشيء من التفصيل . وعاد ها هنا ليتحدث عن تحريف الإنجيل .

الشريعة بأيديهم، وجمع عليه وزراءه، فأثبت ما شاء وما رآه، موافقاً لاختياره، كالقول بالصلوبية، ليتبعه قومه بطلب دم، والقول بترك الختان، لأنه شأن قومه، وذلك أول شيء أظهره من هذا الأمر، فجمع أنصاره ورعاياه من الروم ذكر لهم أنه كان يرى في منامه آتيا أتاه، فيقول له بهذا الرسم تغلب، وتعرض عليه هيئة صليب، فأعظم ذلك العامة، وانضلت لما سمعت منه. ثم بعث إلى امرأة كانت في ذلك الزمان كانت فيها روح كهانة، وكانت ذات جأش وقوة، فشهدت له أنها رأت مثل ما رأى، وقوى تصديق العامة لذلك، وفي ذلك كله لا يرون لذلك الرسم تأويلاً، ولا كان قسطنطين كشف لهم شيئاً من أمره، وخرج بهم إلى عدوه، ووعظهم وهون عليهم أمر الرسم، فحصل لهم كل ما أرادوا من جد القوم واجتهادهم معه، فلما عادوا إلى أوطانهم سألوهم عن تأويل ذلك الرسم، ولجّوا عليه فيه، فقال: إنه قد أوحى في نومي أنه كأن الله تبارك وتعالى هبط من السماء إلى الأرض، وصلبته اليهود، فهالهم ذلك كثيراً مع ما حصل عندهم من تصديقه، وعظم عليهم الخطب فيه، وانقادوا إلى قسطنطين انقياداً حسناً، وصحّ له منهم ما أراد، وشرع لهم هذه الشرائع على بعض ما هي عليه، وقد ظهر لجماعة من أهل العلم في ذلك الزمان غير أولي الشرائع، أن هذا الشخص الذي تعظمه النصارى وتصفه بالإلهية، لم يكن وجوده في العالم، ولكن قسطنطين ابتدع لهم ذلك كله، واتفق مع نضر من أحبار اليهود وعلمائهم على أن يبذل لهم ما شاءوا من متاع الدنيا، ويشهدون له عند قومه بأن ذلك الشخص كان عند اليهود، فصلبته، وأن يضع الأحبار ذلك مسطوراً عند اليهود. ففعلت وألفت من أخباره شيئاً، وشهدت أن ذلك القول جميعه بعد صلب ذلك الشخص بسنين قلائل،

فبقيت النصرارى على ذلك الإحداث في شريعتهم، مع السماعات
بمنامات تدعيها النساء والصبيان، ومن لا يوثق به بدون ذلك وإبدال ما
كان بأيديهم، ورأوا ما في الإنجيل من إجراء صفات البشرية على
المسيح، فقالوا بالحلول. واختلفوا في تلك العقائد، وسوغوها بألفاظ
فلسفية ما أنزل الله تعالى بها من سلطان، ولا شهد بها كتاب قبل
ذلك. وفي الإنجيل من تناقض الأقوال ما يدل على التبديل كثيراً؛ فمن
ذلك قول المسيح: «أنا الباب، فمن دخل عليّ يسلم ويجد فرجاً أبداً». «فمن
عرّض بمن قتله من الأنبياء فجعلهم لصوصاً وسُراقاً، فقال آمين
آمين، أقول لكم إنني أنا باب الضأن، والقادمون عليكم كانوا لصوصاً
وسُراقاً، ولا يقبل اللص إلا ليسرق شيئاً ويقتل، وأنا قدمت لتحيوا
وتزدادوا أجراً»، وفي الإنجيل منه: «إني كنت أشهد لنفسي فشهادتي
حق، لأنني أعلم من أين جئت وإلى أين أذهب» وكيف تكون شهادته حقاً
وباطلاً، ومقبولة وغير مقبولة، وكيف يجمع بين هذين في كتاب ينسب
إلى الله تعالى. وفي الإنجيل أنه «حين استشعر بوقوف اليهود عليه
بظنكم، قال «قد جزعت نفسي الآن، فماذا أقول يا أبتا؟ فسلمني من
هذا الوقت» وأنه حين رفع في الخشبة صاح صياحاً عظيماً «إلهي
إلهي: لماذا تركتني؟» وفي موضع آخر من الإنجيل أنه قال قبل ذلك:
«من أحبّ أن يقفو أثري فليذهب، فحرّض على إتلاف النفوس، فكيف
يجزع مما حرّض عليه؟ أم كيف يكون إلها ويجزع نفسه؟ أم كيف يكون
ابن الله ويدعوه أن يخلصه من ذلك الوقت، فلم يستجب له ؟

«وفي الإنجيل عن يوحنا الحواري حين ذكر نسب عيسى عليه
الصلاة والسلام من يوسف بن يعقوب بن أليعازر بن اليود بن أخيم،
وعدّ إلى إبراهيم الخليل تسعة وثلاثين أباً. ثم في إنجيل لوقا الحواري

أنه ابن يوسف بن هالي بن لاوي بن ملحان بن ينان بن حنان، وعدّ إلى إبراهيم نيفا وخمسين أبًا، فكيف يقع هذا الاختلاف في كتاب الله؟ وفيه أنه كان يومًا نهاهم عن التجارة في بيت المقدس، وأن اليهود قالت له يومئذ: أي علامة تظهر لنا؟ قال: تهدمون هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالت اليهود: بيت بني في خمس وأربعين سنة، تبنيه أنت في ثلاثة أيام؟ وفي موضع آخر منه لما ظفرت به اليهود بظنكم، وحمل إلى بلاد عامل قيصر، واسترعت عليه البنية أن شاهدي زور جاء وقالوا: هذا يقول أنا قادر على بنيان هذا البيت في ثلاثة أيام. أجزلي كيف استخرتم أن تسموهما شاهدي زور، وقد شهد نصّ كتابكم أنه قال ذلك! فإن قلت إن اليهود ظنوا بهذا القول عما عنى عيسى ﷺ فإن الشاهدين لم يشهدا على تأويل، إنما شهدا على لفظه وما نطق به لسانه .

«ومما هو نص في كتابكم ، وأى تأويل لهذا غير ما يظهر من فحوى مجاوبة اليهود، من أن البيت المعنى فيه بيت المقدس، إنما أراد جسمه، وأنه قام بعد ما صلب بثلاثة أيام. ومن عجيب الأشياء أنكم تأولتم على اليهود في ذلك ما أقررتم أنهم لم يقصدوا له، وذلك حين قال لهم عيسى : اهدموا هذا البيت وأبنيه لكم في ثلاثة أيام، فقالوا : بيت بني في خمس وأربعين سنة تبنيه في ثلاثة أيام! فقلتم في معنى ذلك إنها التربة التي صنعت منها الخمسة وأربعون من أقطار الأرض، وإن الأحرف التي في ابتداء السطر إذا حصلت وجدت آدم، وأكدتم التصديق بهذا الهذيان الذي لا يؤدي إلى معنى، بإخراج العدد من اسم آدم حين نزلت حروفه بحساب أبي جاد، على خمسة وأربعين من العدد، وأعجب الأشياء من هذا، ولكن أسلافهم جرى بينهم وبين

المسيح هذا المجلس. وفيه أن يحيى قال : «فيه أنه يكثر ولا ينقص» وكيف تجوز الزيادة والنقص على ما كان إلها. وفيه عن لوقا أن عيسى عليه السلام قال لرجلين من تلاميذه: «اذهبا إلي الحصن الذي يقابلكما، فإذا دخلتماه فتجدان قُلُومًا مريوطًا لم يركبه أحد، فحُلَاهُ وأقبلَا به إليّ» وفيه لمن يذكر أنها كانت حمارة متعبة، وكفى بذلك شكًا. وفيه للوقا يخبر عن المرأة التي صببت الطيب على رجلي عيسى عليه السلام وشق ذلك على التلاميذ، وقالوا هلا تصدقت به، وفيه لمتى : أنها إنما صببت الطيب على رأس المسيح عليه السلام فما أبعد اليقين من كتاب فيه مثل هذا الاختلاف! وفيه أن أم ابني سيدة جاءت إلي عيسى عليه السلام ومعها ابناها، فقال : ما تريدين ؟ فقالت : أريد أن تجلس ولدي : أحدهما عن يمينك والآخر عن يسارك إذا جلست في ملكك، فقال : تجهلين السؤال، أيصبران على الكأس التي أشربها، فقالا : نصبر، فقال : سيشربان بكأسي، وليس إلي تجليساكما عن يميني وعن شمالي إلا بمن وهب ذلك إلي، فهذا هو ذا عيسى عليه السلام قد أقر أنه ليس له من الأمر شيء. ومن تناقض إنجيلكم أنه قال : «لا تحسبوا أنني قدمت لأصلح بين أهل الأرض. لم آت بصلاحكم لكن لألقي المحاربة بينكم، إنما قدمت لأفرق بين المرء وأبيه والبنت وأمها، حتى يصير أعداء المرء أهل بيته». وفيه عنه أنه قال : «لم آت لأنقض شريعة من قبلي إنما جئت لأتمم». ثم فيه بعد ذلك نقض التوراة وأحكامها بقوله : «أما علمتم أنه قيل للمقدماء لا تقتلوا، ومن قتل استوجب القتل، وأنا أقول كل من سخط على أخيه فقد استوجب العقوبة، ومن قذف أخاه فقد استوجب النفي من الجماعة، ومن رماه بالخرق فقد استوجب نار جهنم. أما علمتم ما قد قيل للمقدماء : من فارق امرأته فليكتب لها كتابًا بطلاق،

وأنا أقول لكم من فارق امرأته منكم فقد جعل لها سبيلاً إلى الزنى، ومن تزوج بمطلقة فهو فاسق، وقوله : أما بلغكم أنه قد قيل للقدماء : العين بالعين، والسن بالسن، وأنا أقول لكم : لا تكافئوا أحداً بسيئة؟ ولكن من لطم خدك الأيمن فانصب له الأيسر، ومن أراد مغالبتك وانتزاعك قميصك فزده رداءك، ومن سخرك ألف باع فاصحبه مثلها، ومن سأل شيئاً فأعطه، ومن استسلفك شيئاً فأسلفه. وفيه لمتى عن المسيح أنه قال لبيطره^(١) : طوبى لك يا شمعون بن الحمامة وأنا أقول لك إنك الحجر، وعلى هذا أبتني بيعتي، وكلما أحللتها على الأرض يكون محلولا من السماء، وما عقدته على الأرض يكون معقوداً في السماء». ثم فيه بعد أحرف يسيرة: يقول له بعينه : «أذهب عني يا شيطان، ولا تعارض فإنك جاهل، فكيف شيطان يطيعه صاحب السماء؟ وفيه أيضاً أنه لم تلد النساء مثل يحيى، هذا في إنجيل متى. ثم في إنجيل يوحنا أن يحيى بعث إليه من اليهود من يكشف له عن أمره، فسأله : أهو المسيح؟ قال : لا، فقالوا : أنت نبي؟ قال : لا، قالوا : أخبرنا من أنت؟ قال : صوت كلام مناد في المغار، إلى كلام كثير ينفي عن نفسه كونه نبياً، ولا يجوز لنبي أن ينكر نبوته في هذا الكلام. وقد ذكر عيسى ﷺ أنه لا يصلح أن يحل شركاء نعله، وسماه خروف الله، وأنتم تقولون هو الله، ولذلك تتأولون من الإنجيل الذي بأيديكم أنه لا نبي بعده. وفيه أيضاً من جهة أخرى أنه يبعث أنبياء في قوله لليهود : وسأبعث إليكم أنبياء وعلماء وستقتلون منهم وتصلبون وتجلدون في حماكم وتطلبونهم من مدينة إلى أخرى، وفي كتبكم أنه كان بعده بأنطاكية أنبياء، منهم يارينا وشمعون وثوقيوس ومانالي، وكذلك في كتبكم أنه قدم أنبياء من بيت المقدس، وتكلم أحدهم وكان

(١) المقصود : بطرس (بيتر) ومعنى الكلمة : الصخرة أو الصفاة، واسمه الحقيقي شمعون .

يسمى أنحيانوس، وقال إنه يكون في البلاد فجاجة وقحط شديد، وفيها أن جرجيس الذي كان من بعده وبعث إلى ملك الموصل وهو من أهل فلسطين، وكان أذن لبعض الحواريين وأنتم القائلون أن لا نبي بعد المسيح، وأنتم مصدقون نبوة هؤلاء كلهم، ولم يكن من الذكر في الكتب ولا النبوات مثل الذي كفرتم به». انتهى كلام البوصيري .

قلتُ : لقد قام البوصيري رحمه الله بتوضيح أدلته في تحريف النصارى لما يسمى الأناجيل، وقد تقدمت الدراسات حول العهد الجديد والعهد القديم خلال القرنين الماضيين، وثبت لدى أهل الكتاب أنفسهم من العلماء بدينهم أن التوراة الحالية لم يكتبها موسى ﷺ، ولا علاقة لها بموسى (سوى الوصايا العشر)، وأن الأناجيل المختلفة لا علاقة لها بعيسى ﷺ . ولم يكتبها الحواريون كما كان يقال، وإنما كتبت بعد أزمنة من رفع عيسى . وبقيت هذه الأخبار تتناقل شفويا (دون إسناد) وتم تأليف عشرات الأناجيل، ثم في مجمع نيقية سنة ٣٢٥ بإشراف الإمبراطور قسطنطين الطاغية تم الاتفاق على أربعة أناجيل وإيجاد عقيدة نيقية التي نادت بالتثليث والتي استعرضناها في بداية شرح قصيدة البوصيري هذه عند كلامه عن النصارى .

وتم الاتفاق بين مجموعة من الأساقفة مع قسطنطين على هذه العقيدة وعلى الأناجيل التي ستعتمد ورفض الأخرى. وكان في مؤتمر نيقية ٢٠٤٨ من الأساقفة ولم يوافق على عقيدة التثليث، وعلى تحديد الأناجيل بأربعة إلا ٣١٨ أسقفا فقط من جملة الأساقفة (٢٠٤٨) ، وقام الإمبراطور الروماني قسطنطين بتأييد الأقلية وفرض رأيها لأنه يوافق هواه، ويرفع مكانة الإمبراطور ليكون نائبا للمسيح في الأرض. وليدخل عقيدة التثليث والصلب، ويسمح بالخنزير وعدم الختان، مما

يرضي رعاياه في هذه الإمبراطورية الواسعة .

متى تم الاعتراف بالعهد الجديد ؟

تقول الطبعة المسكونية (العالمية) الكتاب المقدس العهد الجديد^(١) :
«لم يطلق اسم العهد الجديد على المؤلفات السبعة والعشرين التي
نسميها اليوم العهد الجديد إلا في أواخر القرن الثاني بعد الميلاد، ولم
تكن تعتبر أسفاراً مقدسة، بل كان العهد القديم هو الكتاب المقدس
الأوحد لديهم. وهو الذي كانوا يسمونه الشريعة والأنبياء .

«إن تأليف تلك الأسفار السبعة والعشرين وضمها في مجموعة
واحدة أديا إلى تطور طويل ومعقد ، والفجوة التاريخية والجغرافية
والثقافية التي فصلنا عن العهد الجديد هي عقبة كأداء يعسر
فهمها.

الاعتراف بتحريف الأنجيل من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي:

«وقد نسخت تلك النصوص مرارا، واختلفت تلك النسخ اختلافا
شديدا. إن نسخ العهد الجديد التي وصلت إلينا ليست واحدة، بل
يمكن للمرء أن يرى فيها الفوارق المختلفة الأهمية ولكن عددها كبير
جدا... إن نص العهد الجديد قد نُسخ ثم نُسخ طوال قرون كثيرة بين
نساخ صلاحهم للعمل متفاوت . وما من أحد منهم معصوم من
مختلف الأخطاء التي تحول دون أن تتصف أي نسخة مهما بذل فيها
من الجهد بالموافق التامة للمثال الذي أخذت عنه. يضاف إلى ذلك أن

(١) الكتاب المقدس : العهد الجديد، دار المشرق، بيروت الطبعة ١٩ سنة ٢٠٠٠ . وهذه الطبعة
المسكونية أى العالمية تمثل الفاتيكان (رؤساء الكاثوليكية) ومجلس الكنائس العالمي الذي يمثل
جميع الكنائس الأخرى. ولذا فإن كلامها هام جدا لأنه يمثل ما يشبه إجماع علماء النصارى
في العالم اليوم .

بعض النساخ حاولوا أن يصوبوا ما جاء في مثالهم، وبدا لهم أنه يحتوى على أخطاء واضحة، أو قلة دقة في التعبير الالهي. وهكذا أدخلوا إلى النص قرارات جديدة تكاد تكون كلها خطأ... ومن الواضح أن ما أدخله النساخ من التبديل والتغيير على مرّ القرون تراكم بعضه على بعضه الآخر، فكان النص الذي وصل إلى عصر الطباعة (القرن الخامس عشر الميلادي) مثقلا بمختلف ألوان التبديل التي ظهرت في عدد من القراءات... ولا يرجى في أي حال من الأحوال الوصول إلى الأصل نفسه.

وكفى بهذا النص دليلا على التحريف. وهم يعترفون أن ما يسمى العهد الجديد لم يظهر إلا في نهاية القرن الثاني بعد الميلاد. ولم يعترف به إلا في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥ بعد الميلاد وقد ضم العهد الجديد : الأناجيل الأربعة التي اختيرت من بين عشرات الأناجيل الأخرى. كما ضمت مجموعة كبيرة من رسائل بولس أو تلك الرسائل المنسوبة إليه بالإضافة إلى رسالة يعقوب ورسالتى بطرس، وثلاث رسائل ليوحنا، ورؤيا ليوحنا (ولا أحد يعرف من هو يوحنا هذا؟ هل هو كاتب انجيل يوحنا؟ وقد أنكروا تماما أن يكون كاتب الإنجيل هو أحد الحواريين لأن الحوارى الذي كان مع يسوع كان إنسانا بسيطا ولا يعرف اليونانية ولا الفلسفة وكاتب انجيل يوحنا فيلسوف وله لغة يونانية عالية). ورسالة ليهودا (قطعا غير يهوذا الأسخريوطى الذي باع المسيح بثلاثين شاقل من الفضة). ومجموعة هذه الإناجيل والرسائل ٢٧ سفرا.

الرهبانية اليسوعية وتحريف الكتاب المقدس :

وتقول الرهبانية اليسوعية عن أسفار الكتاب المقدس بأكمله (العهد القديم والعهد الجديد)^(١) أسفار الكتاب المقدس هي عمل مؤلفين ومحررين ظل عدد كبير منهم مجهولا ، لكنهم على أي حال لم يكونوا منفردين لأن الشعب كان يساندهم... معظم عملهم مستوحى من تقاليد الجماعة. وقبل أن تتخذ كتبهم صيغتها النهائية انتشرت زمنا طويلا بين الشعب، وهي تحمل آثار ردود فعل القراء في شكل تنقيحات وتعليقات، وحتى في شكل إعادة صياغة بعض النصوص إلى حد هام أو قليل الأهمية .. وكل هذه الكتب عُدلت وبيدلت مرارا وأضيف إليها وأسقط منها .

وهذا الكلام الصادر من أعلى الهيئات الكنسية في العالم المثلة بالفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي الذي قام بإصدار الكتاب المقدس ووضع له شروحا ومقدمات وقامت الرهبانية اليسوعية في بيروت بالترجمة من اللغة الفرنسية من الطبعة المسكونية العالمية المعتمدة، هذا الكلام يلغي الحاجة إلى أي نقاش حول تحريف الكتاب المقدس .

فهذه المراجع العليا للدين المسيحي تُقرأ وتعلن أن الكتاب المقدس بشقيهِ القديم والجديد ليست إلا عمل محررين مجهولين. وانها حُرِّفت وبيدلت وغيِّرت على مدى القرون. وأن لا علاقة بين هذه الكتب وبين الكتب الأصلية. وهذا أكثر بكثير مما كان يقوله أشدُّ النقاد من المسلمين لهذه الكتب المحرَّفة .

(١) الكتاب المقدس : كتب الشريعة الخمسة، مدخل إلى الكتاب المقدس، من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية)، إصدار الرهبانية اليسوعية ، بيروت، دارالمشرق ١٩٨٥ .

الأب سیداروس والعهد الجديد :

ويكفيها ها هنا أن ننقل ما جاء في كتاب الأب سیداروس اليسوعي «تكوين الأنجيل»، وهو أحد سلسلة دراسات رسمية للكتاب المقدس تصدرها الرهبانية اليسوعية في لبنان، إصدار دار المشرق، بيروت .

«ليس الكتاب المسيحي (العهد الجديد) كتاباً منزلاً كتبه الله، بل هو كتاب بشرياً لهام الروح القدس، وسيجرنا الحديث إلى أن نقرباًن الكتاب كان في بداية أمره عبارة عن رواية شفوية تداولتها الجماعات المسيحية الأولى، ثم دونها الإنجيليون الأربعة، كلُّ بأسلوبه الخاص وقصده اللاهوتي الخاص .

«وستقودنا دراساتنا إلى الإقرار بأن هذه الأنجيل الأربعة ليست بمثابة تحقيق صحفي أو كتاب تاريخ يراد به تدوين وقائع حديث لرجل اسمه يسوع الناصري . فالأنجيل هي شهادة وإعلان ليسوع المسيح الممجد في سرِّ موته على الصليب، وقيامته من بين الأموات. ومن منطلق سرِّ حدث موته قيامته كمحور وهدف ، ذهبت الأنجيل إلى سرد أحداث حياة يسوع الناصري من ميلاد ومعجزات وأقوال.. فكل ما قلناه يكفي ليقنع باحثاً سطحياً أن الأنجيل قد حُرِّفها المسيحيون. إذ بين يسوع الناصري والروايات الشفهية والتدوين الرباعي عن يسوع الممجد فجوة وهاوية. والحقيقة كما تبيناها هي أن الأنجيل والعهد الجديد بمجمله كتاب إيمان لا كتاب تاريخ» .

وذلك يعني أنه كتاب لا يصمد للنقد أو التفكير أو العقل أو أي ميزان نقدي، والحلّ الوحيد هو «اترك عقلك وابتعني»، فهذا كتاب إيمان، فإن آمنتم به فتعالى إلينا ، أما إذا كنت تريد التفكير والتمحيص فليس هذا طريقك !!

دائرة المعارف البريطانية تتحدث عن أسباب التحريف :

تتحدث دائرة المعارف البريطانية الموثقة عن الفترة الشفوية الطويلة لكل من كتب العهد القديم والعهد الجديد فتقول : «إن مرور فترة طويلة من الزمان تم فيها انتقال التعاليم والكتب شفويا أدى إلى حذف واختصار وإضافة لتلك التعاليم والكتب عندما جاءت فترة الكتابة والتدوين. ولم تصل إلى فترة التدوين إلا بعد تحويرها وتغييرها تغييرا كبيرا جدا. ثم إن المعضلة ازدادت بعد فترة التدوين التي امتدت إلى عدة قرون. وكان كل كاتب يضيف ما يراه مناسباً . ثم إن عمليات النسخ من هذه الكتب واجهت عمليات متعددة من التغيير المتعمد وغير المتعمد. وذلك أن الناسخ قد يرى أن المادة المكتوبة تؤدي إلى تغيير في العقائد، أو تهديد لها، فيقوم هو بكتابة ما يظنه الحق والصواب، مقتنعا بأن روح القدس يوجهه إلى الصواب. هذا بالإضافة إلى أخطاء النساخ المعروفة في حذف سطر أو كلمة أو تغييرها دون قصد. وإذا عرفنا أن عملية كتابة العهد القديم تمتد إلى مدى أكثر من ألف عام فإننا ندرك دون ريب مدى التغيير الذي سيلحق بهذه الكتب في هذه العقود والأزمان المتطاولة» (١) .

وتتحدث دائرة المعارف البريطانية عن الترجمة الإنجليزية المشهورة بترجمة الملك جيمس والتي تعتبر موثقة ومعترفا بها، والتي ظهرت عام ١٦١١ . ثم تتابعت التصويبات والتغييرات وفي عام ١٨٧٠ قام مجمع كانتربري الكنسي بدراسة هذه الطبعة ووجد فيها أخطاء كثيرة. وقامت لجان من بريطانيا والولايات المتحدة، وعملت عملا دؤوبا وصدرت طبعة جديدة سنة ١٨٨١ وقد قامت هذه اللجان بإحداث

(١) دائرة المعارف البريطانية، الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ الميكروبيديا ج ٢/٨٨٤، ٨٨٥ .

ثلاثين ألف تغيير في ترجمة الملك جيمس الموثقة والمعتمدة. وتقول دائرة المعارف البريطانية : إن خمسة آلاف من هذه التغييرات والتصويبات هامة جداً،^(١) تصور ثلاثين ألف تغيير وتصويب في العهد الجديد فقط (وهو عشر الكتاب المقدس المحتوى على العهد القديم والعهد الجديد) في إطار الترجمة الموثقة والمُعترف بها المعروفة بترجمة الملك جيمس المشهورة !!

واستمرت التغييرات في عام ١٨٨٥ ، وفي عام ١٩٠٠ قام الأمريكيان بإصدار ترجمة جديدة للعهد الجديد ثم تلتها ترجمة أخرى للعهد القديم واستمرت التغييرات كل بضعة أعوام حتى صدرت الترجمة المعيارية الأمريكية المنقحة The Revised Standard Version عام ١٩٢٨ التي تم تغييرها تغييراً رهيباً عام ١٩٣٧ . ثم واجهت مزيداً من التغييرات والتبديلات عام ١٩٤٦ ثم عام ١٩٥٢ ثم عام ١٩٥٧ (دائرة المعارف البريطانية ج ٢/٨٩٢) ولا تزال التغييرات مستمرة . وتظهر كل بضعة سنوات ترجمة جديدة باللغة الانجليزية تزعم أنها أدق وأضبط من سابقتها وانها قامت بجهد عظيم واعتمدت على مخطوطات اكتشفت حديثاً .. وهكذا دواليك .

والأمر كذلك بالنسبة لجميع اللغات الأخرى. وكل طبعة من الطباعات تختلف عن سابقتها في تلك اللغة وتزعم أنها الأصح والأدق ثم ما تلبث لجنة أخرى كنسية تصدر طبعة جديدة باسم الجامع الكنسية وتغيّر فيما سبق كما تشاء لها الأهواء والميول والعقائد .

وفي اللغة العربية هناك أكثر من مائة ترجمة وما كان يوجد في الترجمات القديمة حذف وأضيف إليه وغير فيه وبُدّل . وتقول

(١) المصدر السابق ج ٢ / ٨٩١ .

الترجمة العربية المشتركة التي أصدرها دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ببيروت عام ١٩٩٧ «وأما بالنسبة إلى العربية فهناك أكثر من مائة ترجمة للكتاب المقدس» ويؤكد ذلك أيضا مترجمو «الإنجيل كتاب الحياة» حيث يقولون : إننا قد أخذنا بعين الاعتبار الترجمات العديدة في اللغة العربية التي صدرت خلال السنوات العشرين الماضية فضلا عن الترجمات المعروفة في القرون السابقة والتي يزيد عددها عن المائة» وقد اعتمد ما جدُّ من معلومات ومن الترجمات باللغات الإنجليزية والفرنسية وصححوا الأخطاء الكثيرة والرهيبية الموجودة في الطبقات والترجمات السابقة .. وحذفوا ما شاؤا وأضافوا إلى ترجمتهم ما أرادوا. والخلاصة أنه لا توجد طبعتان متطابقتان للكتاب المقدس بأى لغة من اللغات .

دائرة المعارف البريطانية والعهد القديم :

تتحدث دائرة المعارف البريطانية^(١) عن العهد القديم وأسفاره فتقول : إن العهد القديم كتاب يمثل تراث الشعب الإسرائيلي وتراث شعوب أخرى كثيرة، وأن أسفار موسى الخمسة المعروفة باسم التوراة والناموس لم يكتبها موسى، وإنما كتبت بعد وفاته بقرون طويلة جدا. وأول ما كتب من التوراة هو عند تكون مملكة داود حوالي ألف عام قبل الميلاد ثم في عهد سليمان (٩٦١ - ٩٢٢ قبل الميلاد). وفي القرن التاسع قبل الميلاد تم تحرير النص اليهودي الذي يذكر فيه اسم الله بيهوا (يهوة)، ثم أضيف النص الالهيمي الذي يذكر فيه اسم الله باسم ألوهيم. ثم أضيف النص الكهنوتي، وهكذا إلى عهد النبي في بابل في القرن الخامس قبل الميلاد. ولم يتم توحيدها في نص واحد إلا في

(١) دائرة المعارف البريطانية الطبعة ١٥ لعام ١٩٨٢ ج ٢ / ٧٨٩ (المايكروبيديا) .

القرن الأول بعد الميلاد أى بعد عهد موسى ﷺ بأكثر من ألف وأربعمائة عام .

وتقول دائرة المعارف البريطانية : إن أسفار العهد القديم كتبت في عصور مختلفة وايدي كتاب مختلفين ذوى ثقافات مختلفة متباينة، ثم إن النص اليوناني المعتمد يختلف عن النص العبري اختلافاً بيناً . وفيه زيادات كثيرة في مختلف الأسفار ويرجع النص اليوناني إلى القرن الرابع بعد الميلاد .

والمشكلة أن النص العبري ضاع منذ فترات مبكرة، وذلك بسبب الحروب والنفي وعدم الاهتمام بقراءة الكتاب المقدس سوى فى الأعياد والمناسبات مثل عيد المظال. وبقي النص اليوناني الذي وضع حسب زعمهم في زمن بطليموس الثاني (القرن الثالث قبل الميلاد) والمشهورة باسم الترجمة السبعينية Septaguint . وهو أمر تشكك فيه الرهبانية اليسوعية وشراح الكتاب المقدس ودائرة المعارف البريطانية. والتي تقول إن هذه الترجمة اليونانية تمت على مدى قرون بحذف وإضافة ولم تتم في سبعين يوماً على يد سبعين من الأبحار كما يزعمون .

ثم إن ضياع النصوص العبرية، اضطر الأبحار إلى أن يترجموا كتابهم من النص اليوناني.. وقد أدت هذه العمليات المسخية إلى مزيد من التحريف والتناقض .

تقول الرهبانية اليسوعية^(١) عن الترجمة السبعينية :

«وبالرغم من كون هذه الأسطورة المروية خالية من القيمة التاريخية،

(١) الكتاب المقدس : كتاب الشريعة الخمسة، مدخل إلى الكتاب المقدس من الترجمة الفرنسية المسكونية (العالمية) الصادرة عن الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي وإصدار الرهبانية اليسوعية ببيروت، دار المشرق، ١٩٨٥ .

يمكننا أن نأخذ بالتاريخ الذي تشير إليه، لأنها من جهة أخرى تدل على أن اليهود الناطقين باليونانية كانوا ينسبون إلى شريعتهم هذه ما ينسبون إلى نصها العبري من قيمة تنظيمية وكانوا لا يترددون في أن ينسبوا للمترجمين إلهاما حقيقيا.. غير أن الجماعة اليهودية في الإسكندرية لم تكتفِ بأن تنقل إلى اليونانية الأسفار القانونية الأولى (التوراة : الأسفار الخمسة : أسفار الشريعة : البنتاتوك) ، وأهم المؤلفات الصادرة تحت أسماء مستعارة، فهناك كتب أصلية صدرت في الاسكندرية ولا سيما «حكمة سليمان» وسفر المكابيين الثاني، وعلى الأرجح جزءاً من سفر باروخ» .

وتقول هذه الدراسة القيمة : «لم يكن هناك حدود للكتابات المعترف بها لدى حاخامات اليهود باعتبارها وحيا من الله، لأن الإضافات كانت مستمرة والقائمة مفتوحة»^(١) .

وتقول : «وكل هذه الكتب عدلت وبتدلت مرارا، وأضيف إليها وأسقط منها، ولم تتخذ شكلها النهائي إلا في القرن الأول بعد الميلاد. بل إن النص المسوري وهو الصيغة الرسمية للعهد القديم لم تقرر نهائيا إلا في القرن العاشر بعد الميلاد (أي بعد أكثر من ٢٣٠٠ عام على عهد موسى ﷺ) .

مجموعة من علماء اللاهوت ينكرون عقيدة التثليث وتأليه عيسى:

ويقول مؤلفو كتاب اسطورة تجسد الآله "The Myth of God Incarnate"^(٢) وهم سبعة من علماء اللاهوت في أربع جامعات

(١) المصدر السابق .

(٢) المحرر الرئيسي : جون هيك ، The Myth of God Incarnate ed John Hick SCM Pness, جون هيك ، London 1977 وقد ترجمة الدكتور نبيل صبحي دار القلم الكويت عام ١٩٨٥ . وكانت =

بريطانية: «لقد اتضح لمؤلفي هذا الكتاب كما اتضح لعدد كبير من مسيحيين اليوم أن المسيحية على امتداد تاريخها كانت حركة نامية ومتغيرة باستمرار.. وفي القرن التاسع عشر قامت المسيحية في الغرب بتعديلين رئيسيين في مواجهة التوسعات الهامة للمعرفة الإنسانية ، فقد قبلت أن الانسان هو جزء من الطبيعة، وأنه برز ضمن تطور أشكال الحياة على هذه الأرض. وقبلت أن الأناجيل كُتبت بأقلام عدة أشخاص في حالات متنوعة، ولا يمكن أن يُضفى على كلماتها عصمة الأمر الإلهي» وهي بالتالي مليئة بالأخطاء التاريخية والعلمية ومليئة بالتناقضات . ويؤكد المؤلفون على أهمية الاعتراف بأن يسوع المسيح كان بشرا، وظلَّ بشراً، ومات بشراً، وأنه إنسان اختاره الله ليؤدي رسالة هامة جدا. وأنه لم يكن أبداً جزءاً من الذات الإلهية، ولا تجسّد الإله فيه، وأن هذه الأسطورة ينبغي أن يعترف بأنها لا حقيقة لها. وأن ما كان يعتبر لبَّ المسيحية، ولا إيمان بدونها أمر غير صحيح. ولا بد من الاعتراف بأنها أسطورة تعطي صورة شاعرية عن تقدير المؤمنين في عصر كانت فيه الآلهة تتجسد.. (أساطير اليونان والرومان والفرس والهند ومصر وسوريا الكبرى).. وكان الحاكم يعتبر نفسه إلهاً أو ابن الآلهة. ولم يكن غريباً في ذلك العصر الملىء بالخرافات والأساطير أن يدّعي أحداً أنه الإله ، أو أن الإله تجسّد فيه. كما أن عقائد التثليث والآلهة المثلثة كانت منتشرة جدا في كل تلك الصقاع، وفي مختلف الشعوب المحيطة بفلسطين ، وفي العالم الهلينستي^(١) وخارجه. ولذا

=الترجمة غير دقيقة لصعوبة الكتاب ومصطلحاته اللاهوتية المعقدة. وقد قمت باختصار الكتاب من أصله الإنجليزي واستعنت بالترجمة العربية وجعلته الفصل السابع في كتابي : دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية، دار القلم، دمشق ٢٠٠٦ .
(١) الهلينستي : المتحدثون باليونانية خارج اليونان وكانت تضم تركيا وسوريا الكبرى وشمال مصر .

فلا يُستغرب أن يتقمص رجال الكنيسة ابتداءً من بولس ومن جاء بعده إلى مؤتمر نيقية (سنة ٣٢٥) عقيدة التثليث، وعقيدة تجسد الإلهة. وعلى المسيحيين أن يعترفوا بأن ذلك كله أسطورة من الأساطير، ولا يمكن الدفاع عنها بأى حال من الأحوال.. وينتهى إلى القول «إن أملنا هو تحرير الحديث عن الله، وعن يسوع من الخلط والتشويش، محررين بذلك الناس لخدمة الله في الطريق المسيحي بكمال أكثر» .

ويستخدم دون كوبيت أحد محرري الكتاب وعميد كلية عمانت ويل بجامعة كامبردج حجج يوحنا الدمشقي (٦٧٥ - ٧٤٩م) عندما قالوا له: إن الايقونات (تماثيل صغيرة تستخدم للعبادة في البيوت، وهي تمثل يسوع ومريم) ليست في الكتب المقدسة. وردَّ يوحنا قائلاً: لن تجدوا أيضاً في الكتب المقدسة التثليث وثائية طبيعة المسيح (ناسوت ولاهوت). واعترف يوحنا الدمشقي أن الايقونات والتثليث والتجسد، كلها بدع ادخلت على دين يسوع المسيح لتقوية الإيمان حسب زعمه، ولا بد في نظره من التمسك بها، ويزعم يوحنا الدمشقي أنه إذا ضاعت هذه البدع فإن الإنجيل كله يصبح مهدداً بالضياح ويعلق على ذلك كوبيت، فيقول: إن هذا الأمر غير صحيح. وأن كلام يوحنا الدمشقي يكشف صورة غريبة من المسيحية، وهي التقلب وعدم الثبات، والسرعة التي تُضفى فيها القداسة الدينية على البدع لدرجة أن كل من يشك فيها يعتبر من الهراطقة. . ويقول: «إن عقيدة التجسيد والتثليث دخيلة على روح المسيحية، وتنتهي إلى فترة من تاريخ الكنيسة انتهى وقتها».

ويقول: «إن مقالاتنا في هذا الكتاب ليست شيئاً جديداً في بلد

محافظ مثل بريطانيا . والنظرة التي شكّلت عن المسيح في القرنين الرابع والخامس الميلاديين (وهي التي تم فيها إيجاد العقائد النصرانية المبنية على التثليث والصلب وتجسد الإله) تنهار، ولا تنهار فقط في أذهان الناقدين العقلانيين، ولكنها تنهار في أذهان زعماء الكنيسة اليوم. ولقد أدت عقيدة تجسد الإله في يسوع المسيح إلى الإضرار بالإيمان بالله وبإدراك علاقة الإنسان بالله .

«ولا شك أن عقيدة تجعل الله متجسداً كلياً في المسيح تؤدي إلى عبادة يسوع على أنه الله، وتجعل له طقوساً تعبدية خاصة. وهذا أمر وثني يجب التخلص منه. وهو يذكرنا بعبادة الإمبراطور.. وفي نهاية القرن الرابع الميلادي لم يكن هناك فرق بين المسيح والإمبراطور. وأعلن علماء اللاهوت آنذاك أن تبجيل أيقونات المسيح مساوٍ تماماً لتبجيل شعارات الإمبراطور. وأصبح المسيح أساساً للإمبراطورية المسيحية (وهي إمبراطورية رومانية طاغية لا علاقة لها بالمسيح النبيل الرقيق ﷺ)، وللسلطتين السياسية والكهنوتية في هذا العالم وأصبحت المسيحية أو جعلت مستبدة استبداداً مطلقاً» .

ويقول دون كوبيت «ولاشك أن فكرة التجسد، وهي أن الله اتخذ بصورة دائمة طبيعة بشرية، ويمكن وصفه بأنه إله في شكل إنسان تضي الشرعية على العقائد الوثنية التي تحدثت عن الإله الإنسان» .

وينتهي إلى القول : «إن التجسد الإلهي في المسيح ما هو إلا وثنية، تؤدي إلى عبادة الإنسان للإنسان، وهو ما جاء يسوع ليحاربه» .

وصدق الله العظيم حيث يقول : ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ [التوبة : ٣١] .

ويقول تعالى : ﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ فَأَمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةً انْتَهَوْا خَيْرًا لَكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا (١٧١) لَنْ يَسْتَنْكِفَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لِلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَنْ يَسْتَنْكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا (١٧٢) ﴾ [النساء : ١٧١ - ١٧٢] .

وقال تعالى : ﴿ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ (٧٢) لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثٌ ثَلَاثَةٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٧٣) أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٧٤) مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ انظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ انظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (٧٥) ﴾

[المائدة : ٧٢ - ٧٥]

وقال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) ﴾ [المائدة : ١١٦ - ١١٧] .

وقال تعالى : ﴿ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ

اللَّهُ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ [التوبة : ٣٠] .

وقد أوضحت الأبحاث المسيحية كيف أن النصارى قلدوا الأمم السابقة في جعلهم المسيح ابن مريم إلها. وفي جعلهم إياه ضمن الثالوث الإلهي. وهي عقائد وثنية كانت منتشرة في فلسطين وسوريا ولبنان والعراق وفارس ومصر والأناضول واليونان والهند. وقد أفضت في ذكرها مما كتبه أساطين علماء الأديان في أوربا في كتابي «دراسات معاصرة في العهد الجديد والعقائد النصرانية» .. ولاشك أن ما جاء في القرآن يعتبر إعجازاً في بابه. فلم يكن أحد يعرف مصدر هذه العقائد النصرانية، ولا كيف أخذوها من الأمم السابقة حتى جاءت الأبحاث الحديثة من هؤلاء الأوروبيين المسيحيين وأثبتوا ذلك بالأدلة القاطعة. وهذا نوع من أنواع الإعجاز في الكتاب الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .



البشارات بالنبي محمد ﷺ

يتحدث البوصيري - رحمه الله - شعرا ونثرا عن البشارات التي جاءت في الإنجيل وفي الزبور وفي الكتب المقدسة (لديهم) مثل كتاب أشعيا وكتاب (سفر) حزقييل وسفر حبقوق ، ورؤيا دانيال في سفر دانيال وكتاب (سفر) أرميا . ولم يتعرض لما جاء في التوراة (أسفار موسى الخمسة) . ونحن سنذكر ما كتبه البوصيري رحمه الله شعرا ونثرا ونعلق عليه ثم نضيف ما جاء في التوراة (أسفار موسى الخمسة: كتب الشريعة : البناتوك) .

البشارات في الإنجيل :

فَلَقَدْ دَعَاهُ قَبْلَ ذَلِكَ إِيلا(٢)	إِنْ يَدْعُهُ الْإِنجِيلُ فَارْقَلِيطَه(١)
يُتَلَّى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلا	وَدَعَاهُ رُوحَ الْحَقِّ لِلْوَحْيِ الَّذِي
أَرْفَعَتْ عَنْكُمْ لِإِلَهِ مَقُولًا	وَأَرَاهُ لَا يَبْتَكُلُمْ إِلَّا إِذَا
لِيَجِيئَكُمْ مَنْ تَرْضَوهُ بَدِيلا	إِنْ أَنْطَلَقَ عَنْكُمْ يَكُنْ خَيْرًا لَكُمْ
مَا كَانَ مَوْعِدُ بَعْثِهِ مَمْطُولًا	يَأْتِي عَلَيَّ اسْمُ اللَّهِ مِنْهُ مُبَارَكًا
وَيَرُدُّ أَمْثَالِي بِهِ التَّأْوِيلًا	يَتْلُو كِتَابَ الْبَيِّنَاتِ كِتَابَهُ
وَكَفَاهُمْ بِخَطِيئَةِ تَخْجِيلًا	وَيُقْنِدُ الْعُلَمَاءَ تَوْبِيخًا لَهُمْ

(١) الفارقليط وتكتب أحيانا البارقليط لفظة يونانية . وفي الأصل كانت البيريكلييتوس (Periclytos) وتعني الأكثر حمدا . ثم حُرِّفَها إلى الباراكلييتوس (Paraclytos) وقد ترجموها إلى العربية باللفظ الغريب «المعزّي وبالإنجليزية Comforter أي الذي يأتي بالراحة والأمن . ثم فسروها بأنها الروح القدس . وهو أمر بعيد كل البعد عن معنى الروح القدس وعندهم الروح القدس هو ثالث الثلاثة . والثلاثة كلها آلهة والثلاثة واحد والواحد ثلاثة في كلام لا يفهمه أحد حتى قائله .

(٢) الإيل : باللغة العبرية والسامية الأخرى هو الله .

وَيُزِيحُ مُلْكَ اللَّهِ مِنْكُمْ عَنَوَةً
وَمَا شَهِدْتُ لَهُ سَيَشْهَدُ لِي إِذَا
يُؤَدِّي الْحَوَادِثَ وَالْغُيُوبَ حَدِيثُهُ
هُوَ صَخْرَةٌ مَازُوحِمَتْ صَدَمَتْ فَلَا
وَالْآخِرُونَ الْأَوَّلُونَ فَتَوَمُّهُ
وَالْمُنْحَمِّمِنَا لَا تَشْكُوا إِنْ أَتَى
وَهُوَ الْمُؤَكَّلُ أَخِرًا بِالكَرَمِ لَا

لِيُبِيحَهُ أَهْلَ التَّقَى وَيُنِيلا
صَارَ الْعَلِيمُ بِمَا أَتَيْتُ جَهُولًا
وَيَسُوسُكُمْ بِالْحَقِّ جِيلاً جِيلاً
تَبَغُّوا لَهَا إِلَّا النُّجُومَ وَعُؤُلًا
أَخَذُوا عَلَى الْعَمَلِ الْقَلِيلِ جَزِيلاً
لَكُمْ فَلَيْسَ مَجِيئُهُ مَجْهُولًا
يَخْتَارُ مَا لِكُهُ عَلَيْهِ وَكِيلاً

قال الناظم :

فمن ذكر النبي ﷺ في الإنجيل وبشارة المسيح ﷺ قوله : «اللهم
ابعث الفارقليط يعلم الناس أن ابن الإنسان بشر» وفيه عن يوحنا (١) :
«الفارقليط لا يجيئكم ما لم أذهب، فإذا جاء ولجم العالم عن الخطيئة،
ولا يقول من تلقاء نفسه شيئاً، ولكنه مما يسمع يكلمكم، ويسوسكم
بالحق، ويخبركم الحوادث والغيوب .

إلى أن قال عنه : وسيعظمني. وذكر كيف يقهر أصحاب الدنيا،
وتمادى في وصفه بكلام بيّن وقال : هو سيشهد لي كما شهدت له «وأنا
أجيئكم بالأمثال، وهو يحكم بالتأويل» وفيه عن يوحنا أن المسيح قال

(١) جاء في إنجيل يوحنا الإصحاح (١٤/١٥-١٧) : «إن كنتم تحبونني فاحفظوا وصاياي. وأنا
أطلب من الأب أن يعطيكم معزياً آخر فيمكث معكم إلى الأبد. روح الحق الذي لا يستطيع
العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه (يستخدم المترجم لفظ المعزّي كما أسلفنا بدلاً من كلمة
Periclytos) والتي تعني الأكثر حمداً أو المحمود أو أحمد). وفي نفس الإصحاح (٢٤-٢٦)
يقول يسوع : «الكلام الذي تسمعون ليس لي بل للأب الذي أرسلني . بهذا كلمتكم وأنا عندكم.
وأما المعزّي، الروح القدس، (وهذه مقحمه من عند المترجمين) الذي سيرسله الأب باسمي فهو
يعلمكم كل شيء، ويذكركم بكل ما قلته لكم»، وفي الإصحاح التالي (١٥/٢٦) «ومتى جاء المعزّي
الذي سارسله أنا إليكم .

للحواريين : «من أبغضني فقد أبغض الرب . ولولا أني صنعت لكم بحضرتي صنائع لم يصنعها أحد، ولم يكن لهم ذنب» ثم قال : «فلو قد جاء المنحمننا، فهو الذي يرسله إليكم من عند الرب روح القدس، فهو شهيد عليّ وأنتم أيضاً لأنكم قديماً كنتم معي، هذا قولي لكم كيلا تشكّوا إذا جاء المنحمننا» بلسان السريانية، وتفسيره بالرومية الفارقليط، وهو بالعربية محمد ﷺ . وفيه أنه قال : لليهود، وأنا أقول لكم : لا تروني الآن حتى يأتي من تقولون له مبارك، يأتي على اسم الله» وفيه : «إنما النبوة والكتاب إلى يحيى، ومن بعده يكثر ملك الله وتوجد عنوة» فهذا بشارة بمحمد ﷺ «في الأرض الذي قهر الأجناس، وقتل من قتل بالسيف من اليهود، وصابر الكفرة انتقاماً من الله . وتكاملت عليهم دماء المؤمنين المتفرقة على الأرض، من دم هايبيل الصالح، إلى دم يحيى بن زكريا الذي قتلوه عند المذبح أمين أمين» أقول : «إنه سيأتي جميع ما وصف على هذه الأمة بؤساً، ثم تقتل الأنبياء، ورحم من بعث إليك . قد أردت أن أجمع بنيك كجمع الدجاجة فراريجها تحت جناحها» وفيه عن متى : «أنه لما حبس يحيى بن زكريا عليه السلام بعث تلاميذه إلى المسيح، وقال لهم قولوا له أنت الآتي أم نتوقع غيرك فأجابهم المسيح، وقال : الحق اليقين أقول لكم إنه لم يقم النساء عن أفضل من يحيى بن زكريا . وإن التوراة وكتب الأنبياء يتلو بعضها بعضاً بالنبوة والوحي، حتى جاء يحيى، وأما الآن فإن شئتم فافعلوا، فإن إيليا المزمع أن يأتي . فمن كان له أذنان سامعتان فليسمع» فهذه بشارة بمحمد ﷺ . فإن زعمت أنه إنما بشرّ بإلياس (إليّا) النبي، فهذا من أعظم الجهل والكذب على الله تبارك وتعالى، لأن إلياس تقدم إرساله من الأب ، روح الحق، الذي من عند الأب ينبثق (هذه أيضاً زيادات وليست موجودة في النص اليوناني

القديم) فهو يشهد لي. وتشهدون أنتم أيضاً لأنكم معي من الابتداء». .
انتهى كلام البوصيري.

قلتُ : وفي إنجيل يوحنا الإصحاح (١٦/١٢-١٤) «إني لي أموراً كثيرة أيضاً لأقول لكم، ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن. وأما متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من نفسه، بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمر آتية . ذلك يمجدي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» .

وهذه بشارة واضحة بالنبي محمد ﷺ . فقد جاءهم روح الحق وأرشدهم إلى جميع الحق، لأنه لا يتكلم من تلقاء نفسه، بل كل ما يسمعه من الوحي يتكلم به تماماً كما ألقاه إليه جبريل ﷺ . «ويخبركم بأمر آتية» . وكم قد أخبر ﷺ من المغيبات، وقد أخبر القرآن الكريم بالكثير الكثير منها .

«ذاك يمجدي لأنه يأخذ مما لي ويخبركم» . وقد مجده الرسول ﷺ ونفى عنه تهمة ادعاء الألوهية، وأنه الله أو ابن الله. قال تعالى في القرآن الكريم الذي أنزل على قلب محمد ﷺ : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ آأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّي إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ عَبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُمْ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُمْ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧) إِنْ تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١١٨) قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ (١١٩)﴾ [المائدة: ١ - ١١٩] .

وكلمة المنحمن بالسريانية تعنى المحمود أو الأكثر حمدا وهي مقابلة لكلمة البيريكليطوس Periclytos اليونانية والتي يكتبها الكتاب بالعربية الفارقليط .

وتحدث البوصيري عن إيليا (إلياس) بأنه قد تقدم إرساله على إرسال عيسى بقرون عديده وأن إلياس قد رفع إلى السماء كما جاء في أسفار العهد القديم .

كما قال في التوراة «جاء الله من طور سيناء» وفيه «أقول لكم إنه سيزاح عنكم ملك الله، ويعطى الأمة المطيعة العاملة» ثم ضرب مثلاً بصخرة «من سقط على هذه الصخرة سيتكسر، ومن سقطت عليه يتهشم» يريد بذلك محمداً ﷺ من ناواه وحاربه أظهره الله عليه. وفيه أنه ضرب مثلاً للدنيا كمثّل رجل غرس كرماً وسبّخ حوله، وجعل فيه معصرة، وشيد فيه قصراً، ووكل به أعواناً، وتغرّب عنه فلما دنا أوان انقطافه بعث عبّيده إلى أعوانه الموكلين بالكرم. وضرب المسيح مثلاً للأنبياء، ثم لنفسه في كلام كثير، ثم محمد ﷺ وجعل الموكل آخر بالكرم، وأفصح عن أمة محمد ﷺ وشرف وكرم .

وجاء في إنجيل متى (٧/١٣-١٢) على لسان يحيى (يوحنا المعمدان) الذي نادى بني إسرائيل ليتوبوا . فجاؤا إليه ليعمّدهم في نهر الأردن ويتوبوا . وجاء الفريسيون والكتبة والصدقيون ليعمّدهم قال لهم «يا أولاد الأفاعي من أراكم أن تهربوا من الغضب الآتي، فاصنعوا أثماراً تليق بالتوبة. ولا تفتكروا أن تقولوا في أنفسكم لنا إبراهيم أباً. لأنّي أقول لكم إن الله قادر أن يقيم من هذه الحجارة أولاداً لإبراهيم... أنا أعمدكم بماءٍ للتوبة. ولكن الذي يأتي بعدي هو أقوى مني، الذي لست أهلاً أن أحمل حذاءه (وفي رواية أن أفك سير حذاءه). هو سيعمّدكم بالروح القدس ونار. الذي رفشه في يده وسينقي ببيدره ويجمع قمحه

إلى المخزن فيحرقه بنار لا تطفأ. حينئذ جاء يسوع من الجليل إلى الأردن ليعتمد منه» فعّمده يوحنا (يحيى) .

ويقول شراح الأناجيل أن الذي يأتي بعد يوحنا المشار إليه هنا هو يسوع نفسه .

ولكن يرد عليهم البروفسور عبد الأحد داود (كان من كبار القساوسة فأسلم)^(١) : يسوع بذاته تعمد لدى يوحنا وطلب منه ذلك . ويسوع لم يُعمد بالنار، ولا كانت له صولة ولا جولة، بل تقول الأناجيل أنه طورد وحوكم وبُصق في وجهه وعُلّق على خشبة مع لص وقاطع طريق .

ولكن المشار والمبشر به هو محمد ﷺ لأنه هو الذي كانت له صولة وجولة .

وفي إنجيل متى الإصحاح (١٢/١٧-٢١) بشارة أشعيا «لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل : هو ذا فتاي الذي اخترته، حبيبي الذي سُرّت به نفسي. أضع روعي عليه فيخبر الأمم بالحق. لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد الشوارع صوته. قصبه مرضوضة لا يقصف وفتيلة مدخنة لا يطفى حتى يُخرج الحق إلى النصره وعلى اسمه يكون رجاء الأمم» وهذه لبشارة تنطبق أكثر على محمد ﷺ من انطباقها على عيسى عليه السلام فهو الذي أخبر الأمم بالحق وأما يسوع فإنه أرسل

Prof Abdu Al Ahad Dawud : Muhammad in the Bible, Presidency of Sharia (1) Courts & Islamic Affairs, Qatar, 4th ed., 1991.

(٢) «عن عطاء بن سيار قال : لقيت عبد الله بن عمر وقلت أخبرني عن صفة رسول الله ﷺ في التوراة قال : أجل وإنه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن، يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا، وحرزا للأمين أنت عبيدي ورسولي، سميتك المتوكل. ليس بفظ ولا غليظ ولا سخّاب في الأسواق . ولا يدفع السيئة بالحسنة، ولكن يعفو ويغفر . ولن =

إلى بني إسرائيل فقط. وصفاته المذكورة جاءت في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص^(٢) وأخرجه البخاري في كتاب البيوع، وفي كتاب التفسير من صحيح كما أخرجه أحمد (ج ٢/١٧٤) والدارمي وغيرهم .

وفي إنجيل متى الإصحاح (٤٢/٢١-٤٣) قال لهم يسوع أما قرأتم قط في الكتب : «الحجر الذي رفضه البناءون هو قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا وهو عجيب في أعيننا. لذلك أقول لكم أن ملكوت الله ينزع منكم (يابني إسرائيل) ويُعطى لأمة (أخرى) تعمل أثماره. ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه» .

وهذه البشارة واضحة جدا ولا تحتاج إلى تأويل فالحجر الذي رفضه البناءون (وهم بنو إسرائيل) هو إسماعيل عليه السلام حيث ادعوا أن سارة قالت: اطرد ابن الجارية فاستجاب لها إبراهيم عليه السلام بعد أن قال له الرب حسب زعمهم في كل ما تقول لك سارة تسمع لها. وقال له الرب : «بل سارة امرأتك تلد لك ابنا وتدعو اسمه إسحاق وأقيم عهدي معه عهداً أبدياً لنسله من بعده... ولكن عهدي أقيم مع إسحاق الذي تلده لك سارة في هذا الوقت من السنة الآتية (تكوين ١٧/١٩-٢١) «في ذلك اليوم قطع الرب مع إبرام ميثاقاً : لنسلك (المقصود من إسحاق فقط) أعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات» (التكوين ١٥/١٨) والنصوص لديهم في هذا كثيرة ومنها قول

«يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله. ويفتح بها أعينا عمياً وآذانا صمّاً وقلوبا غلفاً» (صحيح البخاري كتاب التفسير سورة الفتح ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً﴾ (٨) وكتاب البيوع باب كراهية السخب في الأسواق. وما ذكره الصحابي عبد الله بن عمرو بن العاص غير موجود بالنص الذي ذكره في نسخ التوراة. وهذا دليل آخر على استمرار الحذف منها والإضافة إليها .

سارة : «لا يرث ابن الجارية (إسماعيل) مع ابني (إسحاق)» .. وهكذا حسب زعمهم كان الميراث النبوي كله لإسحاق ونسله .

فالحجر الذي رفضه البنائون هو إسماعيل ولم يظهر من نسله من الأنبياء سوى محمد ﷺ . وها «قد صار رأس الزاوية. من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا». ثم أخبرهم يسوع أن ملكوت الله والنبوة تنزع من بني إسرائيل وتُعطى لأمة أخرى هي أمة محمد ﷺ وآله وسلم. «ومن سقط على هذا الحجر» يحاول تحطيمه «يتروضض» وأما من يسقط هو عليه فإنه يسحقه. وما أعظمها وأصدقها من بشارة بمحمد ﷺ . فقد أقام الله به الملة العوجاء، وأظهر به الحق ونصر به الدين القويم، وانتشرت راياته في الأرض من أسوار الصين حتى المحيط الأطلسي (بحرالظلمات) في أقصى المغرب والأندلس . وما سقط على أحد إلا وسحقه. وأما من يسقط عليه فهو يتروضض ، ويصاب بالرضوض والكدمات والسحجات. ويخرج هو سالماً من ذلك كله .

مثال صاحب الكرم :

وفي إنجيل مرقس الإصحاح ١٢ أعطاهم مثالا : «إنسان غرس كرما وأحاطه بسياج.. وسلّمه إلى كرامين (مزارعي الكرم) وسافر. ثم أرسل إليهم في الوقت الذي حدّده لهم عبداً من عبيده ليأخذ منهم الثمر، فأخذوا العبد وجلدوه وردوه إلى صاحب الكرم فارغاً. فأرسل آخر فقتلوه. ثم آخرين فقتلوا منهم وجلدوا منهم. ثم أرسل لهم ابنه فقتلوه أيضا فماذا يفعل صاحب الكرم. يأتي ويهلك هؤلاء الكرامين المجرمين ويعطى الكرم إلى آخرين أما قرأتم هذا المكتوب : الحجر

الذي رفضه البناؤون هو قد صار رأس الزاوية، من قبل الرب كان هذا، وهو عجيب في أعيننا .. وعرفوا أنه قال المثل عليهم فتركوه ومضوا» (إنجيل مرقس ١٢/١٢) وأيضا في (إنجيل متى ٢٣/٢١-٤٥) بزيادة يسيرة عن إنجيل مرقس وقصة الكرم واضحة جدا فالله أعطى لبني إسرائيل النبوة والكتاب واستخلفهم، فقتلوا أنبياءه وكذبوهم (فريقيا كذبتم وفريقا تقتلون)، فنزع الله الاستخلاف منهم وأعطاه لأمة أخرى تُعطي ثماره، هي أمة أحمد صلى الله عليه وآله وسلم فقامت بذلك الواجب خير قيام ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ [آل عمران : ١١٠] .

وقد أشار إلى ذلك كله البوصيرى رحمه الله. والنصوص التي ذكرها تختلف في تفاصيلها عن النصوص الموجودة لدينا. وكما أسلفنا فإن هناك أكثر من مائة ترجمة باللغة العربية للكتاب المقدس (التوراة والأنجيل) .. وكل واحدة منها تختلف عن الأخرى اختلافا بينا. وكذلك الترجمات باللغات الأخرى ويسوع لم يعرف اليونانية، وإنما كان يتكلم هو وأصحابه بالأرامية وربما العبرية. أما اليونانية التي كتبت بها الأنجيل المزعومة فلا يعرفها هو ولا أصحابه .

مثال العمال وأجرتهم :

جاء في إنجيل متى الإصحاح ٢٠: «فإن ملكوت السموات يشبه رجلا رب بيت خرج مع الصبح يستأجر فعلة لكرمه. فاتفق مع الفعلة على دينار في اليوم وأرسلهم إلى كَرْمِهِ. ثم خرج نحو الساعة الثالثة، ورأى آخرين قياما في السوق بطالين (أى بدون عمل)، فقال لهم : اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فأعطيكم ما يحقُّ لكم فمضوا . وخرج

أيضا نحو الساعة السادسة والتاسعة وفعل كذلك. ثم نحو الساعة الحادية عشرة خرج ووجد آخرين قياما بطالين. فقال لهم لماذا وقفتم ها هنا كل النهار بطالين. قالوا : لأنه لم يستأجرنا أحد. قال لهم : اذهبوا أنتم أيضا إلى الكرم فتأخذوا ما يحقُّ لكم. فلما كان المساء قال صاحب الكرم لوكيله : ادع الفعلة وأعطهم الأجرة مبتدئا من الآخرين إلى الأولين . فجاء أصحاب الساعة الحادية عشرة وأخذوا دينارا دينارا . فلما جاء الأولون ظنوا أنهم يأخذون أكثر فأخذوا هم أيضا دينارا دينارا. وفيما هم يأخذون تدمروا على رب البيت قائلين : هؤلاء الآخرون عملوا ساعة واحدة، وقد ساويتهم بنا نحن الذين احتملنا ثقل النهار والحر. فأجاب وقال لواحد منهم : يا صاحب ما ظلمتك. أما اتفقت معي على دينار، فخذ الذي لك واذهب ، فإنني أريد أن أعطي هذا الأخير مثلك. أو ما يحلُّ لي أن أفعل ما أريد بمالي. أم عينك شريرة (أي أنت حاسد) لأنني أنا صالح. هكذا يكون الآخرون أولين والأولون آخرين لأن كثيرين يدعون وقليلون ينتخبون». (متى ١٦-١/٢٠).

وهذا مثل ضربه المسيح ﷺ لمملكة الله وأمتها القادمة من بعد بني إسرائيل وهي أمة محمد ﷺ جاءت أخيرا وعملت قليلا وأجرت كثيرا بسبب إخلاصها في العمل وفي توجهها إلى الله سبحانه وتعالى. قال تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ (٢) وآخرين منهم لما يلحقوا بهم وهو العزيز الحكيم ﴿٣﴾ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ مَثَلُ الَّذِينَ حُمِلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِاللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ

كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدِمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ ﴿الجمعة: ٢ - ٧﴾

وهؤلاء اليهود الذين أنكروا بعثة محمد ﷺ مع علمهم بصدقه ومعرفتهم له (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) إنما فعلوا ذلك حسدا من عند أنفسهم وبغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء. وكما حسد ابليس اللعين آدم ﷺ واستكبر وأبى أن يسجد له قائلا: (أنا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين) كذلك فعل بنو إسرائيل قائلين نحن بنو إبراهيم . «ياسحاق يدعى لك نسل».. ولا نسل لإسحاق بعد سرقة البركة إلا ليعقوب (إسرائيل). وقد بقيت حسب زعمهم روح الله في يعقوب وبنيه إلى أبد الأبدين فكيف يظهر نبي آخر الزمان الذي ينتظرونه من بني اسماعيل (ابن الجارية الذي طردته - حسب زعمهم - أمهم سارة) .

قال تعالى: ﴿ مَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٥﴾ ﴾ [البقرة: ١٠٥] . وقال تعالى: ﴿ وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ ﴾ بِسْمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾ ﴾ [البقرة: ٨٩ - ٩٠] . وقال عنهم: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَنْ يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا ﴿٥٢﴾ ﴾ أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾ ﴾ أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾ ﴾ فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ ﴿ وَقَالَ تَعَالَى ﴾ : ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مَنْ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ

الْحَقُّ ﴿البقرة : ١٠٩﴾ والآيات في هذا الباب كثيرة جداً وفيما سبق غنیه .

والمثل الذي ضربه عيسى ﷺ كما جاء في إنجيل متى (الإصحاح ٢٠) جاء في الحديث ما يماثله . فقد أخرج البخاري في صحيحه وغيره : «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة . إنما أصلكم في أصل من خلا من الأمم ما بين صلاة العصر إلى مغرب الشمس . وإنما مثلكم ومثل اليهود والنصارى كرجل استعمل عمالا . فقال : من يعمل لي إلى نصف النهار على قيراط قيراط فعملت اليهود إلى نصف النهار على قيراط قيراط . ثم قال : من يعمل لي من نصف النهار إلى صلاة العصر على قيراط قيراط . ثم قال من يعمل لي من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . ألا فأنتم الذين يعملون من صلاة العصر إلى مغرب الشمس على قيراطين قيراطين . ألا لكم الأجر مرتين ، فغضبت اليهود والنصارى فقالوا : نحن أكثر عمالا وأقل عطاء ، قال الله : هل ظلمتكم من حنكهم شيئا؟ قالوا : لا قال : فإنه فضلي أعطيه من شئت» .

وقد جاء في مسند الإمام أحمد عن أبي هريرة قال ﷺ : «نحن الآخرون ، الأولون يوم القيامة . نحن أول الناس دخولا الجنة ، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناهم من بعدهم ، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه ، فهذا اليوم الذي هدانا الله له (أى الجمعة) والناس لنا فيه تبع ، غدا لليهود وبعد غد للنصارى» وهكذا صار الأولون الآخرين وصار الآخرون الأولين فضلا من الله ونعمة كما ذكره عيسى ﷺ (إنجيل متى الإصحاح) وكما ذكره نبينا محمد ﷺ كما جاء في الأحاديث الصحيحة .

مثل آخر من الإنجيل : الذي دُعوا رفضوا الدعوة فتحولت عنهم إلى قوم آخرين :

جاء في إنجيل متى الإصحاح (١٠-١/٢٢) .

«وجعل يسوع يكلمهم أيضاً بأمثال : يشبه ملكوت السموات إنساناً ملكاً صنع عرساً لابنه وأرسل عبيده ليدعو المدعوين إلى العرس . فلم يريدوا أن يأتوا . فأرسل أيضاً عبيداً آخرين قائلاً : قولوا للمدعوين هو ذا غدائي أعددتهم ، ثيرانتي ومسمناتي ، وكل شيء مُعد . تعالوا إلى العرس . ولكنهم تهاونوا ومضوا ، واحد إلى حقله ، وآخر إلى تجارته . والباقيون أمسكوا عبيده وشتموهم وقتلوه . فلما سمع الملك غضب وأرسل جنوده وأهلك أولئك القاتلين وأحرق مدينتهم . ثم قال لعبيده : أما العرسُ فمُستعدُّ ، وأما المدعوون فلم يكونوا مستحقين . فاذهبوا إلى مفارق الطرق . كل من وجدتموه فادعوه إلى العرس فخرج أولئك العبيد إلى الطرق وجمعوا كل الذين وجدوهم أشراراً وصالحين . فامتألاً العرس من المتكئين» .

هذه ترجمة دار الكتاب المقدس (الكنيسة المرقسية أي أقباط مصر) القاهرة . وقد أورد الأخ العزيز الدكتور نصر الله أبو طالب في كتابه القيم : تبشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ ترجمة أخرى^(١) وهي كالآتي «وسمع ذلك الكلام (أي كلام يسوع) أحد الجلساء على الطعام فقال له : طوبى لمن يتناول الطعام في ملكوت الله فقال له : صنع رجل عشاء فاخراً ، ودعا إليه كثيراً من الناس . ثم أرسل

(١) ذكر أنه اعتمد ترجمة دار المشرق بيروت ط ٢ ، ١٩٩٤ وترجمة جمعيات الكتاب المقدس ١٩٩٦ ، وترجمة الكتاب المقدس كتاب الحياة ، بيروت ط ٤ ، ١٩٩٢ . وهذا يوضح ما أكدنا عليه مراراً من اختلاف الترجمات اختلافاً كبيراً في العصر الواحد فضلاً عن العصور المختلفة .

خادمه ساعة العشاء يقول للمدعووين : تعالوا فقد أُعدَّ العشاء، فجعلوا كلهم يعتذرون الواحد بعد الآخر. قال له الأول : قد اشتريت حقلا فلا بد أن أذهب لأراه، أسألك أن تعذرني . وقال آخر: قد اشتريت خمسة فدادين وأنا ذاهب لأجرّبها، أسألك أن تعذرني وقال آخر : قد تزوجت فلا أستطيع المجيء . فرجع الخادم وأخبر سيّده بذلك . فغضب ربُّ البيت وقال لخادمه : أخرج على عجل إلى ساحات المدينة وشوارعها . وأتِ إلى هنا بالفقراء الكسحان والعميان والعرجان. فقال الخادم : سيّدي قد أجري ما أمرت ولا يزال هناك مكان فارغ. فقال السيد للخادم : أخرج إلى الطرق والأماكن المسيّجة، وأرغم من فيها على الدخول حتى يمتلئ بيتي، فإني أقول لكم : لن يذوق عشائي أحد من أولئك المدعووين». (متى ١/٢٢-١١) .

ورغم اختلاف الترجمة اختلافا بينا إلا أن الموضوع واحد وهو أن الذي دعاهم السيد واختصهم بهذه الكرامة والدعوة رفضوا قبول الدعوة، فأعطاها السيد لآخرين. وواضح جدا أن بني إسرائيل قد دعوا لحمل الأمانة وجاءتهم الرسل وأنزل الله إليهم الكتب، ففريقا كذبوا وفريقا يقتلون، فما كان جزاهم إلا نزع الله منهم هذه الخصوصية، وأعطاها لأمة أخرى، هي أمة محمد ﷺ وجعلها للناس كافة بدل أن كانت لبني إسرائيل خاصة .

وقد جاء أيضا في إنجيل متى (١١/٨-١٣) ما يؤكد ذلك قول يسوع ﷺ لبني إسرائيل الذين رفضوه ورفضوا الأنبياء من قبله: «أقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السماوات وأما بنو الملكوت (أى : بنو إسرائيل) فيطرحون إلى الظلمة الخارجية. هناك يكون البكاء وصرير الأسنان،

ويذهب بهم إلى جهنم وبئس المصير. وهو متفق مع ما سبق من الأخبار بنزع النبوة عن بني إسرائيل وإعطائه لأمة أخرى تعطى ثمارها، ومتفق مع أخبار قدوم مملكة الله وتطهيرها بيت المقدس من حكم الروم. ولم يفعل ذلك إلا محمد ﷺ والذين اتبعوه بإحسان (١).

مثال المزارع وموقف الناس من الخير الذي جاء به الأنبياء :

جاء في إنجيل متى الإصحاح ١٣/١-٩ .

«في ذلك اليوم خرج يسوع من البيت وجلس عند البحر (في الغالب بحيرة طبرية) فاجتمع عليه جموع كثيرة حتى أنه دخل السفينة وجلس. والجمع كله واقف على الشاطئ فكلمهم كثيرا بأمثال قائلا : هو ذا الزارع قد خرج ليزرع. وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فجاءت الطيور فأكلته. وسقط آخر على الأماكن المحجرة حيث لم تكن تربة كثيرة فنبت حالا إذ لم يكن له عمق في الأرض. ولكن لما أشرقت الشمس احترق، وإذا لم يكن له أصل جف. وسقط آخر على الشوك، فطلع الشوك وخنقه. وسقط آخر على الأرض الجيدة فأعطى ثمرا. بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين (بناء على جودة الأرض). من له أذنان للسمع فليسمع» .

وهو مشابه لما رواه البخاري ومسلم في الصحيحين وأحمد في مسنده وغيرهم عن أبي موسى الأشعري قال : قال رسول الله ﷺ : «مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء فأنبتت الكأ والعشب الكثير . وكان منها أجادب أمسكت الماء فنفع الله بها الناس فشربوا وسقوا وزرعوا، وأصاب

(١) انظر «نصر الله أبو طالب : تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد الناشر المؤلف توزيع دار الوفاء للطباعة والنشر المنصورة - مصر ٢٠٠٢ .

طائفة منها أخرى ، إنما هي قيعان لا تمسك ماء ولا تنبت كلاً. فذلك مثل من فقه في دين الله وما بعثني الله به فعلم وعلم، ومثل من لم يرفع بذلك رأساً ولم يقبل هدي الله الذي أرسلت به» .

وكان المسيح ﷺ يكثر من ضرب الأمثال حتى اعترض عليه تلاميذه قائلين : «لماذا تكلمهم بأمثال.. فقال: لأنهم مبصرون لا يبصرون وسامعون لا يسمعون ولا يفهمون. فقد تمت فيهم نبوة أشعيا القائلة : تسمعون سمعاً ولا تفهمون. ومبصرين تبصرون ولا تتظرون، لأن قلب هذا الشعب قد غلظ. وأذانهم قد ثقل سماعها. وغمضوا عيونهم لئلا يبصرو بعيونهم ويسمعون بأذانهم ويفهمون بقلوبهم» (متى ١٣/١٠-١٥).

وما ذكره عيسى ﷺ قد ذكره القرآن الكريم في هؤلاء الأقوام الذين يسمعون الهدى ويعرضون عنه . قال تعالى : ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْمَعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ ﴾ (٤٢) وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعَمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (٤٣) [يونس : ٤٢ - ٤٣] .

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ (١٧٩) [الأعراف : ١٧٩] .

وقال تعالى : ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾ (١٩٨) [الأعراف : ١٩٨] .

والآيات في هذا الباب كثيرة جداً. وكذلك ما ورد في الأناجيل عن عيسى كثير ولكن المقصود هو إيضاح تطابق رسائل الأنبياء إلى أقوامهم ووجود العدد الكبير من الصم البكم العمى الذين لا يعقلون .

وحديث يسوع عن ملكوت الله القادم هو بشارة بالنبي محمد ﷺ. وكلما ورد في الإنجيل عن عودته سريعا إليهم بعد صلبه حسب زعمهم، وأنه سيعود إلى نفس الجيل كذب وبهتان. وها قد مضت ألفا عام على رفعه ﷺ، ولم يأت بعد، ولكن المقصود من مجيء ملكوت الله وانتشار دينه والحق هو بمجيء محمد ﷺ الذي أعاد التوحيد النقي الصافي إلى أصله الذي جاء به الأنبياء الكرام، ونفى عنه الزيف والضلال، وتأليه البشر، وعقيدة التثليث والصلب والفداء وما فيها من عقائد شركية وثنية.. وكلها أعادها إلى صفاء التوحيد الخاص.. وكان ﷺ هو اللبنة التي أتمت بناء الأنبياء الجميل فكان هو اللبنة وهو الخاتم لسلسلة الرسالات النبوية حتى قيام الساعة .

مثال آخر للزراع : جاء في إنجيل متى ١٣/١٨-٢٣ :

«فاسمعوا أنتم مثل الزراع . كل من يسمع كلمة الملكوت ولا يفهم فيأتي الشرير (أي الشيطان) ويخطف ما زرع في قلبه . هذا هو المزرع على الطريق . والمزرع على الأماكن المحجرة هو الذي يسمع الكلمة وحالا يقبلها بفرح، ولكن ليس له أصل في ذاته، بل هو إلي حين، فإذا حدث ضيق أو اضطهاد من أجل الكلمة فحالا يعثر. والمزرع بين الشوك هو الذي يسمع الكلمة. وهم هذا العالم وغرور الغنى يخنقان الكلمة فيصير بلا ثمر. وأما المزرع على الأرض الجيدة فهو الذي يسمع الكلمة ويفهم. وهو الذي يأتي بثمر فيصنع بعض مئة، وآخر ستين، وآخر ثلاثين» .

مثل الزوان (متى ١٣/٢٤ -) «يشبه ملكوت السموات إنسانا زرع زراعا جيدا في حقله. وفيما الناس نيام جاء عدوه وزرع زوانا في وسط الحنطة ومضى. فلما طلع النبات وصنع ثمرا حينئذ ظهر الزوان أيضا.

فجاء عبيد ربّ البيت وقالوا له يا سيد أليس زرعا جيدا زرعت في حقلك. فمن أين له زوان؟ فقال لهم : إنسان عدو فعل هذا فقال له العبيد أتريد أن نذهب ونجمعه فقال : لا. لئلا تقلعوا الحنطة مع الزوان وأنتم تجمعونه. دعوهما ينميان معا إلى الحصاد. وفي وقت الحصاد أقول للحصادين اجمعوا أولا الزوان واحزموه حزما ليحرق. وأما الحنطة فأجمعوها إلى مخزني» .

ووجود الزوان بين الحصاد الجيد أمر ليس بمستغرب، وكذلك وجود المنافقين بين المؤمنين غير مستغرب وقد منع الرسول ﷺ قتل هؤلاء المنافقين في أكثر من موضع. وقال « لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه» فيضرب ذلك الدعوة، ولكن تركهم حتى تساقطوا» وانتشر دين الله. وماوهم النار وبئس المصير. ولم يكن يسوع ﷺ يتحدث للعامة إلا بالأمثال. وهي كثيرة جدا في الأناجيل وفي ثناياها حكم جميلة وتبشير بمجئ مملكة الله وبخاتم الأنبياء صلى الله عليهم جميعا .

وفي إنجيل لوقا الإصحاح (٤١/٢٠-٤٤)

«وقال لهم (أى يسوع) كيف يقولون إن المسيح ابن داود. وداود نفسه يقول في كتاب المزامير قال الربُّ لربِّي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك فإذا كان يدعوه ربا فكيف يكون ابنه» .

وهذا النص غامض. وهو موجود في المزمور ١١٠ : «قال الرب لربي اجلس عن يميني حتى أضع أعداءك موطئا لقدميك. يرسل الرب قضيب عزك من صهيون . تَسَلَّطْ في وسط أعدائك. شعبك منتدب في يوم قوتك في زينة مقدسة من رحم الفجر لك طلُّ حدثك .. الرب عن يمينك يحطم في يوم رجزه (أى عذابه) ملوكا. يُدين بين الأمم. ملأ جثثا أرضا واسعة. سحق رؤوسها» المزمور (١١٠/١-٧) .

فكلمة الرب تستعمل بمعنى السيد. فقال الرب (المقصود الله سبحانه وتعالى) لربي (أي لسيد داود) اجلس عن يميني (وهو تشریف له) حتى أضع أعداءك موطنًا لقدميك وهذه البشارة ليست بعيسى لأن عيسى حسب الأناجيل ينتسب إلى داود (هم وضعوا له نسبا عن طريق يوسف النجار الذي تزوج مريم حسب قولهم بعد أن حملت بيسوع من الروح القدس) ولهذا ينكر عليهم يسوع «فإذا كان (داود) يدعو ربه فكيف يكون ابنه». ويسوع هو ابن داود من طريق الأم. وعندهم هو من طريق يوسف النجار زوج أمه والذي تزوجها وهي حامل بيسوع حتى لا يتهمها يهود ورغم ذلك اتهموها بالزنا مع العسكري باندرنا .

إذن المقصود كما يوضح لهم يسوع أن النبي المنتظر ليس هو يسوع بل شخص آخر. ومن علاماته أن الله يضع أعداءه موطنًا لقدميه. وهذا لم يحدث ليسوع بل كان أعداؤه هم المتسلطين عليه وهم الذين أهانوه وبصقوا في وجهه وعلقوه على خشبة - حسب زعمهم - ولذا فإن المحققين من دارسى الكتاب المقدس يؤكدون أن هذه النبوءة من داود ليست ليسوع بل لشخص آخر. وكلام يسوع في ذلك واضح كما تقدم .

إذن المقصود بذلك هو محمد ﷺ . وقد أطلع الله داود في عالم الأرواح على روح محمد ﷺ . وأخبره الله بمقامه في ليلة الإسراء والمعراج حيث رفعه إلى سدرة المنتهى وإلى حيث يسمع صرير الأقلام، وإلى حيث قاب قوسين أو أدنى، مما لم يصله نبي مرسل أو ملك مقرب. وقد جعل الله سبحانه وتعالى أعداء محمد تحت موطن قدميه.. وأما يسوع فلم يكن له من ذلك شيء. ولهذا فالبشارة من داود ﷺ واضحة وتشير إلى محمد ﷺ وليس إلى عيسى ﷺ .. الذى

أنكر بنفسه أن تكون هذه البشارة له . لأنه من ولد داود (من جهة الأم بالنسب ومن جهة زوج أمه يوسف النجار بالتبني . ولم يكن التبني لديهم محرماً) .

وهذه بشارة واضحة بمحمد ﷺ وليست كما يريد الإنجليون والمبشرون وأتباعهم من رجال الكنيسة وشرح الإنجيل بشارة بعيسى لأن عيسى بنفسه يرد عليهم وينفي ذلك .



بشارات من الزبور (المزامير)

قال البوصيري - رحمه الله :

خَضَعَتْ مُلُوكُ الْأَرْضِ طَائِعَةً لَهُ وَغَدَا بِهِ قَرِيَانُهُمْ مَقْبُولًا
 مَا زَالَ لِلْمُسْتَضْعَفِينَ مُؤَاظِرًا وَأُولِي الصَّلَاحِ وَبِلِعْفَاقِ بَدْنُولًا (١)
 لَمْ يَدْعُهُ ذُفُوفَاقَةٌ وَضَرُورَةٌ إِلَّا وَنَالَ بِجُودِهِ الْمَأْمُولًا
 ذَاكَ الَّذِي لَمْ يَدْعُهُ ذُفُوفَاقَةٌ إِلَّا وَكَانَ لَهُ الزَّمَانُ مُنْبِيلاً (٢)
 تَبَقَى الصَّلَاةُ عَلَيْهِ دَائِمَةً فَخُنْدٌ وَصَفَ النَّبِيَّ مِنَ الزَّبُورِ مَقُولًا

ثم شرح ما قال نثرا :

«ومن بشارة الزبور به ﷺ : «سبحوا الله تسبيحا جديداً، سبحوا الذي هيكله الصالحون، وليفرح إسرائيل بخالقه، صهيون من أجل أن الله اصطفى لهم أمة، وأعطاهم النصر، وسدد الصالحين منهم بالكرامة، ويسبحون الله على مضاجعهم، ويكبرونه بأصوات مرتفعة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، لينتقم الله بهم من الأمم التي لا تعبد، ويوثقون ملوكهم بالقيود، وأشرفهم بالأعمال» (٣) وفيه : «تقلد أيها الجبار بالسيف، فإن ناموسك وشرائعك مقرونة بيمينك، وسهامك مسنونة، والأمم تجري تحتك» . انتهى كلام البوصيري .

(١) العفاة : الفقراء المحلون الذين لا يملكون شيئاً . (٢) منيلاً : أي معطياً وبإذلا .
 (٣) جاء في المزمور ١٤٩ : «هللوا (أي تهليل وتسبيح) تسبيحته في جماعة الأتقياء . ليفرح إسرائيل بخالقه . ليبتهج بنو صهيون بملكهم . ليسبحوا اسمه برقص . بدف وعود ليرنموا له (لم تكن الآلات الموسيقية محرمة عند داود) لأن الرب راض عن شعبه . يحمل الودعاء بالخلاص . ليبتهج الأتقياء بمجد ، ليرنموا على مضاجعهم . تنويهات الله في أفواههم وسيوف ذو حدين في يدهم . ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب . لأسر ملوكهم بقيود وشرفاتهم بقبول من حديد . ليجروا بهم الحكم المكتوب . كرامة هذا لجميع أتقيائه هللوا» .
 ومن الواضح الفرق بين الترجمتين : الأولى على عهد البوصيري والثانية في العصر الحديث . وهم يغيرون الترجمة باستمرار .

وفيه «ويجوز من البحر إلى البحر، ومن منقطع الأنهار إلى منقطع الأنهار، وتحز له أهل الجزائر بين يديه على ركبهم، ويلحق أعداؤه بالركب، وتآته ملوك بالقرابين وتسجد له، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد، لأنه يخلص الناس من أقوى منه، وينقذ الضعيف الذي لا ناصر له، ويرأف بالضعفاء والمساكين، وأنه يعطى ذهباً من بلاد شتى، ويُصلَّى عليه في كل وقت، ويدوم أمره إلى آخر الدهر». وفي الزبور: «أن الله أظهر من صهيون إكليل محمود» والإكليل ضربٌ مثلاً للرياسة، والمحمود اسم محمد. وفي الزبور: «يقول الله تعالى لداود عليه السلام سيولد لك ولد أدعى له أباً، ويدعى لي ابناً، فقال داود: اللهم ابعث جاعل السنة؛ كيما يعلم الناس أنه بشر». فانظر إلى قول داود حين راعه ذلك، وخاف أن يدعى ولده إلهاً: «اللهم ابعث جاعل السنة، ليعلم الناس أنه بشر، وكذلك قال المسيح في الإنجيل»: «اللهم ابعث الفارقليط، ليعلم أن ابن الإنسان بشر».

هذه هي ترجمة الكتاب المقدس، دار الكتاب المقدس (مصر - القاهرة) وهي الترجمة المعتمدة لأقباط مصر) وفيها اختلاف غير كبير عن ما ذكره البوصيري رحمه الله، كما انها تختلف اختلافاً طفيفاً عما ذكره نصر الله أبو طالب في كتابه القيم «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ».

فالأمم بالتسبيح بالصوت العالي وعلى المضاجع ويكبرون الله بأصوات مرتفعة وبأيديهم سيوف ذات حدين (ذات شفرتين) فيغلبوا أعداءهم (ففرقاً تقاتلون وتأسرون فرقاً) تنطبق على المسلمين تمام الانطباق. ولم يكن بنو إسرائيل يحاربون بسيوف ذات حدين. وإنما اشتهر بذلك العرب والمسلمون. وكما يقول الدكتور نصر الله

أبو طالب^(١) : إن الجيل الوحيد الذي عرفته البشرية جيلا صالحا ربانيا، قد سُجِّلَ في كتاب الله (القرآن) رضا الله عنه . ولم يسجل في الكتب (الأخرى) التي نسبت إلى الله مثل هذا الرضا عن أجيال بني إسرائيل السابقة بما فيها تلك التي عاصرت الأنبياء، ولا عن غيرهم... وأشير هنا إلى تعارف الناس على أن السيف ذا الحدين هو رمز سيف المسلمين. ومنذ سنوات قليلة أصدرت إحدى المؤسسات الغربية المعادية للإسلام تقريرا طويلا يحذّر من صحوة المسلمين، وابتدأت تقريرها السينمائي بمنظر سيف ذي حدّين يهوى على الكرة الأرضية فيفلقها إلى فلقتين، تحذيرا للناس من السيف ذي الحدين الإسلامي.. وهذه البشارة هي واحدة من مجموعة من البشارات بالزبور (المزامير) عن الإسلام وأهله..

وأما ما ذكره البوصيري - رحمه الله من نقول - عن الزبور فلم أجده فيما لدي من المزامير من نسخ الكتاب المقدس. ولعلها قد حُرِّفَتْ وحذفت وغيّرت وبيّدت بمضي الزمان .

ثم عاد البوصيري رحمه الله إلى الشعر ليكمل البشارات من سفر أشعيا .

وَكِتَابُ شَعْيَا مُخْبِرٌ عَنْ رَبِّهِ فَاسْمَعُهُ يَفْرَحُ قَلْبُكَ الْمَتَّبُولَا^(٢)
عَبْدِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي وَمَنْ وَخَبِي عَلَيْهِ مُنْزَلٌ تَنْزِيلَا
لَمْ أُعْطِ مَا أُعْطِيَتْهُ أَحَدًا مِنْ الْفَضْلِ الْعَظِيمِ وَحَسْبُهُ تَخْوِيلَا
يَأْتِي فَيُظْهِرُ فِي الْوَرَى عَدْلِي وَكَمْ يَكُ بِالْهَوَى فِي حُكْمِهِ لِيَمِيلَا^(٣)

(١) نصر الله أبو طالب : تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ . توزيع دار

الوفاء المنصورة - مصر ٢٠٠٢م ص ١٧١ .

(٢) القلب المتبول : السقيم . (٣) الورى : الخلق .

إِنَّ غَضَّ مِنْ بَصَرٍ وَمِنْ صَوْتٍ فَمَا
 فَتَحَ الْعُيُونَ الْعُورَ لَكِنَّ الْعِدَا
 أَحْيَا الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، أَسْمَعَ كُلِّ ذِي
 يُوصِي إِلَى الْأُمَّمِ الْوَصَايَا مَثَلَمَا
 لَا تُضْحِكُ الدُّنْيَا لَهُ سِنًا وَمَا
 مَنْ غَيْرُ أَحْمَدَ جَاءَ يَحْمَدُ رَبَّهُ
 وَكِتَابُهُ مَا لَيْسَ يُطْفَأُ نُورُهُ
 خَصَمَ الْعِبَادَ بِحُجَّةِ اللَّهِ الَّتِي
 فَرَحَّتْ بِهِ الْبَرِيَّةُ الْقُصُوفَى وَمَنْ
 فَزَهَتْ وَنَالَتْ حُسْنَ لُبْنَانَ الَّذِي
 مَلِئَتْ مَسَاكِينَ آلَ قَيْنَادِرٍ بِهِ

قال الناظم :

«ذكر ما ورد في كتاب شعيا عليه السلام من البشارة بمحمد صلى الله عليه وآله قوله :
 «عبي الذي سُرَّتْ به نفسي، أنزل وحيي فيظهر في الأمم عدلي،
 ويوصيهم الوصايا. لا يضحك ولا يسمع صوته في الأسواق، يفتح
 العيون العور، والأذان الصم، ويحيي القلوب الغلف، وأعطيه ما لم أعط
 أحداً، بحمد الله حمداً جديداً، ويأتي من أقصى الأرض، يفرح البرية،
 وسكانها يهللون لله على كل مشرف، ويكبرونه على كل رابية، لا يضعف
 ولا يُغلب، ولا يميل إلى الهوى، ولا يذلُّ الصالحين الذين هم كالعصبة
 الضعيفة، بل يقوي الصديقين، وهو ركن المتواضعين، وهو نورُ الله الذي
 لا يطفأ، أثرُ سلطانه على كتفيه»، هذه ترجمة السريانين، وترجمة
 اليونانيين : على كتفه علامة النبوة، وقوله يصف يسفح هو محمد صلى الله عليه وآله

(١) كلي : ضعيف . (٢) تنويل : عطاء . (٣) ذلول : منقاد . (٤) متبول : سقيم .

بلسان السرياني، والسفح عندهم : الحمد» . انتهى كلام البوصيري .
ما ورد في سفر أشعيا :

قد سبق الإشارة إلى هذه البشارة التي جاءت في إنجيل متى الإصحاح : ١٧/١-٢١) «لكي يتم ما قيل بأشعيا النبي القائل : هو ذا فتاي الذي اخترته . حبيبي الذي سُرَّتْ به نفسي أضع روحى عليه فيخبر الأمم بالحق . لا يخاصم ولا يصيح ولا يسمع أحد في الشوارع صوته»... إلخ وهو ما جاء في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص الذي رواه البخارى في كتاب البيوع وكتاب التفسير من صحيحه وأخرجه أحمد في المسند والدارمي في السنن .
والنص من سفر أشعيا الإصحاح (١٤-١/٤٢) :

«هوذا عبدي الذي أعضده . مختاري الذي سُرَّتْ به نفسي . وضعتُ روحى عليه فيخرج الحقُّ للأمم . لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته . قصبه مرضوضه لا يقصف ، وفتيلة خامدة لا يطفىء . إلى الأمان يخرج الحقُّ . لا يكلُّ ولا ينكسر حتى يضع الحقُّ في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» .

«هكذا يقول الله خالق السموات وناشرها ، باسط الأرض ونتائجها ، معطي الشعب عليها نسمة ، وساكنين فيها روحا . أنا الربُّ قد دعوتك بالبرِّ فأمسكُ بيدك وأحفظك وأجعلك عهداً للشعب ونوراً للأمم ، لتفتح عيون العمي ، لتخرج من الحبس المأسورين من بيت السجن ، الجالسين في الظلمة... «أيها المنحدرون في البحر وملؤه والجزائر وسكانها لترفع البرية ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار . لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا . ليعطوا الرب مجدا وتسبيحاً في الجزائر» .

وواضح جدا أن الكلام ينطبق على الرسول محمد ﷺ .. وهو يخرج الحق إلى الأمم. وصفاته الشخصية واضحة «لا يصيح ولا يرفع ولا يسمع في الشارع صوته» «ولا يكل ولا ينكسر حتى يضع الحق في الأرض وتنتظر الجزائر شريعته» وقد تم ذلك بالفعل ..

وقوله «لترفع البريا ومدنها صوتها» وهذه البرية هي بلاد العرب ومدنها بل أهم مدنها مكة. وقد صرح بأنها الديار التي سكنها قي دار. وقي دار هو ابن إسماعيل «ولتترنم سكان سالك من رؤوس الجبال ليهتفوا» وسلع : جبل بالمدينة المنورة وقد فعلوا وهتفوا باسم الرب ونشروا مجده إلى الجزائر في البحار فرضى الله عن المهاجرين والأنصار الذين رفعوا راية الجهاد وأعلوا كلمة الدين .

وفي نفس الاصحاح من سفر أشعيا (أيها الصم اسمعوا. أيها العمي انظروا لتبصروا. من هو أعمى إلا عبدي وزصم كرسولي الذي أرسله. من هو أعمى كالكمال وأعمى كعبد الرب. ناظر كثيرا ولا تلاحظ . مفتوح الأذنين ولا يسمع. الربُّ قد سُرَّ من أجل برِّه . يعظَّم الشريعة ويكرمها». (أشعيا ٤٢/١٨-٢٢) .

وهو كلام غامض. ومن هو هذا الكامل الذي يتغافل عما يراه من الأخطاء وعما يسمعه من الكلام، مع أنه مفتوح الأذنين ولكنه يتغافل وإذا وعظهم قال : «ما بال أقوام فعلوا كذا، أو قالوا كذا» دون أن يفضحهم على الملأ . لذا «الربُّ قد سُرَّ من أجل برِّه . يعظَّم الشريعة ويكرمها». وهذه كلها من صفات خير الأنبياء، وسيد الرسل، وصفوة الله من خلقه محمد ﷺ .

قال البوصيري نظماً :

جَعَلُوا الْكِرَامَةَ لِلِإِلَهِ فَأَكْرَمُوا فَاللَّهُ يَجْزِي بِالْجَمِيلِ جَمِيلاً
 وَلِبَيْتِهِ الْحَرَمِ الْحَرَامِ طَرِيقَهُ يَتَلَوَّزِعِمِيلِ الْمُخْلِصِينَ رَعِيلاً (١)
 لَا تَخْطُرُ الْأَرْجَاسُ فِيهِ وَلَا يُرَى لَخُطَاهُمْ فِي أَرْضِهِ تَنْقِيلاً
 كَتَفَاهُ بَيْنَهُمَا عِلَامَةٌ مُنْكَرِهِ اللَّهُ مُلْكٌ لَا يَزَالُ اثِيلاً (٢)
 مَنْ كَانَ مِنْ حِزْبِ الْإِلَهِ فَلَمْ يَزَلْ مِنْهُ بِحُسْنِ عِنَايَةٍ مَشْمُولاً
 هُوَ رَاكِبُ الْجَمَلِ الَّذِي سَقَطَتْ بِهِ اصْنَامُ بَابِلَ قَدْ آتَاكَ دَكِيلاً

قال الناظم :

«ومن كتاب شَعْبِيَا عليه السلام : «أتت أيام الاعتقاد، أتت أيام الكمال» ثم قال: لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالاً هو صاحب النبوة، تقرؤون على كثرة ذنوبكم وعظم فجوركم» ومن كتاب شَعْبِيَا : «قيل لي قم فانظر ما ترى فأخبر به، فقلت : أرى راكبين مقبلين، أحدهما على حمار، والآخر على جمل. يقول أحدهما لصاحبه سقطت بابل وأصنامها» ومن كتاب شَعْبِيَا : «لأرفعن علماءً بجميع أهل الأرض يظفرهم في أقاصي البلاد، فإذا هم سراع يأتون» يريد به النبي صلى الله عليه وآله، ودخول الناس في دين الله أفواجاً، وحجّهم البيت الحرام من أقاصي الأرض .

ومن كتاب شَعْبِيَا عليه السلام يصف أمة النبي صلى الله عليه وآله : «يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان، ليهزموا بين سيوف مسلولة، وقسي موتورة من شدة الملحمة، (إشارة لانهزام العرب ببدر)، ثم آمنوا بالنبي صلى الله عليه وآله فداسوا به الأمم كدياس البيادر» انتهى كلام البوصيري .

(١) الرعيل : القطعة من الخيل قدر العشرين. ويريد هنا الجماعة .

(٢) الأثيل : العظيم .

ويوضح البوصيري - رحمه الله - ما جاء في سفر أشعيا من بشارات بالنبي محمد ﷺ . وفي سفر أشعيا ٤٠/٣-٥ «صوت صارخ في البرية أعدوا طريق الرب. قوّموا في القفر سبيلا لالهنا. كل وطاء يرتفع وكل جبل وأكمه ينخفض، ويصيّر المعوج مستقيما والعراقيب سهلا. فيعلن مجد الرب ويراه كل البشر جميعا لأن فم الرب تكلم». وهذه البشارة لا تنطبق على يحيى (يوحنا المعمدان كما يزعمون) رغم أنه صوت صارخ في البرية بالتوبة. لأنه لم يرتفع كل وطاء ولم ينخفض كل جبل وأكمه. ولم يصير المعوج مستقيما. ولم يعلن مجد الرب ويراه كل البشر لأن فم الرب تكلم». وإنما ينطبق ذلك على محمد ﷺ الذي كان لا ينطق من ذاته، بل هو وحي يوحى علمه شديد القوى.. وهو ينطق بكلام الله الذي أوحاه إليه .

وما ذكره البوصيري - رحمه الله وأجزل مثوبته - عن سفر أشعيا :
«لتعلموا يا بني إسرائيل الجاهلين أن الذي تسمونه ضالا هو صاحب النبوة، تقرأون على كثرة دنوبكم وعظم فجوركم» .

وهذه النبوة واضحة بالنبي محمد ﷺ لأن بني إسرائيل كانوا يحتقرون العرب الأميين ولا يرونهم أهلا للنبوة والرسالة، وكانوا لا يتوقعون أن يكون نبي آخر الزمان من بني إسماعيل، وأن يكون أميا، وكانوا يعتبرونه ضالا .

ومما يؤكد ذلك ما جاء في سفر التثنية (٢٠/٣٢-٢٣) «وقال (الرب) أحجب وجهي عنهم (أي بني إسرائيل بسبب كفرهم) وأنظر ماذا تكون آخرتهم. إنهم جيل متقلب لا أمانة فيهم. هم أغاروني بما ليس إلهها (عبدا الأوثان المختلفة)، أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهم بما ليس شعبا، بأمه غبية أغيظهم» .

ولا شك أن العرب قبل الإسلام كانوا مفرقين متقاتلين، ولم يكونوا شعباً واحداً، بل قبائل متناحرة وأمة غبية جاهلة تصنع آلهة من التمر فإذا جاءت أكلت آلهتها. وقد نزع الله القيادة من بني إسرائيل وأعطائها لهذه الأمة حتى صارت نور الأمم وخير أمة أخرجت للناس.

ونقل البوصيري من كتاب أشعيا : «قم فانظر ما ترى فأخبر به فقلت أرى راكبين مقبلين أحدهما على حمار والآخر على جمل، يقول أحدهما لصاحبه : سقطت بابل وأصنامها. ولعل في راكب الحمار إشارة إلى عيسى عليه السلام الذي دخل أورشليم راكباً حماراً وأما راكب الجمل فهو محمد صلى الله عليه وآله عند دخوله مكة في عام الفتح. وقد سقطت بابل وأصنامها من قديم. وكذلك سقطت الأصنام في مكة وفي غيرها بقدم النبي محمد صلى الله عليه وآله.

ومن كتاب أشعيا ينقل البوصيري قوله : «لأرفعنَّ علما بجميع أهل الأرض، يظفرهم في أقاصي البلاد، فإذا هم سراع يأتون» ويقول أنه يريد بها النبي صلى الله عليه وآله ، ودخول الناس في دين الله أفواجا، وهم سراعاً يأتون إليه ليدخلوا في هذا الدين. والبشارات عادة ما تكون غير واضحة المعالم، وقابلة للتأويلات المختلفة، وبعضها شديد الوضوح .

ومن سفر أشعيا ينقل البوصيري قوله : «يدوسون الأمم كدياس البيادر بفدان، ليهزموا بين سيوف مسلولة، وقسي موتورة من شدة الملحمة» ويراهم أنها بشارة بانتشار الإسلام وهزيمة الكفار ببدر.. ويبدو لي أن هذا التفسير بعيد لأن أشعيا كانت يتحدث عن قرب مجيء نبوخذ نصر (بختنصر) البابلي وهزيمته لكل الشعوب والأمم التي وقفت في طريقه. وتخريبه لأورشليم وأخذه كل كنوزها ونفيه سكانها إلى بابل.

ولكن في سفر أشعيا مقاطع تخبر بهلاك إسرائيل ويهوذا وأن الله سيأتي بعبيد يعبدونه لا يشركون به شيئاً فيجعلهم الأمة السعيدة بدلا من بني إسرائيل الذين نكثوا العهد وقتلوا الأنبياء وعبدوا الأوثان واقترفوا جميع الفواحش ما ظهر منها وما بطن .

يقول أشعيا الإصحاح (١٧-١١/٦٥) : «أما أنتم الذين تركوا الرب ونسوا جبل قدسي، ورتبوا للسعد الأكبر مائدة ومالأوا للسعد الأصغر خمرا ممزوجة، فاني أعينكم لل سيف وتجتثون كلكم للذبح لأنني دعوت فلم تجيبوا. تكلمت فلم تسمعوا، بل عملتم الشر في عيني واخترتم ما لم أسرَّ به. لذلك هكذا قال السيد الرب : هوذا عبيدي يأكلون وانتم تجوعون هوذا عبيدي يشربون وأنتم تعطشون. هو ذا عبيدي يفرحون وأنتم تخزون. هو ذا عبيدي يترنمون من طيبة القلب وأنتم تصرخون من كآبة القلب، ومن انكسار الروح تولولون. وتخلفون اسمكم لعنة لمختاري، فيميتك السيد الرب ويسمى عبيده اسما آخر. فالذي يتبرك في الأرض يتبرك باله الحق، والذي يحلف في الأرض يحلف بإله الحق... لأنني هانذا خالق سموات جديدة وأرضا جديدة فلا تذكر الأولى ولا تخطر لي على بال» .

وفي سفر أشعيا (٢٠-٩/٤٣) : «اجتمعوا يأكل الأمم معا. ولتلتئم القبائل... أنتم شهودي يقول الرب وعبدى الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي وتفهموا أني أنا هو . قبلي لم يصور إله وبعدي لا يكون. أنا أنا الرب وليس غيرى مخلص. أنا أخبرت وخلصت وأعلمت وليس بينكم غريب. وأنتم شهودي يقول الرب وأنا الله. أيضا من اليوم أنا هو، ولا منقذ من يدي. أفعل ومن يرد .. لا تذكروا الأوليات ، والقديمات، لا تتأملوا بها. هانذا صانع أمرا جديدا. الآن ينبت . ألا تعرفونه. أجعل في البرية طريقا في القفر أنهارا» .

وفى نبوة بعد هلاكهم بواسطة نبوخذ نصر بسبب كفرهم وطغيانهم
وتجبرهم وعنادهم سيصنع الله أمرا جديدا . ويأمر جميع الأمم
بالاجتماع والقبائل بالالتئام ويتبرروا ويقولوا الصدق ويتبعوا «عبي
الذي اخترته لكي تعرفوا وتؤمنوا بي . وتفهموا إني أنا هو .. أنا الرب
ولا مخلص غيري .. وأنتم شهودي يقول الربُّ وأنا الله» وهكذا تتضح
الصورة وأن عبد الله ورسوله وصفيه وخليته الذي تجتمع عليه الأمم
وتلتئم عليه القبائل ويُنادى بالتوحيد النقي الصافي لا إله إلا الله على
كل شرف وفي كل مكان، هو محمد ﷺ . وبذلك تتم البشارة وبإيها من
بشارة . ولا تنطبق على أحد سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم
وعلى أمته التي أمنت به وصدقته . وصاروا شهودا على الناس .

سفر حزقيال

ثم انتقل البوصيري رحمه الله إلى سفر حزقيال ونقل منه البشارة
التالية نظما ونثرا .

وَالْفَرَسُ فِي الْبَدْوِ الْمَشَارِ لِضَلِيلِهِ	إِنْ كُنْتَ تَجْهَلُهُ فَسَلْ حِزْقِيالَ
غُرِسَتْ بَارِضِ الْبَدْوِ مِنْهُ دَوْحَةٌ	لَمْ تَخَشْ مِنْ عَطَشِ الْفَلَاحِ ذُبُولًا
فَأَتَتْكَ فَاضِلَّةُ الْغُصُونِ وَأُخْرِجَتْ	نَارًا لِمَا غَرَسَ الْيَهُودُ أَكُولًا
ذَهَبَتْ بِكْرَمَةٍ قَوْمٍ سَوْءٍ ذُلَّتْ	بِيَدِ الْغُرُورِ قَطُوفُهَا تَذَلُّيلًا
وَسَلُّوا الْمَلَائِكَةَ الَّتِي قَدْ أَيَّدَتْ	قَيْدَارَ تَبْدِي الْعِلَّةِ الْمَعْلُولًا

قال الناظم :

«بشارة حزقيال النبي ﷺ بمحمد ﷺ : فمن ذلك قصة ذكر فيها
ظهور اليهود وكفرانهم النعمة، فشبهم بالكرمة، ثم قال : إني بلوت
تلك الكرمة : إن قلعت بالسخطة، ورمى بها على الأرض، فحترقت

السماء، فعند ذلك غرس غرسته في البدو، أو في الأرض المهملّة العطشى، فخرجت من أغصانها الفاضلة نار، فأكلت تلك الكرمة، حتى لم يوجد فيها قضيب.

ومن كلام حزقيال إخبار عن الله تعالى: «إني مؤيد قي دار بالملائكة» وقي دار هو ابن إسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام. انتهى كلام البوصيري.

قلت: يتميز سفر حزقيال بهجومه الشديد على فجور بني إسرائيل وظلمهم وعبادتهم للأوثان وانذاره لهم بالسبي والقتل والموت بالوباء والسيوف.. «أنا مرسلك إلى بني إسرائيل. إلى أمة متمرّدة، قد تمردت عليّ. هم وآباؤهم، عصوا عليّ إلى ذات هذا اليوم. والبنون القساة الوجوه والصلاب القلوب أنا مرسلك إليهم.. وهم إن امتنعوا، لأنهم بيت متمرّد، فإنهم يعلمون أن نبيًا كان بينهم... لا تخف من كلامهم، ومن وجوههم لا ترتعب، لأنهم بيت متمرّد» (حزقيال ٢/٧٠٣).

ويقول عن أورشليم: «هذه أورشليم. في وسط الشعوب قد أقمتها وحواليها الأراضى. فخالفت أحكامى بأشرّ من الأمم، وفرائضى بأشرّ من الأراضى التي حواليها لأن أحكامى رفضوها، وفرائضى لم يسلكوا فيها... من أجل أنك قد نجست مقدسى بكل مكروهاتك وكل أرجاسك فأنا أيضا أجزّ ولا تشفق عيني، وأنا أيضا لا أعفو. ثلث يموت بالوباء، وبالجوع يفنون في وسطك. وثلث يسقط بالسيف من حولك. وثلث أذريه في كل ربح (أى يفنون في شتى البلاد).. وأجعلك خرابا وعارا بين الأمم.. فتكونين عارا ولعنة وتأديبا ودهشا للأمم التي حواليك» حزقيال (٥/٥-١٥).

ونتيجة لفساد وظلم بني إسرائيل وعبادتهم للأصنام وأكلهم للربا واحتقارهم للفقير والأرملة والمسكين ونهبهم لليتامى وقطعهم للسبيل وانتشار الزنا والفجور بينهم عاقبهم الله بنبو خد نصر (نختصر) البابلي. وكان من الطبيعي أن ينزع منهم الملك والنبوة وتعطي لأمة أخرى هي أمة أحمد ففي سفر حزقيال (٢١/٢٥-٢٧) قال الرب : «وأنت أيها النجس الشرير رئيس إسرائيل الذي قد جاء يومه في زمان. اثم النهاية. هكذا قال السيد الرب : انزع العمامة، ارفع التاج. هذه لا تلك . أرفع الوضيع وأضع الرفيع. منقلبا منقلبا أجعله. هذا أيضا لا يكون حتى يأتي الذي له الحكم فأعطيه إياه» .. وهكذا كان لم تقم لبني إسرائيل دولة مستقلة بعد خراب أورشليم بواسطة نبو خد نصر. نعم قد عادوا إلى أورشليم وبناء الهيكل ثانية ولكن تحت هيمنة الفرس، ثم صاروا تحت هيمنة اليونان ثم الرومان. ثم جاء نور الإسلام ودخل جنود محمد وأصحابه أورشليم في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه فنشروا فيها العدل والسلام .

وأما النص الذي جاء به البوصيري فلم أجده في الترجمة العربية التي لديّ وهي ترجمة دار الكتاب المقدس المعتمدة عند أقباط مصر. وهو أمر غير مستغرب فالترجمات كما أسلفت تختلف اختلافا بيّنا في العصر الواحد فما بالك بالترجمة التي استخدمها البوصيري والتي كتبت قبل عصرنا الحالي بثمانية أو تسعة قرون.. ولكن كلامه عن الكرمة وقلعه إياها موجود بكثرة في هذه الأسفار. ولكن قوله «اني مؤيد قي دار بالملائكة» لم أجده. وقيدار هو ابن إسماعيل وهو إشارة إلى النبي محمد صلى الله عليه وسلم .

سفر حبقوق :

وَسَكَنَ حَبْقُوقَ الْمَصْرَحِ بِاسْمِهِ وَيُوصَفِيهِ وَكَفَى بِهِ مَسْئُولًا
 إِذَا أَوْصَلَ الْقَوْلَ الصَّرِيحَ بِذِكْرِهِ لِلسَّامِعِينَ فَأَحْسَنَ التَّوْصِيلًا
 وَالْأَرْضُ مِنْ تَحْمِيدِ أَحْمَدًا أَصْبَحَتْ وَيُنُورِهِ عَرْضًا تُضِيءُ وَطُولًا
 رَوَيْتَ سِهَامَ مُحَمَّدٍ بِقَسِيئِهِ وَغَدَا بِهَا مَنْ نَاضَلَتْ مَنْضُولًا

قال الناظم :

«من كتاب حبقوق النبي ﷺ يبشر برسول الله ﷺ : «جاء الله من تيمان، وظهر قدس على جبال فاران، وامتلات الأرض من تحميد أحمد وتقديسه، وملك الأرض بيمينه، وأضاءت الأرض بنوره، وحملت خيله في البحر، وملك رقاب الأمم». ومن صحف حبقوق : «يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب، وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء». ومن كلامه : «إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبح صاحب الجمل أو قال راكب الجمل تسبيحا جديدا في الكنائس الجدد. ففرحوا وسيروا في الأرض إلى صهيون يعلنون أمته بأصوات عالية بالتسبيحة الجديدة التي أعطاهم الله في الأيام الأخيرة. أمة جديدة، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض». وهذا تصريح لا يحتاج إلى تفسير» انتهى كلام البوصيري.

قلتُ : سفر حبقوق من الأسفار المتأخرة وهي شديدة النقد لبني إسرائيل بسبب ظلمهم وكفرهم ففي سفر حبقوق (١٢/٢-١٨) «ويل للبانى مدينة بالدماء وللمؤسس قرية بالاثم. أليس من قبل رب الجنود أن الشعوب يتعبون للنار، والأمم للباطل يعيون.. ماذا نفع التمثال

المنحوت حتى نحته صانعه أو المسبوك ، معلّم الكذب، حتى أن الصانع صنعة يتكلّم عليها فيصنع أوثانا بكذا .

وأما ما ذكره البوصيري فهو موجود بنص مماثل في الترجمة الموجودة حالياً . «اللّه جاء من تيمان، والقديوس من جبل فاران. سلاة. جلاله غطى السموات، والأرض امتلأت من تسبيحه وكان لمعان كالنور له من يده شعاع. وهناك استتار قدرته. قدّامه ذهب الوباء وعند رجليه خرجت الحمى...» (حقوق ٣/٣-٥) .

أما النص الثاني الذي أورده البوصيري «يضيء بنوره الأرض وسينزع في قسيك أعراب وترتوي السهام بأمرك يا محمد ارتواء» فلم أجدّه .

وفي سفر التثنية (٣٣/٢-٣) «جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلاً من جبال فاران، وأتى من ربوات القدس، وعن يمينه نار شريعة لهم. فأحب الشعب جميع قديسيه في يدك. وهم جالسون عند قدمك يتقبلون من أقواله» .

فهو مماثل لما جاء في سفر حقوق. والكلام هنا لموسى ﷺ وهو قبل حقوق بحوالى ثمانمائة عام .

«وجاء الرب» أى وحيه «من سيناء» على يد موسى ﷺ ، «وأشرق لهم من سعير» وسعير هى جبال فلسطين، والذي ظهر منها عيسى ﷺ . وأما فاران فهى جبال مكة ومنها ظهر خاتم الأنبياء والمرسلين ﷺ .

وأما النص الذي أورده البوصيري من صحف حقوق «إذا جاءت الأمة الأخيرة يسبّح صاحب الجمل أو قال راكب الجمل تسيبها جديدا

في الكنائس الجدد، ففرحوا، وسيروا في الأرض إلى صهيون (صهيون هو جبل في أورشليم) يعلنون أمته بأصوات عالية التسبيح ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين، فينتقمون من الأمم الكافرة في جميع أقطار الأرض». فهو غير موجود في الترجمة التي لديّ (ترجمة دار الكتاب المقدس المعتمدة لدى أقباط مصر) في سفر حبقوق. ولكن موجود ما يقاربها في المزمور ١٤٩ : «هللوا . تسبيحته في جماعة الأتقياء... لأن الرب راض عن شعبه، يحمل الودعاء بالخلاص. ليبتهج الأتقياء بمجد، ليرنموا على مضاجعهم . تتويهاً الله في أفواههم. وسيف ذو حدّين في يدهم. ليصنعوا نقمة في الأمم وتأديبات في الشعوب. لأسر ملوكهم بقيود، وشرفائهم بكبول من حديد، ليجروا بهم الحكم المكتوب». المزمور ١٤٩ وقد سبقت الإشارة إليه وتم شرحه هناك (ص ٣١٩).

سفر دانيال ونبؤاته :

وانتقل البوصيري بعد ذلك إلى سفر دانيال فقال :

وَأَسْمَعُ بِرُؤْيَا بُخْتَنْصَرَ وَالتَّمِيسُ مِنْ دَانِيَالٍ لَهَا إِذَنْ تَأْوِيلًا
وَسَلْوَهُ كَمْ تَمْتَدُّ دَعْوَةُ بَاطِلٍ تَبْزِيحُ عِلَّةٍ مُبْطِلٍ وَتَزِيلًا

قال الناظم :

كان بختنصر قد رأى رؤيا، فأحضر دانيال النبي ﷺ وسأله أن يخبره عن منامة رآها وبتأويلها فقال له : رأيت صنماً بارعَ الجمال، أعلاه من ذهب، ووسطه من فضة، وأسفله من نحاس، وساقاه من حديد، ورجلاه من فخّار، فبينما أنت تنتظر إليه وقد أعجبك، إذ دقه الله بحجر من السماء، فضرب رأس الصنم، فطحنه، حتى اختلط

ذهبه وفضته ونحاسه وحديده وفخاره، ثم إن الحجر ربا وعظم، حتى ملأ الأرض كلها، فقال له بختنصر : صدقت، فأخبرني بتأويلها، فقال له دانيال : أما الصنعم فأمم مختلفة في أول الزمان وفي وسطه وفي آخره؛ فالرأس من ذهب : أنت أيها الملك (والفضة : ابنك من بعدك، والنحاس : الروم، والحديد : الفرس، والفخار : أمتان ضعيفتان تملكهما امرأتان باليمن والشام، والحجر هو دين بني وملك أبدي يكون في آخر الزمان، يغلب الأمم كلها، ثم يعظم، حتى يملأ الأرض كلها، كما ملأها ذلك الحجر) .

وفي صحف دانيال عليه السلام ، وقد بعث للكذابين «فقال : لا نُتَمُّ دعوتهم، ولا يتَمُّ قربانهم، وأقسمَ الربُّ بساعده أن لا يظهر الباطل، ولا يقوم كاذب، ليسرع كاذب، دعوة الرب ثلاثون سنة» . وهذا أول دليل على الجاحدين لنبوّة محمد صلى الله عليه وآله وسلم . « انتهى كلام البوصيري .

قلتُ : إن دانيال وحنينا وميشائيل وعزريا من بني يهوذا كانوا من الأطفال الأسرى الذين أخذهم نبوخذ نصر إلى بابل. وقد أمر الملك بانتخاب الأطفال والشباب النجباء ويريون ويدربون ليكونوا في خدمته. وبالفعل تم تقديمهم إلى الملك وأعطاهم أسماء بابلية. وحلم الملك حلما أزعجه فجمع الحكماء في قصره، وأرادهم أن يخبروه هم بحلمه وتفسيره، فلم يستطع أحد ذلك فأمر بقتلهم. واتجه هؤلاء الأربعة إلى الله في صلاة خاشعة لكي يكشف لهم هذا السر حتى لا يعدموا هم أيضاً. فظهر هذا الحلم الذي رآه الملك لدانيال وعرف تفسيره فذهب إلى الملك وقال له :

«أنت أيها الملك كنت تنتظر وإذا بتمثال عظيم. هذا التمثال البهي جدا وقف قبالتك ومنظره هائل. رأس هذا التمثال من ذهب جيد.

صدره وذراعه من فضة. بطنه وفخذه من نحاس ساقاه من حديد. قدماه بعضهما من حديد والبعض من خزف. كنت تنظر إلى حجر قطع بغير يدين، فضرب التمثال على قدميه اللتين من حديد وخزف فسحقهما. وانسحق حينئذ الحديد والخزف والنحاس والفضة والذهب، وصارت كعصافاة البيدر في الصيف، فحملتها الريح فلم يوجد لها مكان. أما الحجر الذي ضرب التمثال فصار جبلا كبيرا وملاً الأرض كلها. هذا هو الحلم» سفر دانيال (٢١/٢-٢٦).

وفسّر له الحلم قائلًا^(١): «أنت أيها الملك ملك الملوك لأن إله السموات أعطاك مملكة واقتدارا وسلطانا وفخرا.. فأنت هذا الرأس من ذهب. وبعدك تقوم مملكة أخرى أصغر منك (من فضة) ومملكة ثالثة من نحاس فتتسلط على كل الأرض. وتكون مملكة رابعة صلبة كالحديد.. وبما رأيت القدمين والأصابع بعضها من خزف والبعض الآخر من حديد فالمملكة تكون منقسمة ويكون فيها قوة الحديد من حيث أنك رأيت الحديد مختلطا بخزف الطين... وفي أيام هؤلاء الملوك يقيم إله السموات مملكة لن تقرض أبدا، وملكها لا يترك لشعب آخر وتسحق وتفني كل هذه الممالك وهي تثبت إلى الأبد. لأنك قد رأيت أنه قد قُطِعَ حجر من جبل لا بيدين، فسحق الحديد والنحاس والخزف والفضة والذهب. الله العظيم قد عرف الملك ما سيأتي بعد هذا. الحكم حق وتعبيره يقين» دانيال (٤٥/٢٧).

ومنذ تلك اللحظة صارت لدانيال خطوة عظيمة جدا عند الملك، وارتفع مقام اليهود لديه. وولى دانيال رئيس الشحن (رئيس البوليس والأمن) وجعله رئيسا على كل حكماء بابل.

(١) انظر كتاب الدكتور نصر الله أبو طالب: «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ» وكتاب البروفسور عبد الأحد داود: «محمد في الكتاب المقدس» "Mohammad in the Bible" Qatar 1991.

والرأس من ذهب هو مملكة بابل مملكة الكلدانيين من سنة ٦١٢- إلى سنة ٥٣٩ قبل الميلاد .

الصدر والأذرع من فضة: المملكة الميديّة - الفارسية ٥٢٩ - ٣٣١ قبل الميلاد .

البطن والأفخاذ من نحاس: المملكة الإغريقية ٣٣١ - ٦٣ قبل الميلاد .

الأرجل من حديد: مملكة روما من حديد ٦٣ ق.م. - ٤٧٦ بعد الميلاد .

والأقدام من حديد وخزف (طين) : تنقسم إلى مملكتين سنة ٤٧٦ بعد الميلاد .

حجر ينقلب إلى جبل عظيم يملأ الدنيا ومملكة باقية لا تزول هي مملكة الله وبعثة محمد ﷺ وظهور الإسلام .

رؤى دانيال : هذه المره رأى دانيال رؤيا وسجلها وفسرّها سفر دانيال الإصحاح ٧ بعد أن مات نبوخذ نصر تولى ابنه بيلشاصر الحكم. وفي السنة الأولى من حكمه رأى دانيال هذا الحلم يقول دانيال : كنت أرى في رؤياى ليلاً وإذا بأربع رياح هجمت على البحر الكبير وصعد من البحر أربعة حيوانات عظيمة.. الأول كالأسد وله جناحا نسر وكنت انظر حتى انتف جناحاه وانتصب على الأرض، وأوقف على رجلين كإنسان وأعطى قلب إنسان .

وإذا بحيوان آخر شبيهه بالذئب فارتفع على جنب واحد. وفي فمه ثلاثة أضلع بين أسنانه. فقالوا له هكذا. قم كلّ لحما كثيرا .

وإذ بأخر مثل النمر وله على ظهره أربعة أجنحة طائر. وكان للحيوان أربعة رؤوس وأعطى سلطانا ..

وإذا بحيوان رابع هائل وقوي وشديد جدا وله أسنان من حديد كبيرة. أكل وسحق رأس الباقي برجليه. وكان مخالفا للحيوانات الذين قبله. وله عشرة قرون. كنت متأملا بالقرون وإذا بقرن آخر صغير طلع بينها، وقُلعت ثلاثة من القرون الأولى من قدامه. وإذا بعيون كعيون الانسان في هذا القرن، وفم متكلم بعظائم... كنت انظر حينئذ من أجل الكلمات العظيمة التي تكلم بها القرن. كنتُ أرى إلى أن قتل الحيوان وهلك جسمه ودفع لوقيد النار. أما باقي الحيوانات فنزع عنهم سلطانهم ولكن أعطوا طول حياة إلى زمان ووقت .

«كنت أرى في رؤى الليل وإذا مع سحب السماء مثلُ ابن نسان وجاء إلى القديم الأيام، فقربوه قدامه، فأعطى سلطانا ومجدا وملكوتا لتتعبد له كل الشعوب والأمم والألسنة. سلطانه سلطان أبدي .. لن يزول، وملكوته لا ينقرض .

أما أنا دانيال فحزنت روحى .. فاقتربت إلى واحد من الوقوف وطلبت منه الحقيقة - فأخبرني وعرفني تفسير الأمور : هؤلاء الحيوانات العظيمة التي هي أربعة، هي أربعة ملوك يقومون على الأرض.. أما قديسو العلي فيأخذون المملكة ويمتلكون المملكة إلى الأبد.

حينئذ رمت الحقيقة من أجل الحيوان الرابع الذي كان مخالفا لكلها وهائلا جدا وأسنانه من حديد وأظفاره من نحاس، وقد أكل وسحق وداس الباقي برجليه. وعن القرون العشرة التي برأسه وعن (القرن) الآخر الذي طلع فسقطت قدامه ثلاثة. وهذا القرن له عيون وفم متكلم بالعظائم.. وكنت انظر فإذا هذا القرن يحارب القديسين فغلبهم. حتى جاء القديم الأيام، وأعطى الدين لقديس العلي، وبلغ الوقت فامتلك القديسون المملكة.

فقال (المفسر)^(١) : أما الحيوان الرابع فتكون مملكة على الأرض مخالفة لسائر الممالك، فتأكل الأرض كلها وتدوسها وتسحقها. والقرون العشرة من هذه المملكة هي عشرة ملوك يقومون ويقوم بعدها آخر وهو مخالف للأولين، ويذلّ ثلاثة ملوك. ويتكلم بكلام ضد العلي. ويُبلي (من البلاء) قديس العلي، ويظن أنه يغيّر الأوقات والسنة ويسلمون إلى يده إلى زمان وأزمنة ونصف زمان. فيجلس الذين وينزعون عنه سلطانه ليفنوا ويبيدوا إلى المنتهى. والمملكة والسلطان وعظمة المملكة تحت كل السماء تُعطى لشعب قديس العلي. ملكوته ملكوت أبدي. جميع السلاطين يعبدون ويطيعون. إلى هنا نهاية الأمر. أما أنا دانيال فأفكاري أفرعتني كثيرا، وتغيّرت عليّ هيئتي، وحفظت الأمر في قلبي».

رؤيا دانيال معقدة جداً. وهذه هي الرؤيا الثانية. والممالك الأربعة ممثلة هنا بوخوش أربعة هي:

- ١- الأسد المجنح هو مملكة بابل (٦١٢ - ٥٣٩ قبل الميلاد) .
 - ٢- الدب المائل المملكة الميديّة - الفارسية (٥٣٩ - ٣٣١ ق.م) .
 - ٣- نمر ذو الأربعة رؤوس وأربعة اجنحة مملكة الاغريق (٣٣١ - ٦٣ ق.م) .
 - ٤- الوحش المروع المرعب مملكة الرومان (٦٣ ق.م - ٤٧٦ م) .
- ظهور عشرة قرون أي عشرة ملوك (من الرومان) .

(١) انظر كتاب الدكتور نصر الله أبو طالب : «تباشير الإنجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ وكتاب البروفسور عبد الأحد داود : «محمد في الكتاب المقدس Mohammad in the Bible والأخير كان من كبار القساوسة فأسلم وصار من دعاة الإسلام .

ظهر قرن صغير وقلعت ثلاثة قرون أي ملك أذلّ ثلاثة ملوك وهو الملك قسطنطين الذي استطاع أن يتغلب على الملوك الثلاثة الآخرين. فقد انقسمت مملكة روما إلى أربعة ممالك. فاستطاع قسطنطين بدهائه ومكره أن يتغلب على اثنين بعد أن تحالف مع واحد من الثلاثة. وبعد أن قضى على الاثنين الأهم، قضى على حليفه الثالث. ثم تكلم بعظائم في مؤتمر نيقية سنة ٣٢٥، وحوّل دين المسيح إلى دين وثني واطهر عقيدة التثليث، وعبادة الامبراطور الممثل للمسيح، وحارب الموحدين القديسين وأبادهم (ما عدا من هرب وانزوى) ومجد عبادة الشمس وأحرق كل نسخ الإنجيل المخالفة له.

ثم تظاهر بعد زمان وأزمة ونصف، مجموعة تزيل مملكته وتظهر مملكة القديسين الصالحين على يد محمد ﷺ فتكون لها الغلبة بإذن الله إلى يوم الدين .

وقد فسّر الزمان والأزمة ونصف زمان بقرن (مائة سنة) وقرنين (مائتي سنة) ونصف قرن (٥٠ سنة) .

وقد حكم قسطنطين من عام (٣٠٥ إلى ٣٣٧) وبعد مرور ٣٥٠ سنة منذ بدأ حكمه تم فتح القدس (أورشليم) على يد القديسين (صحابة رسول الله ﷺ) وتسلم عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مفاتيح مدينة القدس من صفر ونيوس بطريرك القدس. وقد تم فتح القدس (عام ٦٣٨) وهو ما يقارب مرور ثلاثة أزمنة ونصف من بداية حكم قسطنطين وهذه النبوة أيضا تتحدث عن ظهور الإسلام وانتهاء دولة الكفر المسيطرة على فلسطين والمسجد الأقصى .

وهذه النبوات رغم وضوحها النسبي إلا أنها بكل تأكيد قابلة لأنواع من التأويل والتفسير. ويقدم المسيحيون تفسيرات مختلفة لها. ولكنها

بعيدة تماما عن تفسير ما انقلق منها، وجعلها على انطوخوس الرابع ١٧٥ - ١٦٣ قبل الميلاد بعيدة كل البعد عن تفسير الممالك الأربعة والقرون العشرة والقرن الصغير الذي يقضي على ثلاثة قرون أخرى وهذه كلها تنطبق على قسطنطين الذي يعظمه النصارى تعظيما شديدا. وذلك بعد أن قضى على فرق النصارى الموحدة، واستبدالها بعتيدة التثليث (مؤتمر نيقية) وما تبعه من المجامع الكنيسية التي أكدت هذه العقائد ثم اختلفت في تفاصيلها اختلافا بينا (١).

سفر أرميا :

ثم انتقل البوصيري إلى سفر أرميا وما به من بشارات، فقال :

وَإِزِمِ الْعِدَا بِبِشَائِرِ عَن أَرْمِيَا	إِذْ كَفَّ نَبْلُ كِنَانِهِ مَتَّبِعُولا (٢)
إِذْ قَالَ قَدْ قَدَّسْتُهُ وَعَصَمْتُهُ	وَجَعَلْتُ لِلْأَجْناسِ مِنْهُ رَسُولا
وَجَعَلْتُ تَقْدِيسِي قُبَيْلَ وَجُودِهِ	وَعَدَا عَلَى كِبَعْتِهِ مَفْعُولا
وَحَدِيثُ مَكَّةَ قَدْ رَوَاهُ مُطَوِّلا	شَعْبًا فَخَذَهُ وَجَانِبِ التَّطَوِّلا
إِذْ رَاحَ بِالْقَوْلِ الصَّرِيحِ مُبَشِّرًا	بِالنَّسْلِ مِنْهَا عَاقِرًا مَعْضُولا
وَتَشَرَّفَتْ بِاسْمِ جَدِيدٍ فَادَعُوهَا	حَرَمَ الْإِلَهِ بَلَغَتْ مِنْهُ السُّولا (٣)
فَتَنَبَّهَتْ بَعْدَ الْخُمُولِ وَكَلَّتْ	أَبْوَابُهَا وَسُقُوقُهَا تَكْلِلا

قال الناظم :

من كتاب أرميا قوله : «قبل أن أخلقك فقد عصمتك، من قبل أن أصورك في البطن قدَّستك وجعلتك نبيا للأجناس» هذه بشارة بالنبى ﷺ ، فإنه لم يبعث للأجناس غيره .

(١) أخذت معظم هذه التفسيرات من كتاب الأخ العزيز الدكتور نصرالله أبو طالب : تبشير الانجيل والتوراة بالإسلام ورسوله محمد ﷺ وكتاب البروفسور عبد الأحد داود «محمد في الكتاب المقدس». Mohammad in the Bible, Abdul Ahad Dawad, Qatar 1991.

(٢) متبولا أي ضعيفا سقيما. (٣) السولا : أى السؤال .

وفي الإنجيل من كلام المسيح : «لم أبعث إلى الأجناس ولكن إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل» وقال للحواريين : «لا تسلكوا في سبيل الأجناس ولكن احضروا إلى الغنم الرابضة من نسل إسرائيل» . انتهى كلام البوصيري .

وقد بدأ البوصيري - رحمه الله - بسفر أرميا ثم ثنى بسفر أشعيا، وإن كان الأخير قد سبق الإشارة إلى بعض نبؤاته فيما ذكره من قبل . وهذا النص الذي أورده البوصيري «قبل أن أخلقك فقد عصمتك، من قبل أن أصورك في البطن قدستك ، وجعلتك نبيا للأجناس» لا يزال موجودا . ونصه في ترجمة الكتاب المقدس لدار الكتاب المقدس (المعتمد لدى الأقباط) هكذا .

«قبلما صورتك في البطن عرفتك، وقبلما خرجت من الرحم قدستك . وجعلتك نبيا للشعوب» . ومحمد ﷺ هو الذي أرسل إلى الأجناس والشعوب والأمم كافة . وأما من كان قبله من الأنبياء فكان كل نبي منهم يرسل إلى قومه خاصة . وأما محمد ﷺ فأرسله الله للناس كافة .

ويواصل البوصيري كلامه شعرا ونثرا فيقول :

وَنَاتَ عَنِ الظُّلْمِ الَّذِي لَا يَبْتَغِي	لخِضَابِهِ شَيْبُ الزَّمَانِ نَصُولًا (١)
حَرَمٌ عَلَى حَمَلِ السِّلَاحِ مُحَرَّمٌ	فَكَأَنَّمَا يَسْقِي السُّيُوفَ فَلُولًا (٢)
وَتَخَالُ مِنْ تَحْرِيمِ حُرْمَتِهِ العِدَا	عُزْلًا وَإِنْ لَيْسُوا السِّلَاحَ وَمِيَلًا (٣)
لَمْ يَتَّخِذْ بَيْتَ سِوَاهِ قَبِيلَةَ	فَارْزُدْ بِذَلِكَ لِأَقُولُ قَبُولًا

(١) نصولا : نصل الخضاب أي زال عنه خضابه ولونه .

(٢) فلول السيف : انثلامه .

(٣) وميلا : الوميل هو الذي لا سلاح له، وهو أيضا الجبان .

وينو نبأيت لم تزل خدامها
 لا تبتغي عنها لهم تحويلا
 جمعت له أغنام قيذار التي
 قد كان منها ذبح إسماعيل
 فنمت وأمن خوفها وعدوها
 قد بات منها خائفا مهزولا

قال الناظم :

ومن كتاب شعيا يذكر مكة شرفها الله تعالى قوله : « فقد أقسمت نفسي كقسمي أيام نوح : لا أغرقن الأرض بالطوفان. كذلك أقسمت لا أسخط عليك ولأبين فضلك، وأن الجبال تزول ، والقلاع تتحط، ورحمتي عليك لا تزول، يا مسكينة يا مضهدة، مبانيك بالحجارة، وتربتك بالجوهر، وملكك باللؤلؤ، وسقفك بالزبرجد وأبوابك، وتبعدين من الظلم فلا تخافين. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك. وكل لسان يقوم معك بالخصومة. ويسميك الله اسما جديداً. فقولي واشرفي، فإنه قد دنا نورك، ووقار الله عليك. انظري بعينك فإنهم مجتمعون حولك، يأتون بنيك وبناتك عدواً، فحينئذ تشرقين وتزهرين، ويخاف عدوك، ويشبع قلبك. وكل غنم قيذار تجتمع إليك. وسادات نبأيت يخدمونك، وتفتح أبوابك دائماً بالليل والنهار، ويتخذونك قبلة، وتدعين بعد ذلك مدينة الرب». فهذا خطاب لمكة، وقيدار بن إسماعيل، والاسم الجديد الذي سميت به الكعبة هو البيت الحرام ومدينة الرب، حرم الله. وكل سلاح يصنعه صانع لا يعمل فيك، إشارة إلى أمن الحرم. وقوله غنم قيذار تصريح بالهدى المجلوب إليها في الحج والعمرة. وسادات نبأيت يخدمونك : يعني سدنة الكعبة، من ولد نبأيت بن قيذار ابن إسماعيل، واتخاذها قبلة : غاية التصريح .

ومن كتاب شعيا ﷺ : « أيها العاقر قومي فأضيئي، فإنه قد دنا

ضياؤك، وكرامة الرب عليك تظهر، لأن الظلمة قد غطت الأرض،
وعليك يتجلى، وكرامة الرب عليك، تجيء الشعوب والملوك، ضوءك
وأنور المنظور عليك مدى نظرك إلى حدودك، فانظري إلي الجميع
يتحزبون ويأتون إليك عن بعد هنالك، فتضيئين وتفرحين، من أجل أنه
يأتيك أقوياء الشعوب، وقوافل الجمال تغشاك، والأغنياء يأتون
بالذهب، والكومان يحملونه بتسبيح الرب، وجميع غنم قيذار تجتمع
إليك . هذا قول الرب القوي» .

ومن كتاب شعيا عليه السلام : «أيها العاقر افرحي واجهري وانطقي
بالتسبيح، فإن أهلك يكونون أكثر من أهلي» إشارة إلى مكة فإنها عاقر،
لأنها بواد غير ذي زرع، ولم يخرج منها نبي قبل ذلك غير إسماعيل ،
ولم يكبر ولد بها» . انتهى كلام البوصيري .

يعود البوصيري مرة أخرى إلى سفر أشعيا بعد أن نقل منه عددا
من البشارات أنتقل بعدها إلى سفر حزقيال ثم إلى دانيال ثم إلى
أرميا . وهذا ليس بمستغرب فإنه كان ينظم ما يريد . ثم لعله وجد بعد
ذلك في سفر أشعيا مقاطع أخرى فأضافها إلى ما سبق ولم يعد
ترتيبها .

جاء في سفر أشعيا الإصحاح (٦٠/٨-١٣) «أرفعي عينيك حواليك
وانظري. قد اجتمعوا كلهم . جاؤوا إليك . يأتي بنوك من بعيد وتحمل
بناتك على الأيدي. حينئذ تنظرين ويخفق قلبك ويتسع لانه تتحول
إليك ثروة البحر، ويأتي اليك غنى الأمم. تغطيك كثرة الجمال، بكران
مديان وعيفه كلها تأتي من شبا (سبأ) تحمل ذهبا ولبانا وتبشر
بتساويح الرب. كل غنم قيذار تجتمع إليك كباش نيايوت تخدمك .
تصعد مقبولة على مذبحي وأزيين بيت جمالي» .

والحديث ها هنا كما يبدو عن مكة المكرمة . لأن قيदार هو ابن إسماعيل وبنايوت هو ابن قيदार . ويأتي الحجاج بدباثهم إلى مكة المكرمة «تصعد مقبولة على مذبحي» .

«وتفتح أبوابك الليل والنهار» وهو ما لم يحدث إلا لمكة المكرمة لأن أبواب القدس تقفل وأبواب المسجد الأقصى كذلك . بل إن أبواب الحرم النبوي تقفل والمكان الوحيد الذي لا تقفل أبوابه لا ليلا ولا نهارا هو البيت الحرام بمكة المكرمة .

وما جاء في أشعيا (الاصحاح ٥٤ / ١-١٧) «ترنمي أيتها العاقر التي لم تلد أشيدي بالترنم . أيتها التي لم تمحض لأن بني المستوحشة أكثر من بني ذات البعل قال الرب» قد سبق ذكر هاجر في التوراة بأنها مستوحشة وأن ابنها إسماعيل كذلك يكون مستوحشا ولكن البشارة هنا أن ابنائها أكثر من بني ذات البعل (وهي سارة زوجة ابراهيم) وأما هاجر فكانت جارية لسارة وأعطتها لإبراهيم فهي سريته .

ويواصل الكلام عن هاجر وأبنائها «أوسعي مكان خيمتك ولتبسط شُقق مساكنك . لا تمسكي . أطيلي أطنابك، وشددي أوتادك، لأنك تمتدّين إلى اليمين وإلى اليسار ويرث نسلك أمما ويعمر مُدنا خربه . لأنك لا تخزين ... لأن بعلك هو صانعك، ربُّ الجنود اسمه، ووليّك قدوس إسرائيل إله كل الأرض يدعى... كما حلفت أن لا تعبر بعد مياه نوح على الأرض هكذا حلفت أن لا أغضب عليك ولا أزجرك، فإن الجبال تزول والأكام تتزعزع، إما إحساني فلا يزول عنك، وعهد سلامي لا يتزعزع، قال راحمك الرب «أيتها الذليلة المضطربة غير المتعزية هأنذا أبني بالإثم حجارتك وبالياقورت الأزرق أوسسك . وأجعل شرفك ياقوتا وأبوابك حجارة بهرمانية .. وكل بنيك تلاميذ

الرب، وسلام بنيك كثيرا بالبر تثبتين ، بعيدة عن الظلم فلا تخافين، وعن الارتعاب فلا يدنو منك. إنهم يجتمعون اجتماعا ليس من عندي، من اجتمع عليك فأليك يسقط.. كل آلة صُوِّيت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمن عليه. هذا هو ميراث عبيد الرب وبرم من عندي يقول الرب».

وهذا الكلام ينطبق على مكة وعلى هاجر وبنيتها بني قيذار ولا ينطبق على بني إسرائيل وبيت المقدس كما يزعم شُرَّاح الكتاب المقدس.

والبشارات بالرسول محمد ﷺ موجودة في جميع أسفار العهد القديم تقريبا وفي الأناجيل ، ولكنها في كثير من الأحيان تكون غامضة جدا، وفي أحيان كثيرة تكون قد عدت عليها يد التغيير والتبديل فتحوّل معناها ومبناها. وتعود بها مرة أخرى إلى بني إسرائيل ومجدهم القادم.

ومثال ذلك ما جاء في سفر التثنية الإصحاح (١٨/١٥-٢١) : «يقيم لك الربُ إلهك نبيا من وسطك من إخوتك مثلي. له تسمعون... أقيم لهم نبيا من وسط إخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيه به. ويكون الانسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي، أنا أطلبه. وأما النبي الذي يطفى فيتلکم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به، أو الذي يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي».

ولم يظهر في بني إسرائيل نبي مثل موسى قط، وإنما ظهر من بين إخوته بني إسماعيل، محمد ﷺ . وهو لا يتكلم من قبل نفسه، وإنما يجعل الله كلامه في فمه بواسطة الملك جبريل يوحى إليه هذا القرآن.

فمن أتبعه أفلح، ومن خالفه هلك. وأما النبي الكاذب فيموت ذلك النبي وعلامة كذبه أن نبؤاته لا يتحقق منها شيء .

وينهى البوصيري - رحمه الله - البشارات التي جاءت في كتب اليهود والنصارى بكلام شمعون «جاء الله بالبيان من جبال فاران، وامتلات السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته» ولم أجد فيما يسمّى الكتاب المقدس كلام شمعون هذا، وليس له أي سفر من الأسفار الكثيرة في هذه الترجمة التي بين يدي (ترجمة دار الكتاب المقدس بالقاهرة). ولكن هذا الكلام نفسه قد ورد في سفر التثنية (٢/٣-٣):
جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير، وتلألأ من جبال فاران». وفي سيناء كلم الله موسى، وجبال ساعير (سعير) في شمال فلسطين حيث، ظهر المسيح ﷺ . وأما جبال فاران فهي جبال مكة حيث ظهر خاتم الرسل وأفضل الخلق محمد ﷺ . وفي سفر حبقوق (٣/٣-٥) «الله جاء من تيمان. والقدوس من جبل فاران». وقد سبق الإشارة إلى هذه النبؤات .

وَكَلَامُ شَمْعُونِ النَّبِيِّ تَخَالَهُ
وَجَمِيعُ كُتُبِهِمْ عَلَى عِلَاتِهَا
لَمْ يَجْهَلُوهُ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُ
فَاسْمَعْ كَلَامَهُمْ وَلَا تَجْعَلْ عَلَى
نُؤُلَا اسْتِحَالَتُهُمْ لِمَا الْفَيْتَنِي
أَوْ قَدْ جَهَلْتِ مِنَ الْحَدِيثِ رَوَايَةَ
فَاتْرُكِي جِدَالَ أَخِي الضَّلَالِ وَلَا تَكُنْ
مَالِي أُجَادِلُ فِيهِ كُلَّ أَخِي عَمَى
لكلام موسى قد أتى تذييلاً
نَطَقَتْ بِذِكْرِ مُحَمَّدٍ تَعْلِيلاً
أَبَقَتْ حُقُوداً عِنْدَهُمْ وَذُحُولاً (١)
مَا حَرَّفُوا مِنْ كُتُبِهِمْ تَعْوِيلاً
لَكَ بِالذَّلِيلِ عَلَى الْغَرِيمِ مُجِيلاً
أَمْ قَدْ نَسِيتِ مِنَ الْكِتَابِ نُزُولاً
بِمِرَاءٍ مَنْ لَا يَهْتَدِي مَشْفُولاً
كَيْمَا أَقِيمَ عَلَى النَّهَارِ ذَلِيلاً

(١) الذحول : العداوة والحقد .

واصرف إلى مدح النبي مُحَمَّد
 فإذا حصلت على الهدى بكتابه
 ذكر به ترقى إلى رب العلاء
 يذُر المعارض ذا الفصاحة الكنا
 لا تنصبن له حبال معانيد
 إن كنت تنكر معجزات مُحَمَّد
 قسولا غدا عن غيره مَعْدُولاً
 لا تبغ بعد لغيره تحصيلاً
 فتخال حامل آيه محمولا
 في قوله وأخا الحجا محبولا (١)
 فتُري بكفة آفة محبولا (٢)
 يوماً فكن عمًا جهلت سؤلوا
 قال الناظم :

ومن كتاب شعيا عليه السلام : «بحق أقول لكم، لأعطين البادية كرامة لبنان
 وبيت المقدس، وتشققها مياه وقصور وإيوان في الأرض الفلاة . وأجعل
 هناك طريقاً حراماً لا يمر به أنجاس الأمم، ويكون هناك طريق
 المخلف».

ومن صحف شعيا عليه السلام : «ليفرح أهل البادية العطشى، ولتبتهج
 البوادي والفلوات، لأنها ستعطى بأحمد محاسن لبنان، وكمثل حسن
 الدساكر والرياض».

ومن كلام شمعون : «جاء الله بالبيان من جبال فاران، وامتلات
 السموات والأرض من تسبيحه وتسبيح أمته» يعني حكى موسى في
 قوله جبال فاران . انتهى كلام البوصيري .

مدح الرسول محمد صلى الله عليه وسلم :

ويعود البوصيري بعد ذلك إلى مدح الرسول صلى الله عليه وسلم وما أكثر مدائحه
 في الرسول صلى الله عليه وسلم حتى طبقت مدائحه الآفاق على مدى القرون
 المتطاولة . وأشهر أعماله البردة ثم الهمزية ثم المضرية .

(١) الألكن : صاحب اللكنة الذي لا يجيد العربية نطقاً، الحجا : العقل، والمخبول الذي أصابه
 الخبل وهو الجنون . (٢) محبولا : أي مريوطاً بالحبل .

مِنْ فَاضِلٍ يَسْتَشْهِدُ الْمَفْضُولَا
 فَرَأَيْتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ ضَائِلَا
 فَتَسَبَّتُ مِنْهُ إِلَى الْكَثِيرِ قَلِيلَا
 لَمَّا وَزَنْتُ بِهِ الزَّمَانَ بِخَيْلَا
 وَبِنَالٍ فَضْلًا مِنْ لَدُنْهُ جَزِيلَا
 يَنْقَادُ مُحْتَاجًا إِلَيْهِ ذَلِيلَا
 فَضْلًا يَزِدُهُ بِفَضْلِهِ تَفْصِيلَا
 فِي الْفَضْلِ مَغْنَاهَا وَلَا تَفْضِيلَا
 سَأَلَ الْخَبِيرُ عَنِ الْجَلِيلِ جَلِيلَا
 ثَنَّتِ الْبُرَاقَ وَأَخْرَجَتْ جِبْرِيلَا
 مَدَّتْهُمْ الْقَطْرَاتُ مِنْهُ سَيْوَلَا
 إِنْ كَانَ رَأْيُكَ فِي الْفَلَاحِ أَصِيلَا
 قَوْلًا مِنَ السَّرِّ الْمَصُونِ ثَقِيلَا
 عِلْمًا وَجَرْدًا صَارِمًا مَمْنُوقَلَا (١)
 جَعَلَ الطُّهُورَ لَهُ دَمًا مَطْلُولَا (٢)
 الْقَيْتَهُ بِدَمِ الْعِيدَا مَفْسُولَا
 قَلْبَيْنِ حَتَّى ظَنَّ إِسْرَافِيلَا (٣)
 أِبْدَاءُ كَمَا يَدْعُو الطَّبِيبُ عَلِيلَا
 تَخَذَتْ عَزَائِمُهُ الْفَضَاءَ سَبِيلَا
 وَغَدَا بِنُورِ كِتَابِهِ مَكْحُولَا

شَهِدَتْ لَهُ الرُّسُلُ الْكِرَامُ وَأَشْفَقُوا
 قَارَنْتُ نُورَ النَّيِّرَيْنِ بِنُورِهِ
 وَتَسَبَّتُ فَضْلَ الْعَالَمِينَ لِفَضْلِهِ
 وَأَرَانِي الزَّمَانَ الْجَوَادَ بِجُودِهِ
 مَا زَالَ يَرْقَى فِي مَوَاهِبِ رَيْهِ
 حَتَّى انْتَنَى أَغْنَى الْوَرَى وَأَعَزَّهُمْ
 بَثُّ الْفَضَائِلِ فِي الْوُجُودِ فَمَنْ يُرْذِ
 فَالشمسُ لَا تُغْنِي الْكَوَاكِبُ جُمْلَةً
 سَلَّ عَالِمَ الْمَلَكُوتِ عَنْهُ فَخِيرُ مَا
 فَمَنْ الْمُخْبِرُ عَنْ عَلَا مِنْ دُونِهَا
 فَلَوْ اسْتَمَدَّ الْعَالَمُونَ عُلُومَهُ
 فَتَلَقَّ مَا تَسْطِيعُ مِنْ أَنْوَارِهِ
 فَلَرَيْتُمَا اتَّقَى عَلَيْكَ كِتَابُهُ
 ذَاكَ الَّذِي رَفَعَ الْهُدَى بِيَمِينِهِ
 أَوْ مَا تَرَى الدِّينَ الْحَنِيفَ بِسَيْفِهِ
 وَالشَّرْكَ رِجْسٌ فِي الْأَنَامِ وَخَيْرُ مَا
 دَاعٍ بِأَمْرِ اللَّهِ أَسْمَعَ صَوْتَهُ الثُّ
 لَمْ يَدْعُهُمْ إِلَّا لِمَا يُحْيِيهِمْ
 تَحْدُو عَزَائِمُهُ الْعِبَادَ كَأَنَّمَا
 يُهْدِي إِلَى دَارِ السَّلَامِ مَنْ اتَّقَى

(١) الصارم : السيف. المصقول : الصقيل . الطهور الطهر . (٢) مطلول : مهدر .

(٣) الثقلان : الإنس والجن . إسرافيل : اسم ملك من الملائكة وهو نافع البوق . وله نفختان :

الأولى تميت كل شيء والثانية تبعته .

وَيُظَلُّ يَهْدِي لِجَحِيمٍ بِسَيْفِهِ
 حَتَّى يَقُولَ النَّاسُ اتَّعَبَ مَا الْكَأ
 فَاسْمَعُ شَمَائِلَهُ الَّتِي ذَكَرِي لَهَا
 مَنْ خَلَقَهُ الْقُرْآنُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ
 وَإِذَا آتَتْ آيَاتُهُ بِمَدِيحِهِ
 إِنْ أَمْرًا مُتَّبِعْتَلَا بِثَنَائِهِ
 إِنِّي لِأُورِدُ ذِكْرَهُ لِتَعْطُشِي
 وَالنَّيْلُ يُذَكِّرُنِي كَرِيمَ بَنَانِهِ
 مَنْ لِي بِنَانِي مِنْ بَنَانِ مُحَمَّدٍ
 مِنْ رَاحَةٍ هِيَ فِي السَّمَاحَةِ كَوَثُرُ
 سَارَتْ بِطَاعَتِهَا السَّحَابُ كَأَنَّمَا
 أَنَّى دَعَا وَأَشَارَ مُبْتَهَلًا بِهَا
 وَأَظَنُّهُ لَوْ لَمْ يُرِدْ إِقْلَاعَهُ
 وَكَمْ اشْتَكَّتْ بَلَدٌ أَذَاهُ فَأَلْبِسَتْ
 يَا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ أَلَمْ يَكُنْ
 إِذْ قَامَ عَمَلُكَ فِي الْوَرِيِّ مُسْتَسْقِيًا

مِمَّنْ عَصَى بَعْدَ الْقَتِيلِ قَتِيلًا
 بِحُسَامِهِ وَأَرَاخَ عِزْرِيلا (١)
 قَدْ كَادَ تَحْسِبُهُ الْعُقُولُ شَمُولًا (٢)
 عَنْ أَنْ يَكُونَ حَدِيثُهُ مَمْلُولا
 رَتَلْتُ مِنْهَا ذِكْرَهُ تَرْتِيلا (٣)
 مُتَّبِعْتَلُ لِلَّهِ تَبْتِيلا
 فإِخَالُ أَنِّي قَدْ وَرَدْتُ النِّيلا (٤)
 فَأَطِيلُ مِنْ شَوْقِي لَهُ التَّقْبِيلا
 بِاللُّثْمِ نَلْتُ الْمَنْهَلَ الْمَعْسُولًا (٥)
 لَكِنَّ وَارِدَهَا يَزِيدُ عَلَيلا
 زَمَرْتُ بِمَا تَخْتَارُ مِيكَائِيلا (٦)
 لِيَاهِ مُزْنٍ مَا يَزَالُ هَطُولًا
 لِأَتَى بِسَيْلٍ مَا يُصِيبُ مَسِيلا (٧)
 بَدْعَائِهِ مِنْ صَخْرَةٍ إِكْلِيلا
 طِفْلًا لِيُضِرَّ الْعَالَمِينَ مُزِيلًا (٨)
 كَادَتْ تَجُرُّ عَلَيَّ الْبِطَاحُ ذَيْوُلًا

(١) مالك وعزرائيل : ملكان من الملائكة . مالك هو خازن النار وحارسها وعزرائيل ملك الموت .

(٢) الشمائل : الخصال المحمودة . الشمول : الشراب الطيب ويطلق أيضا على الخمر .

(٣) متبتلا بشائعه : أي مخلصا في مدحه والصلاة والسلام عليه . ومن صلى عليه مرة صلى الله عليه عشرا .

(٤ ، ٥) أشار إلى نبع المال الزلال من بين أصابعه . ولكانه المنهل المعسول أو ماء النيل العذب .

(٦ ، ٧) ميكائيل : الملك الموكل بالمطر والسحاب . وهو يشير إلى نزول الغيث بدعائه مرارا وكلما مدَّ راحتيه إلى السماء هطلت بوابل صيب ، حتى اشتكى أهل المدينة وما حولها من كثرة المطر فدعا بكفه فكف . وجعله على الأكام ، فكان مطر رحمة لا مطر عذاب .

(٨) أزال الضرَّ من كان طفلا فقد استسقى به عمه أبو طالب فانهالت المياه على بطاح مكة .

وَرَفَعْتَ عَامَ الْفِيلِ عَنْهُمْ فِتْنَةً
بِسِحَابِ الطَّيْرِ الْأَبَابِيلِ الَّتِي
فَقَدَوُكَ مَوْلُودًا وَقَيَّتْ نَفْسَهُمْ
حَتَّى إِذَا مَا قُمْتَ فِيهِمْ مُنْذِرًا
فَلَقَيْتَهُمْ فَرْدًا بِعِزِّ مَا أَنْتَنِي
وَوَكَلْتَ أَمْرَكَ لِلإِلهِ وَيَا لَهَا
وَأَطَلْتَ فِي مَرْضَاةِ رَبِّكَ سُخْطَهُمْ
وَوَطَفِقْتَ يَلْقَاكَ الصَّدِيقُ مُعَادِيًا
وَدَعَوْتَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنَ الْهُدَى
وَأَقَمْتَ ذَاكَ الْعَضْبَ فِيهِمْ قَاضِيًا
فَطَفِقْتَ لَا تَنْفِكُ تَتْلُو آيَةً
حَتَّى قَضَى بِالنُّصْرِ دِينَكَ دِينُهُ
وَعَنْتَ لِسَطْوَتِكَ الْمُلُوكَ وَلَمْ تَزَلْ
لَمْ تَخْشِ إِلَّا اللَّهَ فِي أَمْرِ وَكَلْمٍ
اللَّهُ أَعْطَى الْمُصْطَفَى خُلُقًا عَلَى عَمْرٍ
الْبَرِيَّةِ عَدْلُهُ، فَصَدِيقُهُ

الْفَيْتَ فِيهَا التَّابِعِينَ الْفِيْلَا
جَادَتْهُمْ مَطَرًا الرَّدَى سَجِيْلًا (١)
شَيْبًا وَشُبَّانًا مَعًا وَكُهُولًا
أَبْدَوْا إِلَيْكَ عَدَاوَةً وَذُحُولًا (٢)
يَوْمًا وَحُسْنِ تَصَبُّرٍ مَا عِيْلًا (٣)
ثِقَةً بِنُصْرٍ مَنْ اتَّخَذَتْ وَكِيْلًا
فَجَرَعَتْ مِنْهُمْ عَلَقَمًا مَغْسُولًا
وَالسُّلْمُ حَرِيْنَا وَالنُّصَيْرُ خَنْوَلًا
وَهَزَزْتَ فِيهِمْ صَارِمًا مَسْلُولًا
وَنَصَبْتَ تِلْكَ الْبَيِّنَاتِ عُدُولًا (٤)
فِيهِمْ وَتَحْسِمُ بِالْحُسَامِ تَلِيْلًا (٥)
وَعَدَا لِذَيْنِ الْكَافِرِينَ مُزِيْلًا
بِرًّا رَحِيْمًا بِالضَّعِيفِ وَصُولًا (٦)
تَمْلِكُ طِبَاعَكَ عَادَةً فَتَحْوَلًا
حُبُّ الإِلهِ وَخَوْفُهُ مَجْبُولًا
وَعَدُوُّهُ لَا يُظْلَمُونَ فَتِيْلًا (٧)

(١) وبيركة وجوده في عام الفيل رد الله عن قريش جيش أبرهه. وكان ذلك من ارهاصات نبوته كما قال ابن كثير وابن القيم .

(٢) الذحول : الحقد الكامن في الصدر . (٣) ماعيل صبره : ما نقد صبره .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) الحسام السيف والتليل العنق. والمعنى تقطع العنق بالسيف ولكنه استخدم أنواع البديع فقال تحسم بالحسام قليلا أي تقطع بالسيف أعناقا . .

(٦) عنت : خضعت لسطوتك الملوك .

(٧) الفتيل : الحبل الدقيق، وهو أيضا الخط في عجم (بذرة) التمر .

وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ حِفْظًا وَلِيَّهِ
عَرَضَتْ عَلَيْهِ جِبَالُ مَكَّةَ عَسَجَدًا
رَكِيبَ الْحِمَارِ تَوَاضَعًا مِنْ بَعْدِ مَا
أَمُعَنْفِي أَنِّي أَطِيلُ مَدِيحَهُ؟
إِنِّي تَرَكْتُ مِنَ الْكَلَامِ نُخَالَهُ
مَاذَا عَلَى مَنْ مَدَّ حَبْلَ مَدَائِحِ
قَيِّدَتُهُ بِالنُّظْمِ إِلَّا أَنَّهُ
وَاضْءَاتِ الْأَيَّامِ مِنْ أَنْوَارِهِ
إِنِّي أَمْرُؤُ قَلْبِي يُحِبُّ مُحَمَّدًا
الْحُبُّهُ وَأَمَلٌ مِنْ ذِكْرِي لَهُ؟
يَا لَيْتَنِي مِنْ مَعْشَرِ شَهَدُوا الْوَفَى (٧)
فَأَقُومَ عَنْهُ بِمَقْبُولٍ وَبِصَارِمٍ (٨)
طَوْرًا بِقَافِيَةِ يُرِيكَ تَبَاتُهَا

- (١) المسجد : الذهب والفاقة الفقر والحاجة .
(٢) الهدلول الفرس الطويل الصلب السريع .
(٣) يقول أنه ترك نخالة الكلام وأتى اللباب والنخالة القشر من أنواع الحَبِّ (القمح، الذرة الخ...)
(٤) يستخدمها هنا المحسنات البديعية والتورية ، فالشكل حبل تشد به قوائم الدابة وقال عن نظمه أنه مشكول (وهي علامات النقط والضمة والفتحة والكسرة) .
(٥) الغرّة : البياض في الجبهة (للفرس ولغيره) والحجل : بياض قوائم الفرس. وفي الحديث يأتي المؤمنون يوم القيامة غرًّا محجلّين بسبب الوضوء فيعرفهم النبي بتلك العلامة كما يعرف الإنسان خيله الغرًّا المحجلة في خيل بهم دهم . (أي خيل داكنة ليس فيها بياض قط) .
(٦) العذول : اللائم في الحب . (٧) الوفي : ميدان القتال .
(٨) أقوم عن محمد ﷺ بقولي ولساني وبقولي أي بسيفي فأكون دائمًا قؤولًا في رضاه فعولًا: وكل قولي وفعل في رضاه ﷺ .
(٩) وطورا أذاع بالشعر حتى أردت عنه كفف الردى وكف العدى .

وَبِضْرِيَّةٍ يَدْعُ الْمُدَجَّجَ وَتَرُهَا
وَبِطَعْنَةٍ جَلَّتِ السُّنَانُ فَمَثَلَتْ
فِي مَوْقِفِ غَشِيِّ اللَّحَاطِ فَلَا يَرَى
فَرَشَفَتْ لُغْرَ الْمَوْتِ فِيهِ أَشْنَبَا
وَالخَيْلُ تَسْبَحُ فِي الدَّمَاءِ وَتَتَّقِي
فَاطْرِبُ إِذَا غَنَى الْحَدِيدُ؛ فَخَيْرُ مَا
تَالَهُ ثَنَى الْقَلْبُ عَنْهُ مَا ثَنَى
أَيْضَنْ عَنْهُ بِمَالِهِ وَيَنْفَسِيهِ
فَلَأَقْطَعَنَّ حَبَالَ تَسْوِيفِي الَّتِي
وَلَأَمْنَعَنَّ الْعَيْنَ فِيهِ مَنَامَهَا
وَلَأَزْمِينُ لَهُ الْفَجَاجَ بِضُمِّرٍ
مِنْ كُلِّ دَامِيَّةِ الْأَيَاطِلِ زِدْتُهَا

شَفَعَا كَمَا شَاءَ الرَّدِّيُّ مَجْدُولًا (١)
عَيْنَا لِعَيْنِكَ فِي الْكَمِيِّ كَحِيلًا (٢)
لَحْظُهُ بِهِ إِلَّا قَنَاةَ مِيَالًا
وَلَثَمْتُ خَدَّ الْمَشْرِفِيِّ أَسِيلًا (٣)
أَيْدِي الْكُمَاةِ مِنَ النَّجِيعِ وَحَوْلًا (٤)
سَمِعَ الْمَشُوقُ إِلَى النَّزَالِ صَكِيلًا (٥)
خَوْفُ الْمَنِيَّةِ عَامِرًا وَسَلُولًا (٦)
صَبَّ يَرَى لهُمَا الْفَوَاتِ حُصُولًا (٧)
مَنَعَتْ سِوَايَ إِلَى حِمَاهُ وَصُولًا (٨)
وَلَأَجْعَلَنَّ لَهَا السُّهَادَ خَلِيلًا (٩)
كَالنَّبْلِ سَبَقًا وَالْقَسِيِّ نُحُولًا (١٠)
عَنَقَا إِذَا كَلَفَتْهَا التَّمْهِيلًا (١١)

- (١) وتارة ضرية بسيف وهي ضرية واحدة وتريه تجمل المدجج بالسلاح شفعا ميتا .
(٢) أو طعنه بالرمح في عين الكمي الشجاع والكحيل الذي وقع في شدة .
(٣) الشنب ماء ورقة وعذوبه في الأسنان. ولثمت : قبّلت خدَّ المشرفي : السيف .
(٤) النجيع : الدم الأسود . (٥) صليل السيف : صوتها في المعركة .
(٦) والله يبعد القلب عن الاقدام مادام الخوف من الموت يعمر القلب، ويعرّض بعامر بن ود الذي قاتل الإمام علي فامتأ قلبه خوفا رغم أنه من الشجعان قتله الإمام. وسلول هو عبد الله ابن أبي بن سلول رأس النفاق في المدينة، ولم يقاتل بسبب حبّ الدنيا .
(٧) لا يضمن بماله ونفسه المحبُّ لرسول الله فإنه يرى بذلهما هو الفوز والنجاح وحصولا للمقصود .
(٨) وسيترك السوف والتسويق للحاق بمحمد وصحبه بعمل الصالحات والاجتهاد فيها .
(٩) وسأسهر الليالي متبتلا متعبدا .
(١٠) وسيرى العدله بخيل مضمرّة تسابق النبل وهي كالقسي في التحول. والفجاج الوديان والطرق .
(١١) الأياطل جمع أياطل وهو الخاصرة والعنق : سير الأبل السريع . يقول إنه سيجعل الناقة السريعة تدمي جوانبها بسبب شدة السير وسرعته، فهو في طريق محمد ﷺ والشوق حاديه .

سَارَتْ تَقِيْسُ ذِرَاعُهَا سَقْفَ الْفَلَآ	فَكَأَنَّمَا قَاسَتْ بِمِيلٍ مِيلًا (١)
حَتَّى تُرِيكَ الْحَرْفَ مِنْ صَلْدِ الصَّفَا	أَخْفَافُهَا بِدِمَائِهَا مَشْكُولًا (٢)
وَكَأَنَّمَا ضَرَبْتَ بِصَخْرٍ مِثْلَهُ	مِنْ مِيسَمٍ فَتَكَافَأَ تَقْتِيلًا (٣)
قَطَعْتَ حِبَالَ الْبُعْدِ لَمَّا أَعْمَلْتَ	شَوْقًا لَطَيْبَةَ سَاعِدًا مَفْتُولًا (٤)
حَتَّى اضْمُضْ بِطَيْبَةِ الشَّمْلِ الَّذِي	أَنْضَى إِلَيْهَا الْعِرْمَسَ الْمَلِيلًا (٥)
وَأُرِيحَ مِنْ تَعَبِ الْخَطَايَا ذِمَّةً	ثَقُلْتَ عَلَيْهَا لِلذَّنُوبِ حُمُولًا (٦)
وَيُسْرُ بِالْغُفْرَانِ قَلْبٌ لَمْ يَزَلْ	حِينًا يَطُولُ إِسَاءَتِي مَشْكُولًا (٧)
وَأَعُوذُ بِالْفَضْلِ الْعَظِيمِ مُنَوَّلًا	وَكَفَى بِفَضْلِ مِنْهُ لِي تَنْوِيلًا (٧)
وَإِذَا تَعَسَّرَتْ الْأُمُورُ فَإِنِّي	رَاجٍ لَهَا بِمُحَمَّدٍ تَسْهِيلًا (٩)
يَا رَبِّ هَبْنَا لِلنَّبِيِّ وَهَبْ لَنَا	مَا سَوَّلْتَهُ نُفُوسُنَا تَسْوِيلًا (١٠)
وَاسْتَرْ عَلَيْنَا مَا عَلِمْتَ فَلَمْ يُطِقْ	مِنَّا امْرُؤٌ لَخَطِيئَةٍ تَخْجِيلًا (١١)

- (١) وهذه الابل تسير بسرعة في الفلاة (الصحراء) وتقطع الميل إثر الميل .
- (٢) الصلد : الصلب والصفاء الحجارة المساء القوية . وهي تقفز على الصخر الصلد الأملس حتى تتطبع خفافها بدمائها .
- (٣) وهي أى الناقة قوية كالصخر فتكافأ هي والصخر تقتيلا وضربا في بعضهما .
- (٤) وسرعتها هذه بسبب شوقها إلى طيبة الطيبة (المدينة المنورة) متوى الحبيب المصطفى .
- (٥) أنضى : أهزل : العرمس : الناقة القوية والشمليل : السريع . يقول أن هدف سرعتي هو أن أجمع الشمل بقاء المصطفى في طيبة الطيبة . وقد أهزلت في سبيل ذلك ناقتي القوية (العرمس) السريعة (الشمليل) . وهو يستخدم لفظ الشمل والشمليل بكل براعة ليصل إلي ما يريد .
- (٦) وأريح ذمتي من ثقل الخطايا والأوزار بوصلي إلى دار المصطفى وصلاتي في مسجده وتوبتي وأنابتي إلى الله .
- (٧) المشكول : المقيد . وقلبي يسر بغفران الذنوب من الغفور الرحيم سبحانه وتعالى .
- (٨) وأعود إلى بلدي وقد نلت قصدي مرادي بغفران الذنوب ونوال الله العظيم .
- (٩) وإذا تعسرت أموري فإنني أرجو بجاهه العظيم عند ربه أن يسهلها الله ويسرها .
- (١٠) ويدعو الله أن يجعله في خدمة دين محمد ﷺ . «وهبنا العزيمة حتى نحول تسويل النفس إلى عزيمة صادقة» .
- (١١) واستريا الله عيوبنا وخطايانا فإننا نخجل مما ارتكبناه من المعاصي ولا تفضحننا بها يوم العرض الأكبر .

- وَاعْطِفْ عَلَى الْخَلْقِ الضَّعِيفِ إِذَا رَأَى
يَوْمَ تُضِلُّ بِهِ الْعُقُولُ فَتَشْخَصُ الذُّ
وَيُسْرَفُ فِيهِ الْمُجْرِمُونَ نَدَامَةً
وَيَظَلُّ مُرْتَادُ الْخَلَاصِ مُقْلَبًا
لِتِنَالِ مِنْ ظَمَأِ الْقِيَامَةِ نَفْسُهُ
وَاجْعَلْ لَنَا اللَّهُمَّ جَاهَ مُحَمَّدٍ
وَاصْرِفْ بِهِ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ
وَاجْعَلْ صَلَاتَكَ دَائِمًا مُنْهَلَةً
مَا هَزَّتِ الْقُضْبُ النَّسِيمُ وَرَجَعَتْ
- هُوَ الْمَعَادِ فَأَظْهَرَ التَّهْوِيلَ (١)
أَبْصَارُ خَوْفًا عِنْدَهُ وَذُهُولًا (٢)
حِينًا وَحِينًا يُظْهِرُونَ عَوِيلًا (٣)
فِي الشَّافِعِينَ لِشِحَاظِهِ وَمُجِيلًا (٤)
رِيًّا وَمِنْ حَرِّ السَّعِيرِ مَقِيلًا (٥)
فَرَطًا تَبْلُغُنَا بِهِ الْمَأْمُولَ (٦)
كَرَمًا وَكَفَّ ضِرَامَهَا الْمَشْعُولَ (٧)
لَمْ تَلْفِ دُونَ ضَرِيحِهِ تَهْلِيلًا (٨)
وَرَقَاءً فِي فَنَنِ الْأَرَاكِ هَدِيلًا (٩)

وصلى الله على سيدنا وإمامنا وشفيعنا محمد. وهذه خاتمة هذه

القصيدة العظيمة المليئة بالعلم والدفاع عن دين الاسلام وتبيين زيف

عقائد اليهود والنصارى .

- (١) واعطف ياربي على خلقي الضعيف يوم الهول والفرع الأكبر فإنه يرتعب فرقا من ذكر ذلك اليوم .
- (٢) وهو يوم تذهل الأبصار وتضل العقول ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ ﴾ يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد ﴿ ﴾ [الحج ٢٠١] .
- (٣) وأما المجرمون فيسترون ندامتهم تاره ويعلمونها أخرى .
- (٤) ويبحث من يريد الخلاص عن من يشفع له في ذلك اليوم المهول، مقلبا لحاظه فيهم .
- (٥) لتتال نفسه رياء من ظمأ يوم القيامة وليجد مقيلا (قيلولة وهي راحة بعد الظهر) من شدة حر جهنم التي يصله حرها .
- (٦) اللهم اجعل لنا محمدا ﷺ فرطاً (سابقاً) إلى الحوض المورود كما ورد في الحديث انني فرط لكم على الحوض (أى سابق لكم إليه) لاسقيكم منه . ومن شرب منه شربة لا يظمأ بعدها أبداً، فإذا بلغنا ذلك فقد بلغنا المأمول .
- (٧) اللهم اصرف بمحمد ﷺ عنا عذاب جهنم واجعله شافعا لنا بكرمك وجودك . وكف عنا لهيبها وضرامها المشتعل .
- (٨) واجعل يارب صلاتك دائمة منهلة عليه، مهلة دائما أبداً على ضريحه .
- (٩) وهذه الصلاة دائمة ومتكررة كل ما هزت النسائم أفنان الشجر، وكلما رجعت ورقاء (حمامة) هديلها على فنن شجر الأراك (وهو الذي يستخدم منه السواك، وهو شجر منتشر حوالى المدينة المنورة وفى الحجاز). والهديل هو صوت الحمام حين يسجع بالفناء .

الفهرس

٢ المقدمة
١٧ الفصل الأول : مجادلة أهل الكتاب في التراث الإسلامي العربي
١٩ مجادلة أهل الكتاب في القرآن الكريم
٢٥ تحريف التوراة
٣٢ الرد على النصارى
٣٧ الإنجيل وتحريفه
٤٢ مجادلة أهل الكتاب عند المسلمين
٤٣ اطلاع بعض الصحابة على ترجمات التوراة
٤٥ ورقة بن نوفل أول من أسلم بعد خديجة
٤٦ أمثلة من أهل الكتاب :
٤٧ واصل بن عطاء يردُّ على النصارى
٤٨ الإمام الشافعى يردُّ على أهل الأهواء والبراهمة
٤٨ القاسم بن إبراهيم الرسي يرد على النصارى والملاحدة.
٥٠ الجاحظ يرد على النصارى
٥٢ الطيب على بن ربن الطبري يرد على النصارى
٥٤ أبو الحسن على بن إسماعيل الأشعري
٥٥ المسعودي يرد على اليهود والنصارى وغيرهما
٥٦ أبو الريحان محمد البيروني يرد على النصارى وغيرهم
٥٦ المهدي الحسن بن أيوب وردة على النصارى
	القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمذاني وردة على اليهود والنصارى
٥٩ وكتابه «تثبيت دلائل النبوة»
٦٣ ابن النديم يتحدث في الفهرس عن فرق اليهود والنصارى
٦٦ ابن حزم وكتبه في الرد على اليهود والنصارى
	إمام الحرمين عبد الملك الجويني وكتابه «شفاء الغليل في بيان ما وقع
٦٨ في التوراة والإنجيل من التبديل»

- الإمام الغزالي وكتابه الرد الجميل لإلهية عيسى بصريح الإنجيل ٧١
- الشهرستاني وكتابه «الملل والنحل» ٧٧
- السمؤال بن يحيى المغربي وكتابه «بذل المجهود في إفحام اليهود» وكتاب
«غاية المقصود في الرد على النصارى واليهود» ٧٩
- الخبر إسرائيل بن شموئيل الإسرائيلي وكتابه «الرسالة السبعية بإبطال
الديانة اليهودية» ٨٥
- نصر بن يحيى بن عيسى المتطبب وكتابه «النصيحة الإيمانية في فضيحة
الملة النصرانية» ٩٠
- أبو عبيدة الخزرجي وكتابه «مقامع هامات الصليان ومراتع روضات
الإيمان» ٩٤
- الفخر الرازي وكتبه في الرد على الملل والنحل ٩٩
- القاضي صالح بن الحسين الجعفرى وكتابه «تخجيل من حرّف التوراة
والإنجيل» ١٠٠
- الإمام القرافي وكتابه «الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة» ١٠٤
- القرطبي وكتابه «الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام» ١٠٦
- الإمام ابن تيمية وكتابه «الجواب الصحيح لمن بدّل دين المسيح» ١١٠
- ابن القيم وكتبه في الرد على اليهود والنصارى ١١٢
- تولي أهل الذمة المناصب الكبرى في الدولة الإسلامية ١٢٢
- معاملة المسلمين لأهل الكتاب ١٢٢
- استخدام أهل الذمة في الوزارات والإدارات ١٢٥
- أطباء الدولة من أهل الكتاب ١٢٦
- اعتداء أهل الكتاب من أهل الذمة على المسلمين ١٢٧
- عبد الله الترجمان (أنسلم تورميديا) وكتابه تحفة الأريب في الرد على
أهل الصليب ١٣٩
- لمحة سريعة عن مجادلة أهل الكتاب في القرنين الثالث عشر والرابع
عشر الهجريين ١٤٤
- الفصل الثاني : ترجمة البوصيري ١٥٣

- ١٥٥ اسمه ونسبه
- ١٥٦ ولادته ووفاته
- ١٥٧ حياته وأسرته
- ١٥٩ مشاكله الأسرية
- ١٦١ استعارة ناظر الشرقية حمارة البوصيري
- ١٦١ نقده وهجاؤه للكتابة والمرتشين والموظفين
- ١٦٦ رفض البوصيري لوظيفة الحسبة ومدح الأمير السابق
- الفصل الثالث : قصيدة المخرج والمردود على النصارى واليهود
- ١٧٣ للبوصيري مع شرحها والتعليق عليها
- ١٧٥ مجادلة البوصيري للنصارى
- ١٩٩ البوصيري واليهود
- ١٩٩ عبادة العجل
- ٢٠٣ التوراة المحرّفة تتهم هارون بأنه صنع لهم العجل
- ٢٠٥ من أباطيل التوراة المحرّفة
- ٢٠٥ صفات الله سبحانه وتعالى كما أوردتها التوراة المحرّفة
- ٢٠٨ قصة خلق آدم كما ترويها التوراة المحرّفة
- ٢٠٩ الربُّ يتعب ويستريح في اليوم السابع حسب زعمهم
- ٢١٠ الربُّ يخشى آدم ويمنعه من الأكل من شجرة المعرفة حسب زعمهم
- ٢١٢ الربُّ يخاف من آدم
- الرب حسب زعمهم يحقد على البشر ولا يريد لهم متوحدين بل يبلي
- ٢١٣ لسانهم ويفرقهم على الأرض
- ٢١٤ التجسيم الفظيع في التوراة وأسفار الأنبياء
- ٢١٦ روية هارون وبني إسرائيل للرب
- ٢١٧ مصارعة يعقوب لله، حسب زعمهم الكاذب
- ٢٢١ مسير الله معهم أثناء التيه وسكنه في الخيمة (قبة الزمان)
- ٢٢٢ خيمة الاجتماع
- ٢٢٣ بناء مسكن الرب، حسب زعمهم

- ٢٢٥ إتمام بناء مسكن الرب، حسب زعمهم
- ٢٢٧ موت هارون
- ٢٢٧ موت موسى
- ٢٢٨ الله يسير أمام بني إسرائيل ليلا ونهارا
- ٢٢٨ التناقض حول بناء البيت
- ٢٢٩ الفلسطينيين يأسرون الرب حسب زعمهم
- ٢٣٤ ندم الرب حسب زعمهم وإبادة الحياة من على الأرض في زمن نوح
- ٢٤٠ سرقة اليهود لأموال وذهب المصريين بأمر الرب
- ٢٤٣ قذف الأنبياء الكرام عليهم السلام
- ٢٤٥ إبراهيم عليه السلام
- ٢٤٨ إسحاق عليه السلام
- ٢٥٠ يعقوب عليه السلام
- ٢٥٢ اتهامهم لوط عليه السلام
- ٢٥٣ أبناء يعقوب وجرائمهم حسب ما جاء في التوراة
- ٢٥٤ يعقوب يصف أولاده عند احتضاره حسب زعمهم
- ٢٥٦ اتهام داود بالزنا بحليلة جاره ثم تدبيره مكيدة لقتل زوجها
- ٢٥٧ أمنون بن داود يزني بأخته ثامار وأبشالوم ينتقم فيزني بنساء أبيه
- ٢٥٨ زواج الأنبياء، حسب زعمهم الكاذب من الزانيات والعاهرات
- ٢٥٩ المذابح والمجازر
- ٢٦١ أمثلة من مذابح داود حسب زعمهم الكاذب
- ٢٦٧ لم يبق من التوراة والإنجيل إلا النزر اليسير
- ٢٧١ أهمية السبت
- ٢٧٣ محرقة كل سبت فضلا عن المحرقة الدائمة وسكيبها
- ٢٧٤ موقف اليهود من خاتم الأنبياء محمد صلى الله عليه وسلم
- ٢٨٠ إنكار اليهود ما ورد من بشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم
- ٢٨٤ تحريف الإنجيل
- ٢٨٤ أسباب تحريف الإنجيل وأدلة وجود التحريف

- ٢٩١ متى تم الاعتراف بالعهد الجديد
- ٢٩١ الاعتراف بتحريف الأناجيل من الفاتيكان ومجلس الكنائس العالمي
- ٢٩٢ الرهبانية اليسوعية وتحريف الكتاب المقدس
- ٢٩٤ الأب سيداروس والعهد الجديد
- ٢٩٥ دائرة المعارف البريطانية تتحدث عن أسباب التحريف
- ٢٩٧ دائرة المعارف البريطانية والعهد القديم
- ٢٩٨ الرهبانية اليسوعية والترجمة السبعينية
- ٢٩٩ مجموعة من علماء اللاهوت ينكرون عقيدة التثليث وتأليه عيسى
- ٣٠٥ البشارات بالنبي محمد ﷺ
- ٣٠٥ البشارات في الإنجيل :
- ٣٠٨ انجيل يوحنا الإصحاح ١٦
- ٣٠٩ انجيل متى الإصحاح ٢
- ٣١٠ انجيل متى الإصحاح ١٢
- ٣١١ انجيل متى الإصحاح ٢١
- ٣١٢ مثال صاحب الكرم : إنجيل مرقس الإصحاح ١٢
- ٣١٣ مثال العمال وأجرتهم : إنجيل متى الإصحاح ٢٠
- ٣١٧ إنجيل متى الإصحاح ٢٢
- ٣١٨ إنجيل متى الإصحاح ٨
- ٣١٩ إنجيل متى الإصحاح ١٣
- ٣٢١ مثال آخر للزرع : إنجيل متى ١٢
- ٣٢١ مثل الزوان إنجيل متى ١٣
- ٣٢٢ إنجيل لوقا الإصحاح ٢٠
- ٣٢٥ بشارات من الزبور
- ٣٢٩ ما ورد في سفر أشعيا الإصحاح ٤٢
- ٣٣٢ ما ورد في سفر التثنية الإصحاح ٢٢
- ٣٣٣ ومن كتاب أشعيا
- ٣٣٣ ومن سفر أشعيا

٣٣٤	من سفر أشعيا الإصحاح ٦٥
٣٣٤	من سفر أشعيا الإصحاح ٤٣
٣٣٥	سفر حزقيال
٣٣٨	سفر حبقوق
٣٤٠	سفر دانيال ونبؤاته
٣٤٢	سفر دانيال الإصحاح ٢
٣٤٢	سفر دانيال الإصحاح ٧
٣٤٧	سفر أرميا
٣٥٠	من كتاب أشعيا
٣٥٢	من سفر التثنية
٣٥٤	مدح الرسول محمد ﷺ

